




الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية– شعبة التاريخ


عنوان الأطروحة:

# المرأة بالمغرب الأوسط بين التأثير والتأثر خلال القرنين

## (6 – 9هـ/ 12 – 15م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث ( ل. م. د) في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الوسيط والحديث


إعداد الطالبة: وداد صالحي

إشراف: الأستاذ الدكتور عاشوري قمعون

المشرف المساعد: د. أحمد بن خيرة


أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | جامعة الانتساب | الصفة |
|---|---|---|---|
| د.عمار غرايسة | أستاذ محاضر أ | جامعة الوادي | رئيسا |
| أ.د.عاشوري قمعون | أستاذ | جامعة الوادي | مشرفا ومقررا |
| د. أحمد بن خيرة | أستاذ محاضر أ | جامعة الوادي | مشرفا مساعدا |
| د. علال بن عمر | أستاذ محاضر أ | جامعة الوادي | عضوا مناقشا |
| د. البشير غانية | أستاذ محاضر أ | جامعة الوادي | عضوا مناقشا |
| أ.د. مصطفى داودي | أستاذ | جامعة الجلفة | عضوا مناقشا |
| د. بكير بوعروة | أستاذ محاضر أ | جامعة غرداية | عضوا مناقشا |


السنة الجامعية: 2020 – 2021م/1441 – 1442 هـ

# إهداء

إلى من شدً من عزمي

وعلمني الصبر

أبي الكريم.

إلى نبع المحبة والحنان والإيثار

أمي الحبيبة.

إلى أقرب الناس إليً

زوجي الفاضل.

إلى روحي وقرة عيني ونبض فؤادي

ولديً الغاليين.

إلى من شاركوني السراء والضراء إخوتي وأخواتي

إلى أهلي وجموع أعمامي وأقاربي .

إلى أساتذتي الكرام الأفاضل .

إلى جميع النساء اللواتي تركن بصماتهن على صفحات التاريخ .

أهديكم جميعا جهدي العلمي هذا سائلة المولى العزيز القدير أن ينفعنا به ويتقبله منا.

آميـــــــــــن

**الباحثة: وداد صالحي**

# شكر وعرفان


أحمد لله حمدا كثيرا وأشكره على فضله وتوفيقه على ما أكرمني به من إتمام هذه الدراسة الثريَّة.

ثم أتوجه بجزيل الشكر والعرفان والامتنان إلى كل من:

الأستاذ المشرف الدكتور: **عاشوري قمعون**

الذي رافقني بجهده ووقته وأمدني بالتوجيه والإرشاد حتى إتمام هذا البحث سائلة الله العظيم أن يمده بموفور الصحة والعافية.

المشرف المساعد الدكتور: **أحمد بن خيرة** شاكرة له كل الجهود المبذولة والتوجيهات القيمة التي ساهمت في إثراء موضوع الرسالة من جميع جوانبه.

الأستاذة الدكتورة **نبيلة عبد الشكور** – جامعة الجزائر2 – التي أمدتني بنصائح وتوجيهات ساهمت بشكل فعال في إثراء الدراسة.

الأستاذة الدكتورة **مليكة حميدي**– جامعة البليدة – التي كان لها الفضل والمساهمة الفعالة في إثراء البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة **فوزية كرزاز** – جامعة وهران – التي أمدتني بالنصائح والتوجيهات القيمة التي ساهمت في إثراء فصول موضوع الرسالة.

كما لايفوتني التوجه بالشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة:

الدكتور: **عمار غرايسة** – جامعة الوادي

الدكتور:**علال بن عمر** – جامعة الوادي

الدكتور: **البشير غانية** – جامعة الوادي

الأستاذ الدكتور: **مصطفى داودي** – جامعة الجلفة

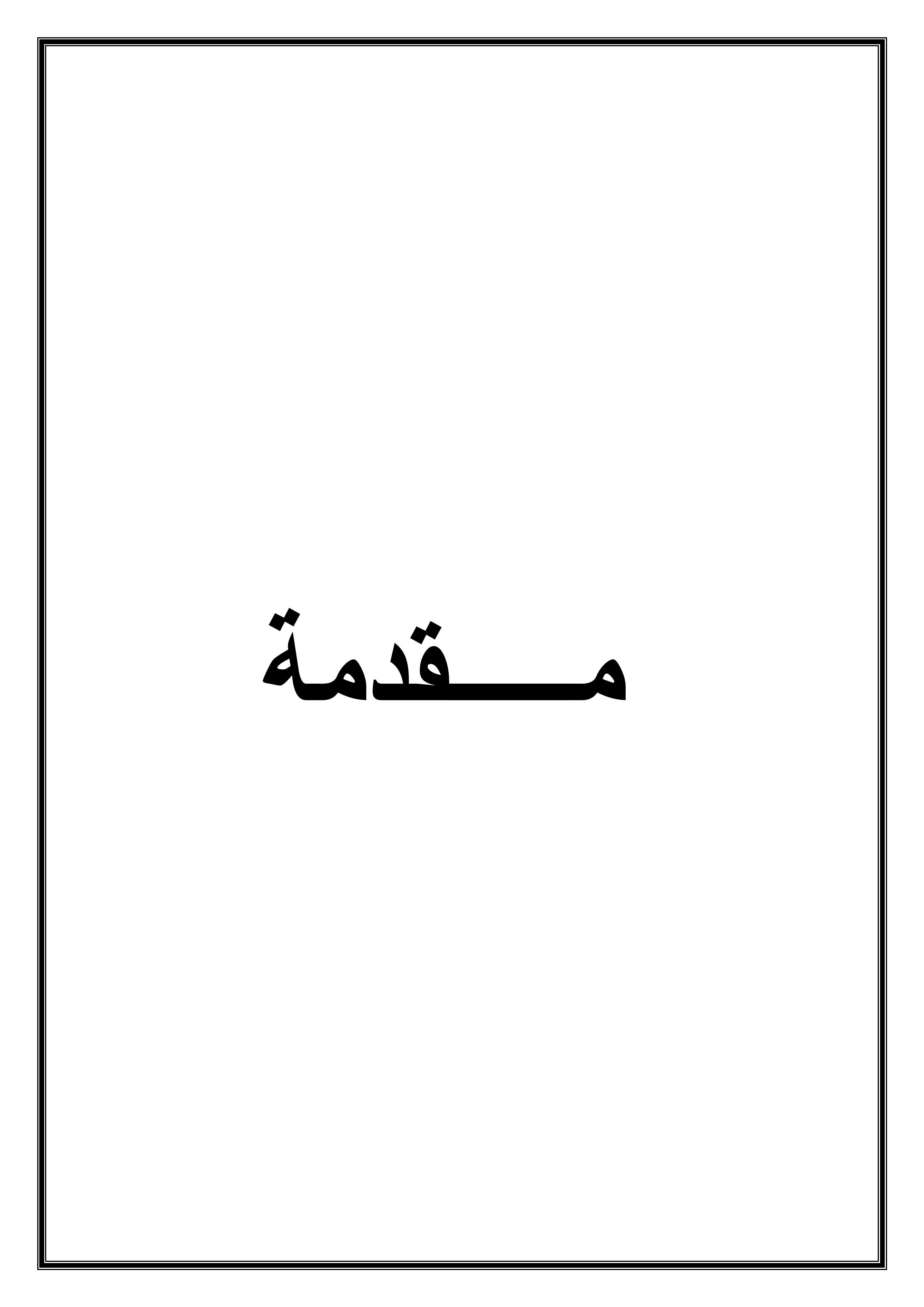
الدكتور: **بكير بوعروة** – جامعة غرداية

والحمد لله والصلاة والسلام على خير الأنام

**الباحثة: وداد صالحي**

# قـائـــمـة الــمـــخــتـــصـــرات

- **( ق، م ):** قبـل الميـــــلاد
- **هـ:** التاريــــــخ الهـــجــري
- **م:** التاريـــخ الميـــلادي
- **ت:** تــوفـــــــي
- **ص:** صـــفحــــة
- **ط:** طــــبـــعـــة؛
- **ج:** جـــــــــزء
- **مج:** مـجـــــلـــــد
- **( د، ط):** بدون طبعة
- **(د، م):** بدون مكان نشر
- **(د، ت):** بدون تاريخ نشر
- **(د، ن):** بـدون نـاشر
- **تر:** تـــرجـــمـــة
- **تح:** تــحــــقيـــق
- **تق:** تـــقـــديـــم
- **تع:** تـعلـــيـــق
- **مر:** مراجعة
- **P** : Page
- **T**: Tome



# مقدمة

## مقدمة

شهدت دول المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة بين (ق6– 9هـ/ ق 12– 15م) حضارة شملت معظم مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... حيث شاركت المرأة في بناء أحداثها وفصولها، وتجلى ذلك في إسهاماتها ونشاطاتها عند خوضها غمار معركة التشييد الحضاري للمنطقة.

لذا فإن مساهمة المرأة في حضارة دول المغرب الأوسط، سنجد لها يد التأثير في تلك الأحداث التي مرت على المنطقة، ومتأثرة كغيرها بما يدور حولها من تغيرات ومستجدات، ومن هذا المنطلق كان اختيار موضوع الدراسة تحت عنوان:

## المرأة بالمغرب الأوسط بين التـأثير والتـأثّر
## خلال القرنين (6– 9هـ/ 12– 15م)

- **دواعي اختيار الموضوع:**

اخترنا موضوع " **المرأة بالمغرب الأوسط بين التأثير والتأثر خلال القرنين (6 – 9هـ/ 12 – 15م)**"، لعدة أسباب أهمّها:

- ✓ أهمية الموضوع، لأن المرأة في المغرب الأوسط شبه مغيبة خاصة من ناحية الإنتاجية الفكرية.
- ✓ موضوع الدراسة يتوافق وشغفي الشديد لتتبع إشكاليات وقضايا نساء المغرب الأوسط.
- ✓ عزوف الباحثين والدارسين الجزائريين عن الخوض في المواضيع والقضايا المتعلقة بالمرأة في المغرب الأوسط خصوصا، ويعود سبب تغييب المصادر التاريخية لدور المرأة في تأثيرها وتأثرها بالحضارات المختلفة التي سادت مجتمعاتها، والاقتصار على سرد بطولات وأمجاد الرجال، كصنّاع للتاريخ.
- ✓ البحث والتعمق أكثر في الجانب الاجتماعي للمرأة بالمغرب الأوسط، لأن هذا الموضوع بشقيه (المرأة) و(المغرب الأوسط) يكتسي أهمية بالغة فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي لفهم المنعطفات الحضارية لمجتمعات هذه المنطقة.

- ✓ تسليط الضوء على جانب مهم من تاريخ المرأة وإبراز تأثيرها وتأثرها بحضارة المغرب الأوسط المخفيّة بين طيّات التاريخ.
- ✓ الاطلاع على أسماء النساء الفاعلات اللواتي تركن بصماتهنّ في شتّى مجالات المعرفة.
- ✓ التعرف على التأثير المتبادل بين المرأة والدين والعرف داخل مجتمع المغرب الأوسط.

- **أهمية الدراسة:**

الموضوع بالغ الأهمية، لأنه يسلط الضوء على المرأة في المغرب الأوسط، ومدى التأثير على مجريات الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية... في المنطقة، ومدى تأثرها بتلك التغيرات المحيطة بها.

- **حدود الدراسة:**

- **الحدود الزمانية** ترتبط بأواخر العصر الحمادي وعصر الموحدين إلى غاية نهاية الدولة الزيانيّة خلال القرنين (6-9هـ/12-15م)، مع ملاحظة أن المواضيع الحضارية، ومنها قضايا المرأة ليست كالحوادث التاريخية لها بداية ونهاية ويُلتزم فيها بتوقيت محدد قاطع، ذلك بسبب تداخل الأزمنة التاريخية والاجتماعية وحتى الذهنية، لنعرف مدى التفاعل المتبادل بين المرأة والمجتمع الذي تعيش فيه.
- **الحدود المكانية** تشمل رقعة الدولة الحمادية في أواخر عهدها، وكل ما كان تحت حكم دولة الموحدين والزيانيين من مناطق بلاد المغرب الأوسط.

- **إشكالية الدراسة:**

الظاهر أن موضوع المرأة خاض فيه قلة من الباحثين والدًارسين، ولكن الملاحظ على تلك الدراسات لم تتطرق إلى الموضوع بطريقة مباشرة، حيث كانت عامة دارت حيثياتها حول المرأة في الغرب الإسلامي عموما، وكان التركيز الأكبر فيها على المرأة الأندلسية، دون دراسة للمرأة في مكان محدد خلال مدة زمنية معينة، كما جاء في هذه الدراسة.

مما جعل البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة معمقة، والتركيز على مدى تأثر وتأثير المرأة في المغرب الأوسط خاصة، مما جعلنا نطرح الإشكالية التالية:

**كيف كان تأثر وتأثير المرأة بالمغرب الأوسط ما بين**
**(ق 6- 9هـ/ق 12-15م)**

وهذا الإشكال تتفرع عنه تساؤلات منها:

- ماهي العوامل المؤثرة في المرأة بالمغرب الأوسط (6 -9 هـ/12 -15م)؟
- كيف تأثرت المرأة بالسياسات الاجتماعية والاقتصادية المتداولة على دول المغرب الأوسط؟
- ما الأثار الفكرية والعلمية للمرأة، ومدى تأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط؟
- ما مدى حضور المرأة في مجتمع المغرب الأوسط ومظاهره؟
- ما التأثير المتبادل بين الشرع والعرف على واقع نساء المغرب الأوسط؟

- **المنـهج المتبع:**

اتبعنا في هذا العمل المنهج **التاريخي**، الذي يأخذ بعين الاعتبار الرجوع إلى المصادر والوثائق والمراجع التاريخية، وذلك بما يخص دراسة النصوص وربط مسائل وقضايا التاريخ بالمرأة، ومناقشتها.

- **الدراسات السابقة:**

استعنا بالمراجع والدراسات السابقة وبعد الإطلاع على قاعدة معلومات الرسائل الجامعية، والاتصال ببعض الأساتذة المختصين، وعدد من الجامعات للاستفسار عن الموضوع، تبين أن الموضوع لم يدرس دراسة علمية مستقلة حتى وقتنا هذا، وكل ما سبق من دراسات كانت عامة دارت حيثياتها حول المرأة في الغرب الإسلامي، حيث كان التركيز الأكبر في تلك الدراسات على المرأة الأندلسية، دون دراسة المرأة في مكان محدد خلال مدة زمنية معينة، كما هي دراستنا الحالية.

ومن أبرزها:

دراسة بعنوان " إسهامات المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة الثاني عشر- الخامس عشر الميلاديين" للباحثة نبيلة عبد الشكور، وهي في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لسنة2007 / 2008م، وهذه الرسالة تطرقت إلى المرأة بصفة عامة، وركّزت فيها صاحبة الدراسة عن المرأة الأندلسية فحسب، وظهر ذلك عند إسقاطها للأمثلة فإنها تذكر وتشير إلى نساء أندلسيات أو نساء من إفريقية، أو من المغرب الأقصى، أما نساء المغرب الأوسط غائبة تماما في هذه الدراسة، لكنّها أشارت في بعض الأمثلة لأضرحة متصوفات تلمسانيات لاتزال أضرحتهنّ متواجدة إلى حد الآن، وقد تم الإطلاع عليها والوقوف على شواهدها.

بينما دراستنا هذه تناولت خصوصا المرأة في المغرب الأوسط ، وهي تهدف إلى إبراز نتائج التفاعل والتمازج، وإظهار مدى التّأثير والتأثّر القائم بين المرأة والدين والبيئة ونتائجه، مما يتضح جليا الاختلاف الشاسع بين الدراسات السابقة حول المرأة، ودراستنا التي بين أيدينا.

حيث اعتمدنا على مراجع أخرى كمادة مساعدة في تحليل النتائج، واستكمال النقائص التي تركتها المصادر، والاستئناس بأهم ما توصلت لها من خلال طرحها لعدة إشكاليات حول موضوعات عديدة ومنها:

كتاب" الشهيرات التونسيات" بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر" لحسن حسني عبد الوهاب، وهو كتاب أدبي ترجم للعديد من النساء في المغرب الأدنى، حيث رسم لنا صورة عامة لنساء المغرب الأدنى لتسهيل المقارنة بين نساء المغرب الأدنى والمغرب الأوسط.

كتاب" المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي" لعبد الهادي التازي الذي ركّز على ذكر النساء بالمغرب الأقصى والنساء الموريتانيات والسودانيات، مما زاد في توضيح الصورة العامة لنساء المناطق المتاخمة للمغرب الأوسط، ومن ذلك نستنتج نوع التأثير الواقع على نساء المغرب الأوسط، ومدى تأثرهن بالمجتمعات المجاورة لها.

كتاب" الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الدولة الزيانية" لحساني مختار، الذي وضح دور الدولة الزيانية الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وأبرز دور المرأة الزيانية داخل الأسرة، وحتى دورها في تغيير مجريات سياسات عديدة، وكتاب تلمسان في العهد الزياني" لعبد العزيز فيلالي، الذي قدم لنا معلومات تاريخية مهمة حول نساء بني زيان، وغيرها من المراجع الأخرى المهمة.

- **خطة الدراسة:**

عند إعدادنا لموضوع الأطروحة اتبعنا خطة اقتضتها طبيعة الدراسة، حيث جاءت مقسمة إلى فصل تمهيدي متبوع بثلاث أبواب، مسبوق بمقدمة احتوت تعريفا بالموضوع وتوضيحا لأهميته، مع ذكر الدواعي والأسباب التي أدت إلى اختياره والخوض فيه، وتوضيح المادة العلمية المستغلة، وإبراز المصادر والمراجع المعتمدة.

بعدها **فصل تمهيدي** أبرزنا فيه العوامل المؤثرة في نشاط المرأة بالمغرب الأوسط، والذي بدوره قد بُني على ثلاث مباحث، وهي حدود المغرب الأوسط بين القرنين **(6- 9هـ/ 12- 15م)**، ثم المرأة والبنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط بين القرنين(6- 9هـ/12- 15م)، وأثر التعاليم الدينية والعرف في مجتمع المغرب الأوسط خلال زمن الدراسة.

أما **الباب الأول** فقد تطرقنا فيه إلى المرأة ضمن أحداث التفاعل السياسي والاقتصادي المتعاقب في المغرب الأوسط بين القرنين(6- 9هـ/12-15م)، وتم تقسيمه إلى فصلين، الأول تحدث عن المرأة بين تأثرها وتأثيرها في الكيانات السياسية المتصارعة بين القرنين(6- 9هـ/12- 15م)، حيث عالج الفصل الأول أربعة مباحث: المبحث الأول تحدثنا فيه عن دور المرأة في الوساطة والاستشارة السياسية، وتأثيرها على مجريات الحكم، وتأثرها بما يجري من أحداث تلك الفترة.

في حين جاء المبحث الثاني ليكشف عن التجسس السياسي الذي لعبت دوره الجواري والحرائر على السواء، وأبرز المبحث الثالث التأثير المعنوي لنساء المغرب الأوسط، وخصوصا في ميادين الحروب، بينما أظهر المبحث الرابع دور المصاهرة السياسية، وتأثيرها على سياسة الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة.

أما الفصل الثاني فقد تحدثنا فيه عن المرأة العاملة في الميدان الاقتصادي فترة الدراسة، والذي حمل في طياته مبحثين، أولهما أبرزنا فيه الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط، من جميع النواحي، بمفهوم العمل في ذهنية إنسان المغرب الأوسط، واتبعناه بسرد الوضع العام لاقتصاد المنطقة من زراعة، وصناعة وأبرزنا من خلاله أهم الأسواق التي ظهرت في المغرب الأوسط، والتي لها علاقة وطيدة بالنشاط الاقتصادي النسوي.

حيث كان تركيزنا عن المرأة العاملة لأنها الفئة التي كان لها التفاعل المباشر مع ثلاثية (الدين والمجتمع والبيئة)، ولهذا السبب أوضحنا التأثير الحاصل بين المرأة العاملة واقتصاد المنطقة وما تأثرت به، ولهذا جاء المبحث الثاني تحت عنوان دور المرأة الاقتصادي، الذي تحدثنا فيه على المجهود الفلاحي للمرأة، وأثره على اقتصاد المغرب الأوسط، والمجهود الصناعي للمرأة في جانبه التفاعلي.

حيث عرجنا على الصناعة النسيجية من خياطة وحياكة وصباغة، وحتى حرفة القصارة والصناعة الغذائية، ثم أبرزنا المجهود التجاري للمرأة في الحركة الاقتصادية، والدور الذي قامت به في الحقل التجاري، حيث تحدثنا على التجارة بشقيها الداخلي والخارجي، لنتطرق فيما بعد إلى المرأة التاجرة من دلاّلة وسمسارة، وبائعة داخل الأسواق المختلفة في أنحاء المغرب الأوسط.

وجاء **الباب الثاني** خاصا بدراسة دور المرأة الفكري والعلمي وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط، واقتضت الدقة في هذا الباب تقسيمه إلى ثلاثة فصول، تحدثنا في الفصل الأول عن المرأة في الحياة العلمية والفكرية، كما أبرزنا من خلاله علاقة المرأة بين التعليم والتعلم.

أما الفصل الثاني فقد كان حول طب النساء في المغرب الأوسط، وقد احتوى ثلاثة مباحث تبرز تعليم الطب في بلاد المغرب الأوسط، والمنهج المتبع في تعليم مهنة الطب، وجهود المرأة بين الطب والتطبيب، الذي فصل في تأثير الطب التقليدي على نساء المغرب الأوسط والتأثيرات المتبادلة بين المرأة الطبيبة ومجتمع المغرب الوسط، حيث لم يكن للطبيبات الدور التطبيبي فقط، بل كنّ ينشطن في أدوار أخرى كالقضاء، وسجن النساء المذنبات، وغيرها من الأنشطة الأخرى.

أماالفصل الثالث تحدثنا فيه عن المرأة والعلوم الروحانية، وبدوره ضم ثلاثة مباحث أولهما يتحدث عن المرأة والعلوم الروحانية اللاّأخلاقية، والمبحث الثاني يوضح جهود المتصوفات بين إصلاح المجتمع والعلاج الروحاني، حيث كان للمرأة الدور الإصلاحي والدور العلاجي، وتعدّاه إلى الدور الثقافي المتمثل في الجلسات الثقافية، والرحلات العلمية، أما المبحث الثالث فقد أبرزنا فيه تأثير العلوم الروحانية، على مجتمع المغرب الأوسط ومدى تأثر المرأة بها مع إبراز دور المتصوفات في نشر الثقافة، والعلوم المختلفة بين نساء المنطقة.

أما **الباب الثالث** فقد اختص بدراسة أثر المرأة على مجتمع المغرب الأوسط ومظاهره، حيث قُسم إلى فصلين، أولهما كان حول دور المرأة في الأسرة والمجتمع، وأدرجنا تحته مبحثين أولهما يرتكز الحديث فيه عن مكانة المرأة داخل الأسرة، وخروجها من بيتها بين الدين والعرف، حيث تطرق إلى خروج النساء إلى المساجد وزيارة أولياء الله الصالحين، وخروجهن إلى الحمامات، والأسواق والمتنزهات.

أما المبحث الثاني جاء بعنوان المرأة والحب والجسد في مجتمع المغرب الأوسط، تحدثنا فيه عن التفاعل الحاصل بين المرأة والمجتمع من زاوية لطالما تغافل عنها المؤرخون لأسباب قد تكون ذاتية أو اجتماعية منها: المرأة والحب في مجتمع بلاد المغرب الأوسط، والمرأة والجسد في مجتمع بلاد المغرب الأوسط، وأثر مفاتن الجسد وعيوبه عند نساء المغرب الأوسط، ولباس الجسد وزينته عند النساء وأثره على مجتمع بلاد المغرب الأوسط.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب ألقينا الضوء على الحضور الاجتماعي للمرأة العاملة في المغرب الأوسط، والذي قسم إلى ثلاثة مباحث، كان أولها يرتكز الحديث فيه عن

المهن التجميلية النسائية، وأثرها على مجتمع المغرب الأوسط، والمبحث الثاني جاء ليفصل في الحضور الإيجابي للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط من خلال الحديث عن المرأة الخادمة ودورها الاجتماعي، ودور المرأة الحاضنة والمرضعة في مجتمع المغرب الأوسط، ومن ثم الغاسلة، الخاطبة وأثر حضورها في المجتمع المغاربي. بينما جاء المبحث الثالث لتبيان الحضور السلبي للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط، الذي تحدث عن ثلاثة أمور هي: المرأة المغنية، والمرأة العاهرة، والمرأة النائحة وتفاعلها مع مجتمع المغرب الأوسط.

في خاتمة الدراسة قمنا بتلخيص أبرز النتائج التي توصلنا إليها، وذيّلناها بعدد من الملاحق والخرائط التي رأينا أنها تخدم الموضوع.

ثم ختمنا الرسالة بفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للأماكن والأعلام، وأخيرا بفهرس للموضوعات.

- **الصعوبات:**

كغيرها من الدراسات لم تخل هذه الدراسة من الصعوبات التي عادة تعترض الباحثين ومن أبرزها:

قلة الوثائق، وشح المعطيات، وندرة المصادر التاريخية التي لها علاقة مباشرة بالموضوع، ورغم ذلك لم نقف مكتوفي الأيدي أمام إعدادنا للدراسة.

حاولنا التوفيق بين قراءتنا لهذه المصادر، والتوزيع الزمني والجغرافي لها، حيث لا حظنا أنه لم يكن متكافئا، إذ نجد هذه المصادر موجودة وبقوة في لحظة تاريخية معينة ومنطقة جغرافية محددة، بينما نجدها باهتة أو منعدمة في اللحظة ذاتها في منطقة أخرى من منطقة المغرب الأوسط.

لعل القارئ سيلاحظ أن كفة المرأة في المغرب الأقصى والأندلس مرجحة على مثيلتها في المغرب الأوسط، والسبب في ذلك يرجع إلى المعطيات الوثائقية والمصدرية التي سمحت لنا ببناء تصور واسع إلى حد ما عن المرأة في المغرب الأقصى والأندلس، وحتى الأدنى في حقبة تاريخية محددة بينما المصادر المتعلقة بالمرأة في المغرب الأوسط تأرجحت بين الشّح

والندرة في العصر الوسيط، زمن الموحدين بالخصوص، والوفرة والتنوع نوعا ما في المراحل التاريخية المتأخرة من الدراسة.

استطعنا بذلك أن نعدل بين الكفّتين، من حيث الاهتمام بالمجال الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، التي ولجتها المرأة فكان لها شيء من التأثر والتأثير والتفاعل على جميع الأصعدة.

من البديهي أن لكل بحث علمي مصادر معينة، ومحددة تمليها طبيعة الموضوع إذ لا يخفى أن موضوع دراسة الجوانب الحضارية عموما، يفرض على الباحث أن يطلع على الكم الكبير من المخطوطات والمصادر والمراجع المتخصصة في التاريخ والسياسة، والاقتصاد والأدب وحتى التاريخ الاجتماعي، وجميع العلوم الأخرى، ولاشك أن الكتابة عن المرأة في المغرب الأوسط تتطلب جهدا كبيرا، إضافة لذلك فإن هذه المخطوطات والمصادر لم يكن تركيزها على موضوع المرأة فحسب، إنما كان مجمل الحديث فيها منصبّا على رجال ذلك العصر، ولم تكن المرأة قد خُصّت لها مؤلفات من مؤرخي تلك الفترة.

- **دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع المعتمدة:**
- **المخطوطات:**

من المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة نجد المخطوطات والتي نذكر منها:

مخطوط بعنوان "كتاب الطب والجراحات" لمؤلف مجهول، فقد انتهى من كتابته سنة 894هـ/ 1489م، الموجود حاليا في خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، تيمي ولاية أدرار الجزائر تحت رقم 114 ويحتوي على266 ورقة، أخذنا منه الحديث عن طب النساء في المغرب الأوسط، وخصوصا الطب التقليدي، الذي جاء موضّحا بالصور الشارحة لعدة أدوات طبية تخص طب النساء، وتحدّث المخطوط عن جملة من الأمراض التي تصيب النساء مع إدراج طرق عديدة لعلاجها، ووصف طرائق التوليد، وهذا المخطوط نعتبره مصدرا في تكوين قابلات ذاك الزمان.

ومخطوط بعنوان " كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين" لعريب بن سعيد القرطبي – كان على قيد الحياة زمن الخلافة الأموية بالأندلس– فيه شرح مفصل لطرق الولادة والأمراض التي تعتري النساء، وهو كتاب بمثابة المرجع الهام للقابلات والطبيبات، لحل المشاكل الصحية النسائية.

ومخطوط" بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشيدي النسب والدار" لأبي عبد الله محمد بن علي الصباغ القلعي – كان على قيد الحياة سنة 950هـ/1543م– وهو مخطوط يسرد سيرة ذاتيه لحياة الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، تحدث فيه صاحبه عن كرامات الشيخ، استفدنا منه ما يخص النساء المتصوفات، وأثر العلوم الروحانية على ذهنية مجتمع المغرب الأوسط.

ومخطوط" كتاب غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم" لأبي القاسم المجريطي، الذي نقل ما جاء عند الأولين في المشرق والأندلس والمغرب، من كهانة وسحر وعرافة وشعوذة، فكان توظيفه على مدار المبحث الثالث من الفصل الثاني، الباب الثاني.

- **المصادر:**
    - **كتب التاريخ العام:**

تعتبر المصادر التاريخية اللبنة الأولى في إنجاز هذه الدراسة، والتي من خلالها تمكنا من الوقوف على أخبار نساء المغرب الأوسط خلال القرنين (6– 9هـ/ 12– 15م)، حيث كانت أخبار المرأة مقتضبة في مصادر العصر الوسيط، ومن أهم المصادر التي اعتمدناها نذكر منها كتب التاريخ العام مثل:

كتاب" المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي(ت 648هـ/1249م)، وكتاب" أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين" لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق (عاش في القرن 6هـ/ 12م)، حيث ركّزنا في أغلب الأبواب على كتاب" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي (ت حوالي712هـ/ 1312م)، وخصوصا في القسم الخاص بالموحدين، وكتاب" تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"

بجزئيه السادس والسابع، الذي استفدنا منه، وبصفة كبيرة في التعرف على حياة المرأة في المجال السياسي والعسكري، والدور الذي لعبته في المجال الحربي ونظام الحكم، في العهد الزياني خصوصا، وكذا كتاب مقدمة ابن خلدون" التي أمدتنا بمعلومات مفصلة عن الأنشطة الاقتصادية والمهنية التي شاركت بها المرأة في المغرب الأوسط، بالإضافة إلى كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكريا يحي بن خلدون، حيث يعتبر من المصادر المهمة المؤرخة لتاريخ الدولة الزيانية، والذي ساعدنا في وصف صورة المرأة بالمغرب الأوسط عموما وبتلمسان الزيانية خصوصا، والتعريف ببعض الشخصيات المهمة، وغيرها من المصادر التاريخية التي بنينا عليها أبواب وفصول الرسالة.

وعموما فكتب التاريخ العام اهتمت بذكر نساء الأسر الحاكمة اللواتي لهنّ الدور البارز في تغيير مجرى الأحداث السياسية فقط، أما نساء العامة فلم تعرهنّ الاهتمام.

- **كتب التراجم والطبقات:**

وظفنا ما في كتب التراجم والطبقات في جوانب كثيرة من الدراسة، خاصة أنها متخصصة في جمع الأخبار عن سيرة الأفراد، فأخذنا منها بعض ما يخص المرأة، كالتعليم والتدريس وغيرها.

نذكر منها كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي، وكتاب" نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكتي، والذي ساعدنا كثيرا في شرح أهم الأعلام والعلماء الذين ميّزوا العصر الزياني، وكتاب" الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة" لابن عبد الملك المراكشي(ت 703هـ/ 1303م)، الذي ذكر أخبار بعض النساء وإسهاماتهنّ الفكرية، وكتاب" الوفيات" لابن قنفذ القسنطيني، وكتاب" سيرة الأئمة وأخبارهم" لأبي بكر يحي بن أبي بكر، وكتاب " كتاب السير" لشماخي، فقد وظّفناهم في استخراج أخبار النساء، وسيرتهنّ من خلال أخبار الرجال، واستنباط إسهامات النساء وأخبارهن في الميدان الروحاني، ونجد كتابي "المناقب المرزوقية" لأبي عبد الله الخطيب المعروف بابن مرزوق – تحقيق سلوى الزاهري– والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف

التلمساني، والتي احتوت على معلومات مفصلة عن الحياة العلمية والثقافية لبعض الشخصيات والعلماء، والنسوة وأحوالهم وذكر أسمائهم، وشخصياتهم. وغيرها من كتب التراجم والطبقات الأخرى التي يطول ذكرها هنا.

الملاحظ عن كتب التراجم والطبقات اهتمامها بالدرجة الأولى بسرد أخبار الرجال المتصوفة والعلماء وحتى الفقهاء، ورجال السياسة، وفي خضم ذلك نجدها تشير لبعض النساء من خلال سردها لأخبار الرجال، وتلك الإشارة اضطرارية فيذكر المؤرخ النساء لكي لا يقع في حرج منهجي ومعرفي.

- **المصادر الأدبية:**

اعتمدنا في الدراسة على مصادر أدبية منها بعض الدواوين الشعرية مثل" ديوان شعر عبد الجبار بن حمديس" لمؤلفه عبد الجبار بن حمديس (ت 527هـ/ 1132م)، وكتاب" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت 542هـ/ 1147م)، وغيرهما.

- **المصادر الفقهية:**

استعنا بمصادر فقهية متنوعة بين كتب النوازل والحسبة، نذكر أهمها:

أ- كتب النوازل (الأحكام والمسائل والفتاوى)

هي أهم القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة وفقا للشريعة الإسلامية، وبإمكان الباحث أن يستفيد منها، لما تحويه من معلومات مهمة عن جوانب الحياة الاجتماعية، وتمثلت الاستفادة من خلال قراءة نص النازلة، ثم استخراج الشاهد، واستنتاج تأثير الدين على المرأة، وبالمقابل تأثيرها على الدين، منها:

كتاب" المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" للونشريسي، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر المهمة التي أثرت الرسالة من حيث المادة العلمية لاحتوائه على الكثير من فتاوى علماء عصر الدراسة، فصوّر لنا الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة بالمغرب الأوسط، طوال أجزائه تقريبا من خلال الفتاوى الصادرة.

إضافة إلى كتاب" الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى المغيلي المازوني" من خلال أجزائه الثلاثة، حيث استندنا عليه في إبراز واقع المرأة وحياتها الاجتماعية من زواج وطلاق، وبعض العادات السائدة، بالإضافة إلى الدور الاقتصادي التي لعبته في تلك الفترة.

كتاب" المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمريات مسائلها المشكلات" لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 520هـ/ 1126م)، وكتاب" فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام" للبرزلي، وهو من المصادر التي ركّزنا عليها في كامل أبواب الرسالة لطرحه عدة قضايا، وفتاوى حول المرأة زمن الدراسة.

ب ـ كتب الحسبة:

هي مجموعة ما طبقه أصحاب الحسبة في المجتمع ودوّنوه في كتب مختلفة، وفيها إشارات كثيرة على جوانب الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، نذكر منها: كتاب" رسالة في القضاء والحسبة" لمحمد بن أحمد بن عبد الله التجيبي المعروف بابن عبدون (من أهل القرن 6هـ/ 12م).

وكتاب" آداب الحسبة" لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي.

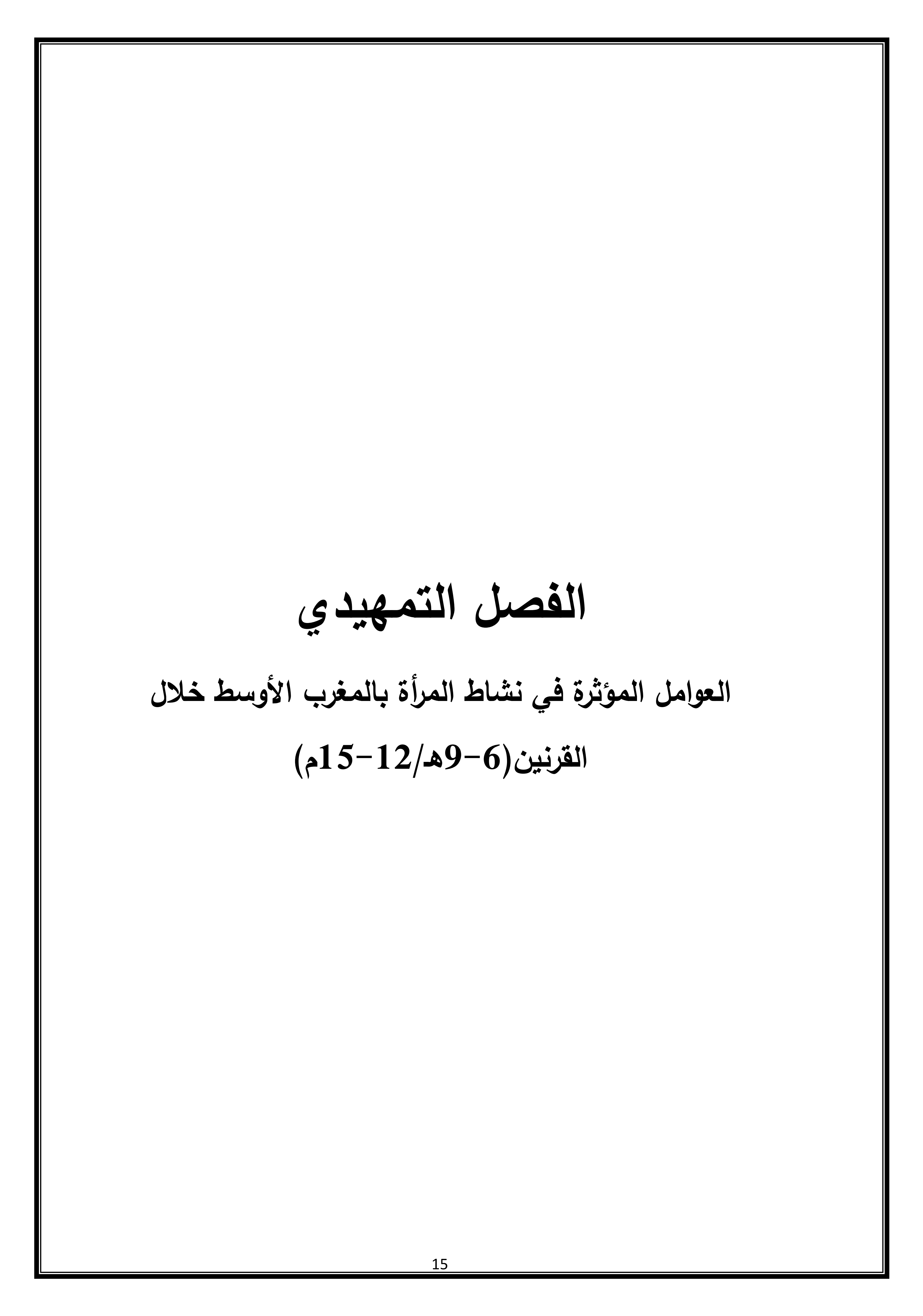
- **المعاجم الجغرافية والرحلات:**

استقينا من كتب ومعاجم الجغرافيا معلومات هامة تدخل في مجال الدراسة، من خلال أماكن دعت الحاجة للتعريف بها وتحديد مواقعها، وأمدتنا بمعلومات ذات أهمية قصوى لم نجدها في مؤلفات أخرى، لأن مؤلفيها كانوا في أحيان كثيرة شاهدي عيان على الحوادث التاريخية، فكانت تلك المعاجم اللبنة الأولى في بناء التاريخ الاجتماعي والحضاري لما وصفوه بشكل دقيق لكل مكان قد وطأته أقدامهم، وهنا نذكر:

كتاب" وصف إفريقيا" لحسن الوزان، وكتاب" المغرب في ذكر إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري (ت487هـ/1094م)، وكتاب" صورة الأرض" لابن حوقل، وكتاب" المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" للبكري، وكان اعتمادنا

عليهم في نقلهم للأوضاع الاقتصادية، ومختلف الثروات الطبيعية والزراعية والحيوانية، التي ساهمت في ظهور النشاط الحرفي، وكتاب" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي، وكتاب" الاستبصار في عجائب الأمصار" لصاحبه المجهول، وهؤلاء المؤلفون الذين عايشوا الحياة الاقتصادية لسكان المغرب الأوسط، قد أشاروا إلى بعض الصنائع والحرف التي اشتهرت بها المنطقة، كما استندنا على كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي، والذي وظفناه في التعريف وضبط جغرافية مدن المغرب الأوسط، أشار فيه إلى حرف كثيرة انتشرت في هذه المدن، وغيرها من المؤلفات المهمة الأخرى.

إضافة إلى كل المصادر المذكورة آنفا، قد اعتمدنا على مصادر أخرى في دراستنا لا تقل أهمية عن المذكورة أعلاه، وهذا ما سيجده القارئ ضمن الرسالة.



# الفصل التمهيدي

## العوامل المؤثرة في نشاط المرأة بالمغرب الأوسط خلال القرنين(6-9هـ/12-15م)

**المبحث الأول: حدود المغرب الأوسط بين القرنين (6- 9هـ/ 12- 15م)**

1-الخريطة السياسية للمغرب الأوسط

2-الخريطة القبلية للمغرب الأوسط

**المبحث الثاني: المرأة والبنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط بين القرنين (6-9هـ/12-15م)**

1-البربر

2-العرب

3-الأندلسيون

4- اليهود

5-النصارى

**المبحث الثالث: التعاليم الدينية والعرف في مجتمع المغرب الأوسط**

1- التعاليم الدينية

2- العرف

# الفصل التمهيدي: العوامل المؤثرة في نشاط المرأة بالمغرب الأوسط خلال القرنين (6-9هـ/12-15م)

قبل دراسة أي موضوع، لا بد للباحث أن يحدد العوامل المؤثرة على نشاط المرأة في حدود جغرافية معينة خلال زمن محدد، والبنية الاجتماعية لتلك الرقعة الجغرافية المحددة، وحصر أهم عناصر المجتمع التي تشكل نسيجه الاجتماعي.

وبذلك يتشكل لدى الباحث صورة واضحة المعالم لكل العناصر المتفاعلة فيما بينها في حدود معينة هو محددها، لأن الإنسان بطبيعته يتأثر بما حوله من محيط بيئي ونفسي واجتماعي، وبالتالي ينعكس هذا التأثير على أفكاره وحالته النفسية، ومن هذه المؤثرات نجد:

## المبحث الأول: حدود المغرب الأوسط بين القرنين (6- 9هـ/ 12- 15م)

يعتبر المغرب الأوسط جزء من بلاد المغرب الإسلام، ويعد تحديد معالمه الجغرافية في فترة العصر الوسيط من الإشكالات التي تضاربت حولها آراء الكتب الجغرافية والتاريخية، وذلك بسبب ما تنتجه ديمومة حركة عناصره الإثنية المتنوعة والمتشكلة من بربر وعرب وغيرهما.

وكانت بعض القبائل دائمة السعي والبحث عن مناطق الكلأ والماء، والبعض الأخر اختار الاستقرار والغوص في التمدن، ولا ننسى دور القوى السياسية التي أثرت على المجال الجغرافي للمغرب الأوسط، بين حالات القوة والضعف.

ويقصد ببلاد المغرب جميع الأقاليم الواقعة غرب مصر والتي تتضمّن شمال القارة الإفريقية[1]، ويدخل اليعقوبي بلاد برقة من جملة أقاليم بلاد المغرب، واختلفت الآراء في تحديد مدلول مصطلح المغرب، فهناك من يرى أن المغرب يشمل شمال إفريقيا والأندلس[2]، والبعض الآخر يرى أن المغرب يطلق على جميع الأقاليم الواقعة غرب مصر[3].

---

1- نبيلة حسن محمد: **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، الإسكندرية، 2004، ص 77.

2- أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت 367هـ/ 977م): **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، (د، ط)، بيروت، 1979، ص 65.

3- كمال السيد أبو مصطفى: **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، (د، ط)، الإسكندرية، 2006، ص1.

وفي القرن (4هـ/ 10م)، اعتبر الجغرافيون والرحالة من المسلمين أن المغرب هو الجهة المقابلة للمشرق من البلاد[1]، و يذكر ابن خلدون أن مصطلح المغرب سمّي بذلك للجهة التي تغرب فيها الشمس عكس المشرق، ومن هنا اتّفق أهلها على تحديد كلمة المغرب بالأراضي الإسلامية الواقعة غرب مصر إلى المحيط الأطلسي[2].

أمّا حدوده فتنحصر شمالا في بحر الروم، وغربا المحيط الأطلسي، ونظرا لإحاطة البحرين بالبلاد شمالا وغربا، سميت بذلك جزيرة المغرب، أمّا جنوبا فتحده الصحراء الكبرى و شرقا مصر[3]، وهذا بخصوص مصطلح المغرب.

وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، قسّم المغرب إلى ثلاث مناطق طبيعية على أساس قرب المنطقة أو بعدها عن بلاد المشرق الإسلامي، و هي المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى[4].

وذكر الأصطخري مثلا أن المغرب يمتد على طول بحر الروم، ويقسمه إلى قسمين أحدهما شرقي يضم إفريقية وتيهرت وطنجة، والجزء الآخر غربي يشمل الأندلس وبلاد البربر[5].

أما المقدسي قسم المغرب إلى عدة مناطق وهي: برقة وإفريقية وتيهرت وسجلماسة والسوس الأقصى وصقلية، والأندلس[6].

---

1 - محمد محمد زيتون: **المسلمون في المغرب والأندلس**، مكتبة الإسكندرية، (د، ط)، مصر, 1990, ص5

2- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ/ 1405م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مر: سهيل زكّار، دار الفكر، ط4, بيروت، 2000,ج6, ص128.

3- أحمد بن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، (د، ط), الرباط، 1973, ج1, ص11.

4- أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي (ت 695هـ/ 1296م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3, بيروت، 1983، ج1, ص5. ينظر: أبو عبيد الله البكري (487هـ/ 1094م): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**, دار الكتاب الإسلامي,( د، ط)، القاهرة، مصر، (د، س، ن)، ص 21.

5 - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري الفاسي (ت في بداية ق 4هـ/ 10م): **المسالك والممالك**، تح: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، دار العلم، ( د، ط)، القاهرة، 1961، ص ص 32-33.

6 - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقديسي (380هـ/ 990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، (د، ط)، لندن، 1909، ص 179.

والمتحدث عن الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط في ظل الوحدة، يلاحظ صعوبة تعيين حدود واضحة له[1]، لأن سياسة الدولة الموحدية[2] تقتضي كسر هذه الحدود باسم الوحدة.

وبما أن مجتمع المغرب الأوسط مجتمع قبلي، فهي ذو حركة دائمة ومستمرة لأماكن تواجدها، ولهذا جعل الدول تخضع للتوسع والتقلص في بعض المراحل، وذلك بسبب حالة القوة والضعف للدول المتعاقبة عليه، واستثمار خدمة القبائل لأهدافها المذهبية والسياسية والعسكرية والاقتصادية[3]، ولهذا ارتبط تحديد البعد الجغرافي للمغرب الأوسط بناحيتين أساسيتين وهما: ناحية سياسية وناحية قبلية.

### 1- الخريطة السياسية للمغرب الأوسط

إن معظم ما كتبه الجغرافيون عن المنطقة كان يعتمد أساسا على معيار سياسي، إذ يشير الإدريسي( ت560هـ/ 1164م) لموقع المغرب الأوسط خلال النصف الأول من(ق 6هـ/ 12م)[4]، فيذكر أنه يقع في الجزء الأول من الإقليم الثالث وقاعدته بجاية[5]، وعين بلاد بني حماد[6].

---

1- ينظر ملحق رقم 1.

2 -**الدولة الموحدية:** دولة قامت بتوحيد بلاد المغرب الإسلامي تحت راية سياسية واحدة، أسسها محمد بن تومرت، وسموا بالموحدين لأن مؤسسها وضع أهم أسس حركته الاعتقاد برأي المعتزلة ومن على منهجهم من الجهمية في نفي صفات الله عز وجل والذي يعد عندهم توحيدا، فسمي جماعته بالموحدين، وسمي كل من خالفهم بالمجسمين. ينظر: حمد صالح السحيباني: " الإتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت"، **مجلة جامعة الإمام**، ع: 6، محرم 1413هـ / 1993م، ص ص 556، 569.

3 - الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/** 12-13م، دار الهدى، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 29.

4- ويذكر بعض المدن الأخرى منها باغاي وقسنطينة وطبنة ونقاوس ومقرة والمسيلة والقلعة ومليانة وتدلس وجزائر بني مزغنة وبرشك وتنس. ينظر: الشريف الإدريسي (ت 559هـ/ 1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، 2002، ج1، ص 161.

5 -**بجاية:** بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وأول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين الصنهاجي في حدود سنة (457هـ/1064م). ينظر ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1229م): **معجم البلدان**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، 1977، مج1، ص 339.

6 - **بلاد بني حماد:** يقصد بها دولة بني حماد (408- 547م/ 1018- 1152م) أنشأها بنو حماد بن بلكين في المغرب الأوسط على أثر انقسام إمارة الصنهاجيين. ينظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 275.

وجعل مدينة تلمسان[1] نهاية حدود المغرب الأوسط من الناحية الغربية، حيث قال عنها: " مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج منها"[2]، وعين الإدريسي هذه الحدود ضمن المجال الخاضع لحكم الدولة الحمادية[3].

وأما ابن سعيد المغربي[4] و أبو الفداء(ت 732هـ/ 1331م)[5] وأيضا الحميري(عاش في القرن 8هـ/ 14م)[6]، كل هؤلاء قد أخذوا تحديد موقع المغرب الأوسط من كتاب الإدريسي.

ويقسم الزهري ( ق6هـ/12م) بدوره المغرب إلى ثلاثة أصقاع وهي إفريقية والمغرب الأقصى والسوس الأقصى[7]، والملاحظ هنا أن مصطلح المغرب الأوسط لم يذكره الزهري،

---

1- **تلمسان:** تلمسان أو تلمسن، فسرت بأنها مركبة من كلمتين أمازيغيتين، تلم: ومعناها تجمع، وسن معناها اثنان. والمقصود منها أنها تجمع بين التل والصحراء، وسماها بعضهم تلمشان وهي مركبة من تلم: ومعناها لها، وشان: أي لها شأن. وهي مدينة عريقة في التمدن، بناها المرابطون في المغرب الأوسط، عذبة الماء، قوية المنبت، هي قاعدة المغرب الأوسط، وتسمى أجادير( أقادير)، ودار مملكة زناتة، مدينة في سفح جبل ذي جوز، أبوابها خمسة. ينظر: أبوزكرياء يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، ج1، (د، ط)، الجزائر، 1980، ص91-85. وينظر أيضا: البكري: المصدر السابق، ص76. وينظر كذلك: أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، إحسان عباس، دار صادر، ج7، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1988، ص134. ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 44.

2 - الإدريسي: المصدرالسابق، ج1، ص ص 124، 151.

3 - محمد الأمين بلغيث: **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2007، ص61.

4 - المغرب الأوسط يمتد شرقا حتى مدينة قسنطينة، ومدينة بونة فهي حد سلطنة إفريقية الحفصية على الساحل، قاعدتها مدينة بجاية.ينظر: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد(ت 685هـ/ 1286م): **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982، ص 140-142.

5 - حدود المغرب الأوسط تمتد من وهران إلى آخر حدود مملكة بجاية. ينظر: أبو الفداء صاحب حماه" (ت 732هـ/ 1332م): **تقويم البلدان**، نشره رينود والبارون دي سلان، دار الطباعة السلطانية، (د، ط)، باريس، 1840، ص 122.

6 - يحد المغرب الأوسط من الناحية الغربية بلاد تازا، ويذكر تارتا أن مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط ويذكر تارتا أخرى أن مدينة تلمسان الزيانية قاعدة له، ومدينة قسنطينة خارج حدود المغرب الأوسط. ينظر: الحميري (ت 727هـ/ 1326م): **الروض المعطار في خير الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 80، 135- 136. ينظر أيضا: مؤلف مجهول (ت ق6هـ/ 12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار" وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب**، نشر وتع: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، (د، ط)، بغداد، العراق، 1986، ص 179.

7-كان يسكن إفريقية قبائل من البربر (زناتة وصنهاجة وبرغواطة) ومن مدنها الساحلية طرابلس وتونس وبونة وبجاية وجزائر بني مزغنة وبرشك، ومن مدن التل قسنطينة والقلعة ومليانة وزواوة، أما صقع المغرب الأقصى كان أول مدنه تنس

وحدد حدود نفوذ الدولة الموحدية في زمانه التي امتدت من طرابلس شرقا إلى غاية بحر الظلمات غربا[1].

أما ابن فضل الله العمري ( ت 749هـ/ 1348م) فقد قسم بلاد المغرب إلى ثلاثة ممالك أولهم مملكة إفريقية وثانيهم مملكة بر العدوة وثالثهم مملكة الأندلس، وشملت هذه الأخيرة ثلاثة ممالك هي: مملكة فاس وهي أعظمهم، ومملكة تلمسان، ومع ما أضيف إليها من الأندلس[2].

وذكر ابن عبد ربه الحفيد( من ق6هـ/12م) أن المغرب مقسمة إلى عدة أقاليم وهي إفريقية والمغرب الأقصى، والمغرب الأوسط التي كانت قاعدته تلمسان، لينتهي إلى غاية مدينة أجرسيف[3].[4]

ويقسم أيضا ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1228م) المنطقة الواقعة بعد مصر إلى إفريقية والمغرب[5]، [6] وحذى حذوه المراكشي ( 647هـ/ 1248) في عدم ذكر مصطلح المغرب الأوسط وفي تقسيم بلاد المغرب إلى قسمين هما إفريقية والمغرب[7]، فالملاحظ هنا أنهما يعبران على أقصى اتساع بلغه الموحدون في زمانهم أيضا.

---

ووهران وهنين ومليلية، وأبرز مدنه الداخلية تيهرت وتلمسان وغيرهما. ينظر: أبو عبد الله بن أبي بكر الزهري: **كتاب الجغرافيا**، تح: محمد حاج صادق، مركز الإسلامي للطباعة، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، ( د، ت، ن)، ص ص 107، 112، 114.

[1] - ينظر ملحق رقم 4.

2- الإصطخري: المصدر السابق، ص ص 51، 68.

3 -**مدينة أجرسيف:** تقع على وادي ملوية. ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 179.

4- نفس المصدر، ص ص 110، 179.

[5] - معجم البلدان، مج1، ص 228.

[6] - فإفريقية عند ياقوت الحمودي تمتد من برقة إلى بجايه، وقد تصل إلى مليانة أحيانا، والمغرب يمتد من مليانة إلى جبال السوس، المتاخمة للمحيط الأطلسي والأندلس تعتبر جزء من المغرب. ينظر: نفس المصدر، ج5، ص ص 160، 161.

[7] - فيحدد إفريقية من جهة الغرب مدينة قسنطينة، وأول بلاد المغرب بلدة ميلة، ينظر: محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (581- 647 هـ/ 1185- 1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب، ط1، بيروت، 1998، ص 256.

أما حسن الوزان (توفي بعد 957هـ/ 1550م) فيقسم بلاد البربر أي المغرب إلى أربعة ممالك وهي على التوالي مملكة مراكش[1] ومملكة فاس[2]، ومملكة تلمسان[3] ومملكة تونس[4].

## 2-الخريطة القبلية للمغرب الأوسط

ركز بعض المؤرخين والجغرافيين على التركيبة القبلية للمنطقة وعلى تحركاتهم الناتج عن بعض الظروف من ضمنها الحالة السياسية للمنطقة والتغيرات المناخية التي تحتم على هذه القبائل تغيير مضاربها، ولكن هذه القبائل تسير ضمن خط محدد متعارف عليه[5].

فذكر البكري ( 487هـ/ 1094م) المغرب الأوسط كمصطلح معتمد لديه وحدد قاعدته، وهي تلمسان في قوله عنها" هي دار مملكة زناتة[6]، وموسطة قبائل البربر" وعلى هذا الأساس بنى حدود المغرب الأوسط على أساس قبلي بحت.[7]

---

[1] – **مراكش:** مدينة بالمغرب الأقصى بينها وبين البحر 10أيام، تقع شمال أغمات بناها يوسف بن تشفين سنة (470هـ/ 1080م)، ثم بنى أسوارها علي بن يوسف بن تاشفين سنة (514هـ/ 1121م)، كانت بها قصور كثيرة لعدد من الأمراء والقواد، وكانت أزقتها واسعة وأسواقها حفيلة، كما بنيت بها الفنادق والحمامات ..... ينظر: زكريا بن محمد القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، (د، ت)، ص 111. ينظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص 540. ينظر أيضا: ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج5، ص 94.

[2]– **فاس:** مدينة بالمغرب، أصلها مدينتان يفرق بينهم وادي فاس. وهي قاعدة المغرب وحاضرته الكبرى. ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص 434. ينظر أيضا: حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، ج2، ص196.

2-نفسه، ج1، ص ص ص 28، 30، 31.

[3] – ينظر ملحق رقم 5.

[4]– حسن الوزان: وصف إفريقية، ج1، ص ص ص 28، 30، 31.

[5] – ينظر ملحق رقم 2.

[6]– **زناتة:** من ولد زانا أوجانا بن يحي بن ضريس فهنالك، وتعتبر قبيلة زناتة من أكبر القبائل البربرية وأوفرها عددا، وكان استقرارهم في برقة وطرابلس، وانتشرت بعد ذلك في إقليم الجريد، والصحاري المحيطة بالمغرب، ومن بطونها بنومغراوة وبنو يفرن وملكاتة وبنو سنوس ومكناسة وجراوة وبنو تزجين ومطماطة ومضغرة ومديونة ونفزاوة ولواتة وبنو راشد، وسدراتة وكشبانة وملزوزةومرنسية. ينظر: مؤلف مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد حقية**، مطابع جول كربونل، (د، ط)، الجزائر، 1921، ص 11. ينظر أيضا: مرمول كربخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد زنير ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق، دار المعرفة للنشروالتوزيع، (د، ط)، الرباط، 1988، ج1، ص 90.

[7] – أبو عبيد الله البكري (487هـ/ 1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مكتبة المثنى، (د، ط)، بغداد، (د، ت)، ص ص ص75، 76-77.

كما حدد عبد الرحمن بن خلدون قاعدة المغرب الأوسط مدينة تلمسان، وعدد بعض منها الساحلية مثل هنين والجزائر[1] وبجاية وبونة[2] فهي أخرها، ومن مدن الجنوب أشير[3] والمسيلة[4] والزاب[5] وقاعدته بسكرة[6] وجبل أوراس[7] وتبسة[8]، ومن تحديده هذا نجد أنه ارتكز على الجانب القبلي فقبيلة زناتة[9] كانت مستقرة في المنطقة الممتدة ما بين وادي ملوية غربا، إلى وادي الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت

[1] - **الجزائر:** معناها الجزر، تقع على ضفة البحر في المغرب الأوسط، وهي مدينة قديمة من بناء قبيلة افرقية تدعى مزغنة، ولهذا تعرف الجزائر بجزائر بني مزغنة. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 37.

[2] - **بونة:** وهي مدينة بالمغرب الأوسط بين مرسى الخرز وجزائر بني مزغنة، ويطل على مدينة بونة جبل زغوغ، وقد استولى عليها روجر" ملك صقلية" سنة(548هـ/ 1153م). ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 512. ينظر أيضا: الإدريسي: المصدر السابق، 291.

-[3] **أشير:** اختطت المدينة من طرف زيري بن مناد قبل رحيل الفاطميين إلى مصر، وكان ذلك على عهد القائم بأمر الله، الذي أمده بالعون وذلك تقديرا لزيري على خدماته وولائه له، شرع في بناء المدينة سنة (324هـ/ 936م)، وقام بجلب البنائين من مدينة حمزة والمسيلة وطبنة، كما أمده الخليفة بمواد البناء وأرسل إليه أحسن المهندسين. ينظر: شهاب الدين النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب (قطعة من تاريخ المغرب في العصر الوسيط)**، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، (د، ط)، الدار البيضاء، (د، ت)، ص ص 304، 305.

4 - **المسيلة:** مدينة جليلة بنيت على نهر، كانت الشيعة تسميها المحمدية، اختطها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله عام (313هـ/ 926م)، وتولى على بنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن المنصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي، استعمله القائم عليها ثم خلفه ابنه جعفر الذي صار أميرا على الزاب. ينظر: البكري: المصدر السابق، ص 59.

5- **بلاد الزاب:** تبدأمن تخوم المسيلة وتمتد شرقا إلى إقليم الجريد بتونس حاليا، وهي منطقة رملية شديدة الحرارة، وذكر ابن حوقل أن الزاب اسم منطقة تقع بين بسكرة وطولقة وتوذر وقفصة ..... كما سمي به نهر كان يجري بين سجلماسة وتلمسان، ويوجد زاب أعلى وزاب أسفل. ينظر: حسن الوزان: المصدرالسابق، ج2، ص 138. ينظر أيضا: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85.

6 - **بسكرة: وهي** بلدة تعرف ببسكرة النخيل، تقع في المغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر، أهلها على مذهب أهل المدينة.ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 422.

7 - **جبل الأوراس:** كتلة جبلية شاهقة، تقع على بعد نحو ستين ميلا من بجاية، وثمانين ميلا من قسنطينة، تتاخم الأوراس جنوبا صحراء نوميديا، وشمالا بلاد مسيلة وسطيف ونكاوس وقسنطينة، بها عدة من العيون والمستنقعات تتحول إلى ملاحات عند اشتداد الحر. ينظر: ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 102.

8 - **تبسة:** بالفتح ثم الكسر وتشديد السين المهملة، وهي بلد مشهور من أرض إفريقية، بنينه وبين قفصة ست مراحل. ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 13.ينظر أيضا: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص 63-64.

9 - **زناتة:** تتكون من قبائل مكناسة، مغراوة وغيرهما من القبائل. ينظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص 28.

جنوبا، أما قبيلة صنهاجة[1] فكانت تستحوذ على الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا، وبالنسبة لقبيلة كتامة وعجيسة وهوارة، فكانت تقطن منطقة جيجل وبونة وقسنطينة والأوراس وما وراء حدود إفريقية إلى طرابلس[2].

## المبحث الثاني: المرأة والبنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط بين القرنين (6- 9هـ/ 12- 15)

بُني المجتمع المغربي عموما وفي قطاعه الأوسط خصوصا على القبيلة، فهي تعتبر المحور الذي تدور حوله جميع التغيرات الاقتصادية والفكرية، والتحركات السياسية والاجتماعية، ولأن القبيلة أعلى قمة هرم النظام الاجتماعي لدى البربر.

فكانت الأسرة قاعدة ومرتكز القبيلة، التي تتكون من زوج وزوجة وأبناء، إذ كان لزاما أن أدرس البنية السكانية لمجتمع المغرب الأوسط لتتضح لدي صورة المجتمع الذي تعيش فيه المرأة ليتسنى لي دراسة الموضوع بكل وضوح.

### 1. البربر

اختلف المؤرخون[3] حول أصل نسبهم فيقول ابن حزم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام[1]، ورغم تضارب الروايات حول نسب البربر إلا أنهم عمروا المنطقة، وكونوا قبائل متفرقة متعايشين ومتفاعلين مع جميع الأحداث التي مرت على عليها[2].

---

1 – **صنهاجة:** هم بنو صنهاج بن أوريغ بن برنس بن بربر، وقيل إنهم من حمير من عرب اليمن، فكونوا قبائل تنقسم إلى سبعين قبيلة منها لمتونة ومسوفة.... ولصنهاجة فرعان: صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب(المرابطون). فقبائل صنهاجة الشمال سكنوا بإفريقية والمغرب الأوسط، وعاشوا حياة الاستقرار ومارسوا الزراعة، أما صنهاجة الجنوب، فقد عاشوا حياة البداوة ورعي المواشي قي أقاصي الصحراء بين غدامس والبحر المحيط. ينظر: علي الجزنائي: **جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991، ص 17. ينظر أيضا: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص120. ينظر أيضا: ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص ص126، 152، 201.

إسماعيل بن أحمد: بيوتات **فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة، (د، ط)، الرباط، 1972، ص 27.

2– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ/ 1405م): **المقدمة**، تح: أحمد الزعبي، دار الأرقم، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ن)، ص ص65، 203–204.

3– ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 174، 175. ينظر: ابن حزم الأندلسي: **جمهرت أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط3، مصر، 1971، ص 495. ينظر أيضا: يحي هريدي: **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة**

ويتفق النسابة على أن البربر يتفرعون إلى فرعين كبيرين هما البتر والبرانس، حيث اتفق العلماء على أن برنس ومادغيس هما أصل البربر، فمادغيس الذي يلقب بالأبتر جد البرابرة البتر، ولهذا عرفت شعوبه باسم البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر"[3].

**أ-البتر**

عُرفوا ببداوتهم وأغلبهم قبائل رحل يمتازون بالروح الحربية العالية[4]، وتقطن شعوب البتر بجهات طرابلس وما يليها، وتمتد فروعهم حتى مصر والمغرب، ومن قبائلهم: إدراسة، نفوسه، ضريسة، نفزاوة، لواتة، مديونة، مطماطة، مطغرة، مغيلة, زواوة، زواغة، مكناسة[5]، ومن أشهر قبائلهم التي سكنت المغرب الأوسط وهي: زناتة[6]، وكومية[7].

**ب-البرانس**

وهم العنصر الأساسي من البربر بعد البتر، سكنوا المناطق الممتدة من جبال الأطلس الكبير إلى المحيط الأطلسي، واستقروا في المناطق الساحلية، وهم أكثر عددا من البربر

---

**الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، القاهرة، 1965، ص 13. ينظر أيضا: حسين مؤنس: **معالم المغرب والأندلس**، دار الرشاد، (د، ط)، طبعة خاصة، (د، ب، ن)، 2004، ص 28.

1 - ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص 495.

2- ينظر ملحق رقم 2.

3- ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 149، 182.

4- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص 496. ينظر أيضا: حسين يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر، 1994، ص 25.

5- عبد الواحد ذنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2004، ص1. وينظر أيضا: ابن خلدون: العبر، ج6، ص149 وما بعدها.

6 - ينظر ملحق رقم 8.

7 -**كومية:** تنسب إلى البشر ويعرفون بصطفورة، بطن من بطون بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر وهم أبناء عم زناتة، امتازوا بكثرة العدد والقوة، تتركز مضاربهم في بلاد المغرب الأوسط، وتمتد مناطق سكناهم بين جبال ترارة شمال غرب مدينة تلمسان والبحر المتوسط. ينظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السيلاوي (1250- 1315هـ/ 1834-1897م): : **كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ط1، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص 89. وللمزيد ينظر أيضا: ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص 165- 166، 174 وما بعدها. المركشي: المعجب، ص423. جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2004، ص 292.

البتر[1]، ومن أشهر قبائلهم: أزداجة، أوربة، أوريغة، كتامة، زواوة[2]، عجيسة، مصمودة[3]، وصنهاجة.[4]

تميزت المرأة البربرية بالقوة في شخصيتها وبالحرية والنفوذ الاجتماعي في إطار عادات وتقاليد المنطقة التي تعيش فيها، فكان التنظيم القبلي قائم على مبدأ المساواة بين أفراد القبيلة في الحقوق والواجبات، والمساهمة في صنع القرارات السياسية[5]، واعتمدت الأسرة على نظام الأسرة الأمسية التي تمتعت بالمساواة التامة مع الرجل، واقتنت الثروات[6]، وشاركت المرأة الرجل في ميادين الحياة المختلفة، والأمور الهامة كمشاركتها في مجلس القبيلة وفي ساحات الحرب، وتقلدت منصب زعيمة القبيلة، بمباركة رجالها وهذا ما استنتجتاه من الملكة تيهيا التي تزعمت قبيلة جراوة البترية[7].

ولم تختلف صورة المرأة في بلاد المغرب عن بلاد المشرق الإسلامي، ومنذ بداية فتح المسلمين لبلاد المغرب سنة22(هـ /643م)[8] ظلت المرأة تحتل تلك المكانة الكبيرة

---

1 -الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح وتق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني، ط1، مصر، 1994، ص19.

[2]- **زواوة:** وهم من ولد سمكان، ومواطن قبائل زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، وجزء كبير من الجهة الشرقية للمغرب الأوسط وخصوصا المناطق الجبلية الوعرة، ومن بطون قبائل زواوة نجد بني مليكش وبني كوفي، وبني بو يوسف، وبني غبرين، وبني مجسطة، وبني صدقة وغيرهم. ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 168، 169، 198. ينظر ايضا: ابن حزم الأندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1983، ص 496.

[3]- **مصمودة:** وهم أبناء مصمود بن برنس بن بربر وهم أكثر قبائل البربر عددا، تتركز مضاربهم بشكل أساسي في جبال الأطلس الكبير وسهول السوس وهضاب الحاحا وحوض الدرعة، كما يوجدون في مناطق غرب المغرب الأوسط. ينظر: أبو العباس أحمد القلقشندي: **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1980، ص 294.ينظر أيضا: حسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص 5 للمزيد ينظر: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الملك الكتامي "ابن القطان المراكشي"( منتصف ق 7هـ/ 13م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تق وتح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص ص 30-83

4 - ابن خلدون: العبر، ج6، ص 183.

[5]- ابن خلدون: المقدمة: ص 198.

[6]- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج1، ص 80.

[7] - ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، ج6، ص 11.

[8]- بدأ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بفتح الإسكندرية سنة 21هـ . من طرف عمر بن العاص، وفتحت في السنة الموالية

بمشاركتها في الحروب، نذكر منها أم حرام[1] التي هي امرأة مغربية على الرغم من أصولها المشرقية، فمكوثها بأرض مصر والمغرب سمح لها بالاتصال بنساء المغرب، وتبصيرهم بفقه العبادات والمعاملات، وإفادتهم بما تعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك خلال مراحل الفتح الإسلامي.[2]

إن المرأة في المغرب الإسلامي دافعت عن الإسلام اعتقادا وممارسة في ظل انتشار الحركات الدينية والمذهبية، التي غذتها فرق الخوارج والشيعة في المغرب الإسلامي خاصة في القرن (3هـ /9م) مستهدفة القضاء على تعاليم العقيدة الصحيحة بنشر البدع والخرافات في تلك الفترة، واشتهرت النساء البربريات بممارسة الزراعة والرعي والحرف اليدوية التي أبدعت في العمل الحرفي وخصوصا في صناعة الخزف ذي الطابع البربري كنسج الزرابي وصنع الأواني[3] المطبخية وغيرها [4].

**2-العرب**

أحدث العرب بدخولهم إلى بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي تغييرات جذرية في المجتمع المغربي، حيث وجد تقارب كبير بين العنصرين العربي والبربري[5].

---

22هـ . برقة ثم طرابلس سنة 23هـ، وفي سنة 27هـ . تم غزو إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، اصطدم فيها المسلمون بجيوش بربرية بقيادة كسيلة والكاهنة، انتهت بفتح جميع أقطار المغرب الإسلامي بقيادة موسى بن نصير سنة 86هـ ./705م. ينظر: أبو عبد الله محمد ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومرا، ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص9-8.

[1] – أم حرام: (ت27هـ /647م) بنت ملحان بن خالد بن زيد النجارية الأنصارية، صحابية، كانت تخرج مع الغزاة، حضرت فتح قبرص، ماتت ودفنت بالجزيرة، وأصبح قبرها يسمى قبر المرأة الصالحة. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002، ص172.

[2] – قادة إبراهيم، صورة المرأة في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن 8هـ .، رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد بن صخرية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429 ـ 1430هـ/2008 ـ 2009م، ص66.

[3] ـ ينظر ملحق رقم 11.

[4] – تقي العلوي: " أصول المغاربة: القسم البربري"، **مجلة البحث العلمي**، ع: 27، لبنان، 1977، ص 145.

5- نجيب زينب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق: أحمد بن سودة، دار الأمير، ط1، بيروت، 1995، ص 89 وما بعدها.

وذكرت المصادر أن العرب الوافدين على بلاد المغرب ينتمون إلى ثلاث قبائل عربية كبيرة هي: قبائل بني هلال[1] وقبائل بني سليم[2] وقبائل المعقل[3]، ودخل معهم أحلافهم من جشم[4]والخلط[5]، حيث سكن بنو سليم وبنو هلال المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، أما قبائل المعقل فسكنوا جبل وادي درعة في زمن الموحدين[6].

عموما كانت القبائل العربية في فترة الدراسة كثيرة الانتشار في المنطقة، ولها الدور الكبير في نشر الحضارة العربية الإسلامية من لغة وعادات وتقاليد عربية، وكانت المرأة من أقوى الوسائل وأنجعها في ترسيخ ونشر هذه الحضارة الجديدة في وقت أسرع، وأضحى تأثير النساء العربيات في المجتمعات التي عشن فيها كبيرا[7] لتمتعهن بالحرية والكرامة.

ومن طبائع النساء الهلاليات أنهن صريحات في التعبير عن عواطفهن اتجاه أزواجهن، حيث كانت مكانتهن داخل المجتمع عظيمة وذات تأثير كبير، وعرف على نسائهم قوة

---

[1]- **بنو هلال:** أصلهم من جبل عرفات بالطائف، ويعود أصلهم إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن عيلان بن نزار بن عدنان. ينظر: عمر رضا كحالة: **معجم القبائل القديمة**، دار العلم للملايين، (د، ط) بيروت، 1968، ج2، ص 1221. ينظر أيضا: علاوة عمارة: "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ( قراءة في نقاش تاريخي)" **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، دورية تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، العدد، رمضان 1425هـ/ أكتوبر 2004، ص 31 .

[2] – **بنو سليم:** أصلهم من الحجاز بالمدينة المنورة، وهم ينتسبون إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، ولهم بطون كثيرة من أهمها: زغبة وذياب ووهب وعوف ولبيد، نزل بنو سليم في البداية بطرابلس وبرقة. ينظر: الناصري السيلاوي: المصدر السابق، ج3، ص 208.ينظر أيضا: مصطفى أبو ضيف أحمد: **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين،** مطبعة دار النشر المغربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1982، ص69. وأيضا: شاكر مصطفى: **موسوعة دول العلم ورجالها**، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993، ج1، ص 544.

[3]- **قبائل المعقل:** ينسبون إلى ربيعة بن كعب بن الحارث، وهم من بطون مذحج اليمنيين، ولكن قبائل المعقل نسبوا أنفسهم إلى جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي، امتدت مضاربهم في عهد الموحدين من تلمسان إلى المحيط الأطلسي. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص ص 41،

57- 66، 58. ينظر أيضا: حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص 49.

4 – **الجشم:** هم مزيج من بطون قبائل عربية من القرة والعاصم والأثبج، ولكن غلب عليهم اسم جشم وهو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، دخلوا المغرب في عهد الموحدون، استقروا بتامسنا. ينظر: ابن خلدون، ج6، ص 37.

5- **الخلط:** هم من بني عامر بن عقيل بن كعب . ينظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 416.

6 – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 200.

7 – عبد الحميد يونس: **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، (د، ن)، (د، ط)، القاهرة، 1956، ص 165.

الشخصية كشخصية الجازية[1] التي قد أنهت النزاع الذي جرى بين قبائل بني هلال حول تحديد الطريق الصحيح لدخول بلاد المغرب[2]، ولهذا سمح لهن بالمشاركة في قيادة القبيلة وحل جميع المشاكل التي اعترضتهم.

### 3- الأندلسيون

هاجر مسلمو الأندلس إلى بلاد المغرب في أواسط القرن (6هـ/12 م) بسبب الظلم والخراب الذي لحق بهم، فشكلوا نسبة محترمة داخل المجتمع المغربي، وكان معظمهم ذوي صنعة، فمنهم الدباغين، ومنهم من امتهن تصفية قصب السكر، وصناعة الخزف، وفي المجال الثقافي والعلمي أيضا، ولا ننسى ميدان البناء والتعمير.[3]

واستقر الكثير منهم في المغرب الأوسط ناشرين معارفهم[4]، وكان استقرارهم في المراكز الحضارية مثل: تلمسان وبجاية[5] ومدينة تنس[6] التي شيدوها بأنفسهم سنة (262هـ، /875م) لتكون مرفأ لسفنهم ومركزا لتجارتهم مع بلاد المغرب [7].

كانت المرأة الأندلسيّة تتمتع بمكانة رفيعة في تلك الحقبة التي عاشتها في بلاد الأندلس وحتى عند هجرتهم إلى حواضر بلاد المغرب الأوسط، فقد أولت الأسرة الأندلسيّة اهتمامًا

---

1- **الجازية:** وهي زوجت الشريف بن هاشم الذي كان يسمى شكر بن أبي الفتوح. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج2، ص 22.

2- حسن حسني عبد الوهاب: **شهيرات التونسيات بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر**، المطبعة التونسية، (د، ط)، تونس، 1353هـ/ 1934م، ص 93.

3 - نفسه، ج6، ص 350.

4- ناصر الدين سعيدوني: "صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر"، **المجلة العربية للثقافة**، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، العدد 27، تونس، 1994، ص 266.

5- البكري: كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص ص 82، 83.

6 - **تنس:** وهي مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة، تبعد المدينة عن البحر بميلان، وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب، وبين تنس ووهران ثماني مراحل، وإلى مليانة في جهة الجنوب أربعة أيام، وإلى تيهرت خمس مراحل أو ست. ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص ص 48-49.

7- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص ص 48، 52. ينظر أيضا: البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص60.

بالبنت والولد معا، ولم تفرّق بينهما، وكانت المرأة الأندلسية متعلمة وأديبة وشاعرة، ومنهن من جمعت بين العلوم الدينية والأدبية[1]

### 4- اليهود

عاش اليهود في بلاد المغرب منذ القديم، ولم يتفق المؤرخون حول تاريخ هجرتهم إلى شمال إفريقيا، لكنهم يؤكدون على قدم وجودهم الذي يرجع إلى العهد الفينيقي[2] الذي بدأ فيه اليهود بمزاولة التجارة مع المستعمرات الفينيقية[3] في سواحل شمال إفريقيا منذ الألف الثانية قبل الميلاد وهم لابسو العمامات ( baaléhamiçnefeth )4، فاستوطنوا بلاد المغرب وسموا أنفسهم التوشابيم ( Tochabin) أي اليهود الأهالي[5]، ومن ثم شهدت بلاد المغرب الأوسط قدوم موجات يهودية قادمة من الأندلس، وسموا بحاملي القبعات (baalé el kipron)[6] أو بالميغوراشيم ( Megorachim) وتعني بالعبرية المطرودين[7]، واستقروا على سواحل إفريقيا الشمالية، وبعضهم استوطن الصحراء وهذا بحكم مزاولتهم لتجارة العبيد والملح[8]، ولهذا نجدهم بالمدن والحواضر التجارية أهمها بمدينة الناصرية[1] في بجاية، وقلعة

---

1- ناصر الدين سعيدون: المرجع السابق، ص 266.

2 – **الفنيقيون:** كلمة يونانية، اطلقها المؤرخون على سكان الساحل الشرقي للمتوسط، وذلك إبتداءا من عصر الحديد( ابتدأ حوالي القرن 12 ق.م، وانتهى مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد)، والفنقيين ذو أصل سامي. ينظر: محمد الصغير غانم: **التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط،** دار المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982، ص ص 18- 19.

3- ويعود تاريخ دخولهم إلى المغرب مع الفنيقين و المهاجرين وأيام الاضطهاد الروماني، وقد لوحظت هجرات أخرى لليهود في عام 628هـ عندما غادر يهود خيبر الجزيرة العربية عبر اليمن في اتجاه المغرب متخذين الجبال مقرا لهم بعيدا عن الناس، ولاشك أن أعدادهم تزايدت بمرور الزمن.ينظر: نبيلة حسن محمد: **تاريخ المغرب والأندلس،** دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، الإسكندرية، 2004، ص94.

4-Garrot Henri: **Les Juifs Algériens – Leurs origines**- ،Librairie Louis Relin ،Alger; 1898 ، P. 36.

5 - Eisenbeth.M: **Les Juifs en Algérie** ،esquisse historique depuis leurs origines jusqu´ànos jours ،Extrait de L´encyclopédie coloniale et Maritime ،paris ،sd ،pp 8-9.

6- انظر Garrot Henri ،op.cit :. P. 36.

7 -برونشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م،** تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص 434.

8- جمال أحمد طه: الحياة الاجتماعية، ص ص74، 159.

بني حماد[2]، وتلمسان[3]، وجل المناطق الواقعة على الطريق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي[4]، ومدينة ورجلان[5] التي عرفت استقرارا لليهود بها[6].

وعرف عن اليهود حبهم للعزلة ويرفضون الاختلاط بالمجتمعات التي تجاورهم. ولهذا كان لليهود أحياء خاصة بهم في كامل أنحاء دولة بني زيان خصوصا[7].

ومع هذا امتهنوا عدة حرف كالتجارة والطب وعدة صناعات منها صناعة القناديل وزخرفة المعادن وصناعة الحلي، وكانوا خبراء في الأمور المالية[8]، ومنها مثل اليهود طبقة كبيرة في المجتمع المغربي[9] الذي قطنوه منذ وقت مبكر، وعاشوا في حواضره الشمالية والجنوبية وفضلوا الإقامة في المدن الكبرى التي تتوفر فيها الأعمال التجارية والحرفية التي اشتهروا بها[10] .

وتميز اليهود في العهد الموحدي بزي خاص يفرقهم عن المسلمين، ورغم هذا امتزجوا بمجتمع المغرب الأوسط[11].

---

1 - **مدينة الناصرية:** من قرى سفاقس بإفريقية، بالمغرب الأدنى. ينظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 251.

2 - **قلعة بني حماد:** مدينة أزلية تقع على نهر عظيم كثير الزرع والخيرات، اشتملت القلعة على ثلاثة أبواب (باب الأقواس في الشمال - باب جراوة في الجنوب الشرقي - باب الجنان في الجنوب الغربي)، كما احتوت القلعة على العديد من القصور، ففي وسط المدينة وعلى بعد 150متر من الجامع الأعظم، بني دار البحر وقصر المنار من الشرق. ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار، ص55.

3- الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص 248.

4- حسن الوزان: المصدر السابق، ص 50.

5- **ورجلان:** أو وركلان أو ورقلة وهي مدينة في الصحراء، قريبة من بلاد السودان . ينظر: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1970، ص 126.

6- البكري: المصدر السابق، ص 82.

7 - DhinaAtallah: **Le Royaume Abdelouadide à l´époqued´AbouHammou Moussa 1er et d´AbouTachfin 1er** ، OPU، Alger، sd، p 56.

8- حسن الوزان: المصدر السابق، ص 50.

9- البكري: المصدر السابق، ص 159.

10 - جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص74.

11- جمال أحمد طه: المرجع السابق، ص 171.

وخلال عصور متقدمة لم يلتزم اليهود بالزي المفروض عليهم، إذ روي أن بعض اليهود كانوا يتمتعون بحرية اللباس، حتى أن لباسهم كان يفوق لباس المسلمين، بل يتشبه بأعيانهم وأمرائهم[1].

وفي العهد الزياني استمر اليهود وأهل الذمة عموما في ارتداء اللباس الأصفر ذي الأكمام الواسعة الطويلة، وقلانس تشبه البرادع تصل إلى تحت آذانهم[2] .

ويحدد دور المرأة في اليهودية ومكانتها عدة عوامل من بينها التوراة[3]، والشريعة اليهودية الشفوية، والأعراف، والعوامل الثقافية التي لا ترتبط بالدين، حيث يختلف تعامل الشريعة اليهودية مع المرأة حسب الظروف المحيطة بالمجتمع الذي تعيش فيه، ويعتبر اليهود المرأة هي المسؤولة عن الخطيئة البشرية الأولى لأنها هي السبب في خروج آدم عليه السلام من الجنة[4]، ويقول علماء اليهود، في تعليقهم على بعض ما جاء في هذه القصة: "المرأة لا تكون شريكة للرجل، وتساويه، بل يستعبدها لتلد له الأولاد..."[5]

والمرأة في اليهودية تباع وتشترى[6]، وتعتقد أيضا أن نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر[7].

---

1- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ج3، ص 383.

2 - فرض الموحدون هذا اللباس في عهد أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، إلا أن لون اللباس كان أسود، فغيره أبنه أبي عبد الله إلى اللون الأصفر بطلب منهم، وقد رآهم حسن الوزان في مدينة تلمسان في العهد الزياني يضعون على رؤوسهم عمامات صفراء. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 20.

[3] - **التوراة:** هي كلمة عبرية بمعنى الهدى والإرشاد، ويطلق عليها اليهود الناموس، والتوراة الحقيقية هي الصحف التي أنزلت على موسى عليه السلام، وتتكون التوراة من حمسة أسفار وهي سفر التكوين . سفر الخروج . سفر اللاويين أو الأحبار . سفر العدد . سفر التثنية . ينظر: أحمد شلبي: **اليهودية**، طبعة القاهرة، ( د، ت)، ص 238. وينظر أيضا: الطبري: **تفسير الطبري**، دار المعارف، (د، ط)، القاهرة، 1958، ج 13، ص ص 86، 152.

[4]- وقال الرب الإله: "... هو ذا الإنسان قد صار كواحد منها، عارفًا الخير والشر، والآن لعله يمد مده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها..".ينظر: سفر تكوين 3: 6 - 23.

[5] - زكى علي السيد أبو غضة: **المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، المنصورة، 2003، ص ص ص 24، 25، 283.

[6] - سفر الخروج 21: 7.

[7]- سفر اللاويين 12: 1- 5.

وأُلزمت المرأة في المجتمع اليهودي بوجوب تغطية رأسها عند الخروج، فإذا خالفت ذلك فهي معرضة للطلاق إذا كانت متزوجة، وعدم الزواج إذا كانت عزباء[1].

ووجب على المرأة أن تغطس في الماء ثلاث مرات عند لمس جثة الميت، أو لمس الحشرات أو الخنازير أو الجنابة، وبعد الجنابة والنفاس[2].

وكان حظ النساء اليهوديات من التعليم محدودًا، فكانت المرأة اليهودية ممنوعة من التعلم باستثناء تعلم كيفية القراءة والكتابة وكيفية القيام بالأعمال المنزلية، وبعض تعاليم الشريعة اليهودية والتي كانت ضرورية في الحياة اليومية، مثل طريقة طبخ طعام الكوشير[3].

وهناك اختلاف بين الفرق اليهودية في سن زواج المرأة اليهودية، فأغلبهم يكون عند بلوغ الفتاة سن الثانية عشر والنصف[4].

وعموما فإن مكانة المرأة اليهودية متدنية جدا، لأن في شريعتهم المرأة من غير بني إسرائيل لا تعد كبشر، إنما هي لاشيء، لذلك فالزنا بها لا يعتبر جريمة لأنها من نسل الحيوانات، ولهذا تبقى تحت سلطان أبيها أو زوجها[5].

**5- النصارى**

عرف النصارى بعدة أسماء، فسُموا بالروم للتعبير عن كل نصارى الغرب المسيحي[1]، وسماهم ابن الأثير بمماليك الإفرنج[2].

---

1 - Dhina Atallah: **le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er**, OPU, Alger, sd, P55.

2 - موسى بن ميمون: **دلالة الحائرين**، تح: حسن آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، (د، ت)، ص ص 681، 683.

3 - **طعام الكوشير**: يسمى بالعبرية " كاشروت" من الكلمة العبرية " كاشر" بمعنى مناسب أو ملائم، وهي مجموعة القوانين الخاصة بنظام الأكل وطريقة إعداده، وطريقة الذبح عند اليهود، ومصدر ه\ه القوانين هو التوراة، ويسمى الطعام ال\ي يتبع قوانين الكاشروت " كوشر" بمعنى الطعام المباح أكله في الشريعة اليهودية. ينظر:

Israël Abrahams: **Jezish life in the middle ages**, the Macmillan Company, New York, 1896, P 150.

4- فاطمة بوعمامة: **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق ل 14- 15 ميلادي**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ( د، ط)، الجزائر، 2011، ص 115.

5- أبو غضة: المرجع السابق، ص 283 وما بعدها.

وقد وجدوا في المغرب الأوسط على شكل أسرى حروب، والعديد منهم جلبوا عن طريق تجار الرقيق[3].

واستخدم المسيحيون جنودا في الجيش المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين، ثم استعان بهم الموحدون في إخماد الثورة التي قام بها الماسي[4]، واستقروا في المدن مثل: مراكش وسلا ومكناسة[5]وتونس ومدينة بونة وبجاية وتلمسان وقسنطينة[6].

حيث انتقلوا مع بني حماد من القلعة إلى بجاية، وكانت لهم بها كنيسة [7]، وعاملهم حاكم بجاية معاملة حسنة [8]، حيث سكنوا في فنادق خاصة بهم[9].

ولم تكن تفرض عليهم القيود من ناحية الطعام واللباس، وعليهم ما على أهل الذمة من حقوق وواجبات، ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية[10].

---

1- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 33. ينظر أيضا: أبو العباس أحمد الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 1981، ص ص 45، 46.

2- ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني: **الكامل في التاريخ**، مر وصح: محمد يوسف الدقاق، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، 2003، ج9، ص 13. ينظر أيضا: أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان (608-681هـ/ 1212-1283م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح إحسان عباس، دار صادر، (د، ط)، بيروت، (ب، ت، ن)، ج5، ص 52

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 230. ابن خلدون: العبر، ج6، ص 424.

4- **الماسي:** هو محمد بن عبد الله بن هود، كان أبوه دلالا بالسوق، ادعى الهداية وسمي نفسه بالهادي، سمي بالماسي نسبة إلى رباط ماسة على ساحل المحيط الأطلسي في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي. ينظر: ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ص 30، 31.

5- جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص 169.

6- عبد الإله بلمليح: **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص 189.

7- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 82.

8- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 339.

9- إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 1980، ص 189.

10- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم "المعروف بالزركشي": **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966، ص 25

ومن المهن التي اشتغلوا بها: التجارة والطب وصناعة الأسلحة، والزراعة والصيد والرعي، بالإضافة إلى التعليم والتدريس[1].

وبما أن المسيحية بزغت من اليهودية والثقافة اليونانية والرومانية، فكان نظام الأسرة النصرانية أبويا، فجعل للرجال سلطة أكبر في الزواج والمجتمع والحكم، وعندما كانت التوراة هي منبع الإساءة للمرأة واحتقارها كما وضحنها سابقا، فجاء الإنجيل وأخذ منه مكانة المرأة فاستمرت الإهانة للمرأة ولكن لم تصل لحد الإهانة في التوراة، وهذا مرده لدور النساء في حياة المسيح عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى السماء[2].

**المبحث الثالث: التعاليم الدينية والعرف في مجتمع المغرب الأوسط**

تأثر نشاط المرأة في المغرب الأوسط بسلطة المجتمع وبالسلطة الفقهية الذي يستمدها هذا الأخير من المذاهب الفقهية المنتشرة في المنطقة في إطار الدين الإسلامي.

**1- الدين**

يعتبر الدين عند المجتمعات الإسلامية محور الحياة وأساسها، فإذا ابتعد المجتمع عنه، فسدت طباعه وأخلاقه، وبذلك يفسد المجتمع وكذا سياسة الدولة، ومنه يتغلغل الفساد داخل أركان الدولة فتضعف وتنهار، ولهذا نجد أن أقوى المؤثرات على نساء المغرب الأوسط، هن النساء الأوائل المتمثلات في خديجة زوج الرسول، وفاطمة[3] ابنته صلى الله عليه وسلم.

وكانت سيرتهن بمثابة النهج الذي تسير على خطاه كل امرأة، فالدين إذا يعتبر القوة المنظمة لشؤون الدولة والرعية وحفظ الحقوق، واستتباب الأمن بنوعيه الداخلي والخارجي

---

1- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 90

2 - زكي علي السيد أبو غضة: المرجع السابق: ص 8.

3- فاطمة بنت الرسول – صلى الله عليه وسلم-: هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدت يوم الجمعة في 20 جمادى الثانية بعد البعثة بخمس سنوات، أول امرأة هاجرت إلى المدينة، تزوجها الإمام الخليفة على بن أبي طالب رضى الله عنه في ذي القعدة من السنة الثانية للهجرة بعد وقعة بدر، من أولادها الحسن، الحسين، المحسن، أم كلثوم، زينب، كان عليه الصلاة والسلام يحبها، توفيت يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الثاني سنة (11هـ / 633م) . بعد 95 يوما من وفاته عليه الصلاة والسلم، وعاشت نحو أربعا أو خمس وعشرين سنة. ينظر: علي محمد علي دخيل: **أعلام النساء،** الدار الإسلامية، ط3، لبنان، 1992، ج3، ص77-76.

وحتى الروحي، فأي خلل أو تهاون عن الدين وغياب الوازع الديني عند أي طرف من أطراف المجتمع، يؤدي لاختلال نظام المجتمع والدولة ككل، ولهذا كان لابد من تتبع سيرورة الفكر المذهبي الذي مر على مجتمع المغرب الأوسط وأثر في المرجعية الفكرية لسكانها فاعتمدوا على تلك المرجعية في إطلاق أحكامهم على كل عارض يعترضهم.

فمنذ بداية فتح المسلمين لبلاد المغرب سنة( 22هـ /643م)[1]، احتلت المرأة مكانة كبيرة بمشاركتها في الحروب وقوة شخصيتها كالكاهنة[2] مثلا، وكانت جهودها وسعيها للتفقه في الدين واضحة منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

وتذكر لنا المصادر سعي أم حرام[3] التي هي امرأة مغربية على الرغم من أصولها المشرقية، فمكوثها بأرض مصر والمغرب سمح لها بالاتصال بالنساء المغربيات، وتبصيرهن بفقه العبادات والمعاملات، وإفادتهن بما تعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك خلال مراحل الفتح الإسلامي.

وعموما فإن المرأة الأمازيغية دافعت على راية الإسلام اعتقادا وممارسة في ظل انتشار الحركات الدينية والمذهبية، التي غذتها فرق الخوارج والشيعة في المغرب الإسلامي،

---

1- بدأ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بفتح الإسكندرية سنة(21هـ/ 642م) من طرف عمر بن العاص، وفتحت في السنة الموالية، برقة ثم طرابلس سنة( 23هـ / 644م)، وفي سنة (27هـ / 648م) تم دخول إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، اصطدم فيها المسلمون بجيوش بربرية بقيادة كسيلة والكاهنة، انتهت بفتح جميع أقطار المغرب الإسلامي بقيادة موسى بن نصير سنة (86هـ /705م). ينظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ج1، ص9-8.

2- **الكاهنة:** هي دهيا بنت نيعان بن بارو بن مصكسري بن أفردين وصيلا بن جراو، كان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم، ملكت علهم 35 سنة، وعاشت 117 سنة، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**، ج7، ص12.

3- أم حرام ( 27هـ/647م): وهي بنت ملحان بن خالد بن زيد النجارية الأنصارية، صحابية، كانت تخرج مع الغزاة، حضرت فتح قبرص، ماتت ودفنت بالجزيرة، وأصبح قبرها يسمى قبر المرأة الصالحة. ينظر: خير الدين الزركلي: **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، لبنان، 2002، ج2، ص172.

خاصة في القرن (3هـ /9م) مستهدفة القضاء على تعاليم العقيدة الصحيحة بنشر البدع والخرافات في المجتمع حينذاك[1].

وتبنت الدولتان الزيرية والصنهاجية المذهب السني، وقبلهما الأغالبة الذين نشروه في كل المناطق التي كانت خاضعة لنفوذهم[2]، واعتمد الحكم عند المرابطين[3] على نظام الشورى في بداية الدولة، واستمدوا أحكام دستورهم وفق ما يقتضيه المذهب المالكي[4].

ونشأت على أساس إصلاح الدين، والتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة والفقه المالكي ومحاربة البدع والجهل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزام أحكام الدين في فروض الزكاة والإعشار. وعليه، فهم اتبعوا المذهب السني، وهي أول دولة إسلامية استطاعت أن تقضي على التعدد في الاتجاهات المذهبية[5].

وبعد أن تسربت عوامل الضعف إلى الدولة المرابطية، بدأت تعاني الانحلال والانهيار، وبرز محمد بن تومرت، كزعيم روحي والمؤسس الأول لدولة الموحدين، وقد حمل لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6].

وكان من مظاهر عظمة الدولة هو تلقب ملوكها بأمراء المؤمنين، حيث أسسوا أكبر دولة عرفها الإسلام بالمغرب، وكانت الدولة ذات طابع فريد ارتكزت على فكرة المهدوية،

---

1 - حميدي مليكي: " دور نساء قبيلة صنهاجة في المغرب الإسلامي ما بين القرنين (3-5هـ ./9 -11م)"، **ضمن الملتقى الرابع للبعد الروحي في التراث الوطني الأمازيغي**، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، بجاية، جوان 2009، ص33.

2 - محمود إسماعيل: **الأغالبة ( 184_ 296هـ/ 805- 909م) سياستهم الخارجية**، مكتبة دراقة الجامعية، (د، ط)، فاس، (د، ت)، ص 44.

3- **المرابطون:** ويطلق عليهم اسم الملثمين لاستعمالهم اللثام، والذي كان شعار لمتونة، ثم شمل كل القبائل التي دخلت تحت لواء لمتونة، وأنشأوا دولة وحدة الغرب الإسلامي بين سنتي ( 430- 541هـ/ 1038- 1156م)، وسموا بالمرابطين لاستقرار مؤسس الدولة واتباعه في جزيرة بنهر السنغال ورابطوا فيها، أي ملازمة الثغور للجهاد والتفرغ للعبادة والاستعداد للجهاد. ينظر: ينظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، ص 75. ينظر أيضا: محمد فريد وجدي: **دائرة المعارف**، دار الفكر، مج4، (د، ط)، بيروت، (د، س، ن)، ص 177؛ سعيد أبو سيف الحوتي: **الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية**، مطبعة أبو العزم، ط1، بيروت، 2002، ص 387. ينظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، ص 75.

4 - حسين محمود: قيام دولة المرابطين ص166.

5- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 90.

6- نفسه، ص 38؛ عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج6، ص 226.

ونشرهم العقيدة الأشعرية[1] التي تشربها ابن تومرت من رجال الدين والفقه بالمشرق في رحلته المشهورة[2]، فبعد أن بلور هذه الفكرة واتخذ لنفسه لقب المهدي، كان عليه أن يحيط هذا اللقب بنسب آل البيت، وذلك لإضفاء طابع التقديس[3].

وتأثر ابن تومرت بالعديد من المذاهب والفرق الإسلامية المنتشرة في بلاد المسلمين، وأخذ منها ما يلائم اتجاهاته، ويخدم أهدافه، وجاء تراثه الفكري خليطاً مضطرباً متأثراً بكثير من النزعات الفكرية الغالبة، ولهذا فإنه يبدو من المقبول أن يطلق عليها العقيدة التومرتية نسبة له، وذلك لتميزها عن كل المذاهب السابقة بمنهج مستقل[4] .

فهو في مسألة الإمامة يقول برأي الرافضة[5]، وهو بهذا يوافق الشيعة الذين يجعلون الإمامة أصلاً من أصول الدين[6].

كذلك تأثر ابن تومرت بمذهب المعتزلة[7]، فقال ببعض آرائهم [8]، كما وافقهم في نفي الصفات[9] عن الله سبحانه وتعالى[1]، كما نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة في تأويل بعض صفات الله – سبحانه وتعالى–[2]، وتأثر بكثير من آراء الخوارج[3].

---

1 – **الأشاعرة:** فهم أتباع أبوالحسن الأشعري (260– 324هـ/ 873– 935م)، مشهور بالبصرة ويعود نسبه للصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 143.

2– ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج 1، ص 435.

3– سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، الإسكندرية، منشأة المعارف، ( د، ط)، ج5، 2000، ص 159.

4– نفسه، ص 159.

5 – حيث قال: "لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب الإمامة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق". ينظر: أبو عبدالله محمد ابن تومرت (524هـ/ 1130م): **أعز ما يطلب**، تقد وتح: عمار الطالبي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب (د، ط)، الجزائر، 1985، ص 245.

6– محمد رضا المظفر: **عقائد الإمامة**، (د، ن)، ط3، ( د، ب)، 1973، ص 71.

7– **المعتزلة:** هم أتباع عواصل بن عطاء البصري، وسموا بتلك التسمية لأنهم اعتزلوا قول الأمة في أن الفاسق من المسلمين هو بين مرتبة الكفر والإيمان. ينظر: عبد القاهر بن طاهر البغدادي: المصدر السابق، ص ص20– 21.

8 – كقوله: إن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، كما سمى مرتكب الكبيرة بالفاسق ولم يسمه بالمؤمن أو الكافر، وهذا قريب من مذهب المعتزلة. ينظر: عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت**، دار المغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1983، ص 362.

9 – حيث قال حينما تحدث عن صفات الله: "واشتغلوا بتعلم التوحيد فإنه أساس دينكم، حتى تنفوا عن الخالق التشبيه، والشريك، والنقائص، والآفات، والحدود والجهات، ولا تجعلوه سبحانه في مكان ولا في جهة فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن". ينظر: أبو عبد الله محمد ابن تومرت: المصدر السابق، ص 204.

إضافة إلى ما سبق، فإن الدارس لتراث دعوة ابن تومرت يدرك أنه أقام دولته على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما كانت المرأة محور هذه العملية، فكانت من ضمن التحولات التي أجراها، هو الانتقال السلس لنظام الأسرة من نظام الأسرة الأموسية إلى نظام الأسرة الأبوسية خلال النصف الثاني من القرن ( 6هـ/ 12م)، وهذا تأثير واضح للموحدين على ذهنية المجتمع بكل شرائحه[4]، والارتكاز على قضية تبرج النساء وخروجهن واختلاطهن بالجنس الآخر[5] وربطها بقلة الوازع الديني.

فكان المنطلق الأمثل للاستحواذ على فكر المجتمع والتأثير عليه من هذا الجانب، وصار نظام الدولة الموحدية متشددا في تطبيق الشرع الإسلامي وخصوصا في قضايا الأحوال الشخصية[6]، وتربعت قضية الميراث عند نساء المغرب على عرش القضايا[7]، إذ فرض عليها في ظل الدولة الموحدية أن تتخلى المرأة على إرثها لعائلتها[8]، وذلك لأسباب اجتماعية[9].

---

1- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 275.

2- يذكر ابن خلدون أن ابن تومرت هو الذي حمل أهل المغرب على القول بالتأويل والأخذ بالمذهب الأشعري في كافة العقائد. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 466

3 – عبد الله علي علام: **الدعوة الموحدية بالمغرب**، دار المعرفة بالقاهرة، ط1، 1964، ص151.

4- مس هذا التحول الاجتماعي المدن الشمالية للمغرب الإسلامي والجنوبية وحتى الجبال، ولكن المصادر تثبت أن المناطق الصحراوية لم يشملها هذا التحول لأسباب عدة منها طبيعة إنسان الصحراء، الذي لا يتأثر فكره بسهولة بالحضارات والدول المتغيرة، وأيضا تعتبر الصحراء مواطن القبائل الصنهاجية الكبرى منذ العهد المرابطي، ولهذا لا نستغرب الأمر، فالمجتمعات متأثرت وتبعة لطبائع وعادات الغالب. ينظر: حسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ج1، ص 49. ينظر أيضا: البكري: المصدر السابق، ص 175. ينظر أيضا: ابن بطوطة: **تحفة النظار في عجائب الأمصار**، تح: علي المنتصب (د، ن)، ط4، بيروت، 1985، ص77.

5_ يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ج6، ص 176.

6 – وهذا ما نجده في رسالة الفصول التي نهى فيها عن المنكر بجميع أشكاله. ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج6، ص 176.

7- الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغترب في فتاوى أهل افريقية والمغرب**، أخرجه جماعة من العلماء، إشراف: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج11، (د، ط)، الرباط، 1981، ص 293.

8 – نفسه، ج 8، ص 44.

9- نفسه، ج 9، ص صص 150، 153، 227.

وبحلول الدولة الزيانية وترسيخها للمذهب السني المالكي، أمروا بتدريس كتبه، إلى جانب العلم النظري للأصول من القرآن والسنة النبوية، وكتب التوحيد لابن تومرت في بداية عهد دولتهم، وأصبحت في ذلك المدرسة الرسمية والمساجد والزاوايا بمدينة تلمسان تعطي المكانة الأولى لتدريس الفقه طبق للمذهب المالكي[1]، فكان له الأثر الأكبر في نهضة الفقه المالكي بتلمسان والمغرب الأوسط[2]، وبذلك انتقلت الدولة الزيانية إلى اتباع المذهب المالكي تدريجيا، وتخلت عن اتباع مبادئ الموحدين في التوحيد والعقيدة، فكان المذهب المالكي يعتبر مذهب أغلبية مجتمع المغرب الأوسط.

**2- العرف**

أظهرت المصادر نظرة المجتمع للمرأة من خلال العادات والتقاليد التي تمارسها، والمستمدة من فكر الإنسان المتشبع بالقضايا الفقهية المنسجمة مع ثقافة العصر الذي يعيش فيه، ولهذا نجد جل العادات والتقاليد مستمدة حصرا من قانون التأثير الذهني والفقهي المتفشي في ذلك العصر، ولهذا فاليد الخفية التي تسير المجتمع وتتحكم في المرأة بالدرجة الأولى هو العرف والدين المتبع من مذهب وطريقة وعقيدة، فهنا يكون منبع الفكر الصحيح للمجتمع متأصلا في الرجل، ونستنتج كلامنا هذا من ذلك الخطاب الذكوري إن صح التعبير الذي تشير إليه الكتب المصدرية[3] .

وكلما ورد ذكر للمرأة، إلا ويوجه الخطاب للرجل يحذره ويشككه، ويطلب منه أخذ الحيطة من الوقوع في المحظورات بغية المحافظة على دينه، وهناك العديد من النصوص التاريخية التي سوف نوردها فيما بعد عندما نتقدم في إنجاز هذا البحث.

---

1- عبد العزيز فيلالي: **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص 97.

2 – عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 291.

3- المراكشي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح وتع: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2012، السفر الأول، ص 13. ينظر أيضا: أبو بكر بن علي الصنهاجي (المكنا بالبيذق): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1971ص 21وغيرهما.

فالعادات والتقاليد ما هي إلا قوانين سنها المجتمع الذي استمدها من المذاهب والطرق الدينية والعقائد التي مرت على منطقة المغرب الأوسط، وذلك من أجل تقييد المرأة، والحفاظ على نفسه ودينه، بدل الاجتهاد والتعب في الحفاظ عليهما.

وكان الفقهاء والقضاة وسائل لتطبيق التشريع الإسلامي على المجتمعات التي تحكمها، وعلى أساس مذهب الدولة، تشرع القوانين لضبط الأحوال الشخصية وتطبيق الشريعة الإسلامية من وجهة نظر الدولة .

فتأثرت العادات والتقاليد بمذهب الدولة، وهي بدورها تؤثر على الممارسات اليومية لعناصر المجتمع، فكل تجاوز من المجتمع عن الشرع بعادة أو تقليد، يلجأ الناس إلى الفقهاء لإيجاد المخرج الشرعي لمشاكلهم، وكان إنشاء فقه النوازل من بين الدلائل على هذا الكلام.

واتخذت المذاهب الفقهية العرف مصدرا تبني عليه الأحكام تطبيق القول الله تعالى:"خذ العفو بالعرف واعرض عن الجاهلين"[1].

وجرت عادات الناس بالالتجاء إلى القضاء للتحاكم فيما تنازعوا واختلفوا فيه حسب ما جبلت عليه طبيعة الناس من التنازع والشجار، لذلك كان القضاء فاصلا وقاطعا فيما يحتاجون إليه في شؤونهم المختلفة[2].

ومن الثابت أن مجتمع المغرب الأوسط، الذي تعتبر القبيلة أساس بنائه، كانت لديه مجموعة من الأعراف والتقاليد التي سارت عليها الحياة كأمور الزواج والطلاق و القضايا الجنائية وغير ذلك فيما يمس السلوك العام[3]، ولا بد للقاضي أن يكون من أهل البلد، مطلعا على أعرافه وأحوال المتقاضين وعاداتهم، وكان تطبيق الحكم يبنى على العرف السائد في

---

1-سورت الأعراف: رقم الآية 199

2- الغزي عيسى بن عثمان بن عيسى بن غازي أبو روح شرف الدين: **أدب القضاء**، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، السعودية، 1996، ص11

3- إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة و النشر، (د، ط)، لبنان، 2000، ص 240.

تلك البلاد[1]، ولهذا يقال عن ذلك أن العادة دليل أصولي بنى الله عليه الأحكام وربط به الحلال والحرام[2]، كما هو وارد في المنظومة الأصولية التي كانت من الأدلة الشرعية التي تقول:

فالمدعي من قوله مجـــــرد *** من أصل أو عرف يصدق يشهد

والمدعي عليه من قد عضدا *** مقالة عرف أصل شهـــــــــدا[3]

ونجد دليلا آخر عن اعتماد العرف في إطلاق الأحكام، وهو في الأبيات التالية:

للزرع بالدرس والحصاد *** وخدمة النساء في البوادي

على التساوي بحساب الخدمة قال ابن عرضون: لهن قسمة

قالوا لهم: في ذاك عرف يعرف *** لكن أهل فاس فيها خالفوا[4].

ولك يبقى الفقه قويا ويتلاءم مع متغيرات الوضع العام للمجتمع، يجب أن يظل متفاعلا مع حياة الناس ويظل عاملا على اتجاهين هما: العمل على توحيد الأحكام وتقريبها من القضاة، وأيضا العمل على تشريع أحكام جديدة للمستجدات التي تحدث باستمرار[5].

ولهذه الأحداث المستجدة على مجتمع الغرب الإسلامي، والمغرب الأوسط خصوصا استحدث فقهاء المغاربة مصدرا تشريعيا جديدا وهو "ما عرف ما جرى العمل به"[6]، وهذا

---

1- عمر عبد الكريم الجيدي: **العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب**، مطبعة فضالة، (د، ط)، المغرب، 1982، ص ص 86- 87.

2- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي: **أحكام القرآن**، تح: علي محمد البجاوي، عيسى ابنا الحلبي وشركائه، ط3، مصر، 2003، ج3، ص 50.

3- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي: **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام**، تح: محمد عبد السلام محمد، دار الأفاق العربية، ط1، مصر، 2011، ص 18.

4 - أبو عيسى المهدي الوزاني الفاسي: **تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس**، تق: هاشم العلوي الفاسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، (د، ط)، المحمدية، 2001، ص 276.

5- عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، المملكة المغربية، 1993، ص 198.

6- بدأ العمل بهذا المصدر التشريعي الجديد من قبل فقهاء الأندلس وبقرطبة بالذات لأن علمائها كانوا الأقدر من غيرهم على تطوير الأحكام، نظرا لتفقههم في العلم وإطلاعهم على أسرار الفقه، وقدرتهم على الترجيح والتخريج أكثر من غيرهم، ومن ثم دخل هذا الإصلاح كتب الفقه، وعمم على كامل الغرب الإسلامي. ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، (د، ط)، (د، ب)، 1968، مج1، ص 556. ينظر

راجع لكثرة المستجدات التي هي نتاج التأثير والتأثر بالعناصر المتفاعلة فيما بينها داخل المجتمع، ولهذا وجد فقهاء المالكية أنفسهم في حرج كبير في الموازنة بين الفقه والعرف داخل مجتمع تتسارع فيه وتيرة القضايا المستجدة، ووجود تعدد الأقوال في المذهب الواحد وحاولوا التغلب عليه باعتمادهم على القول الراجح والمشهور، ولكن هذا الحل فيه مشقة على الناس أو يخالف أعرافهم، ولهذا لجأوا إلى الأقوال الضعيفة وترجيحها على المشهور منها وهذا الإجراء الفقهي يخفف من وطأة كثرة تضارب الآراء الفقهية في مسائل الفروع[1].

صفوة القول:

إن الإنسان بطبيعته يتأثر بما حوله من محيط بيئي ونفسي واجتماعي، وبالتالي ينعكس هذا التأثير على أفكاره وحالته النفسية. ومن هذه المؤثرات نجد الخارطة الجغرفية التي بدورها تحدد لنا الإطار المكاني لدراسة المرأة والعناصر المؤثرة فيها ضمن حدود جغرافية معينة، وهذه الحدود تخضع للتمدد والتقلص حسب الظروف الطبيعية من توفر الماء والكلأ، أو حسب الحالة السياسية للدولة التي تخضع لها الرقعة (المغرب الأوسط) بين حالتي القوة والضعف.

ولهذا نجد هناك عدم وجود ثبات في الموقع الجغرافي للدراسة، فكان لابد لي من تتبع الحالة السياسية للدول المتعاقبة على منطقة الدراسة لتبيان حدود التأثير والتأثر على المرأة في المغرب الأوسط، ومدى هذا التفاعل مع الحالة السياسية.

وضمن هذه الحدود الجغرافية غير الثابتة، نجد عنصرا مهما في هذا التفاعل وهي البنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط، فكان هناك عدة عناصر منها المتأصل في بنياه مثل العنصر البربري، ومنها الوافدة عليه مثل العنصر العربي وغيره، ولهما التأثير المباشر على المرأة لأنها جزء من هذا المجتمع القبلي. فتتبع تحركات القبائل وتأثيرها على الحالة الاجتماعية.

---

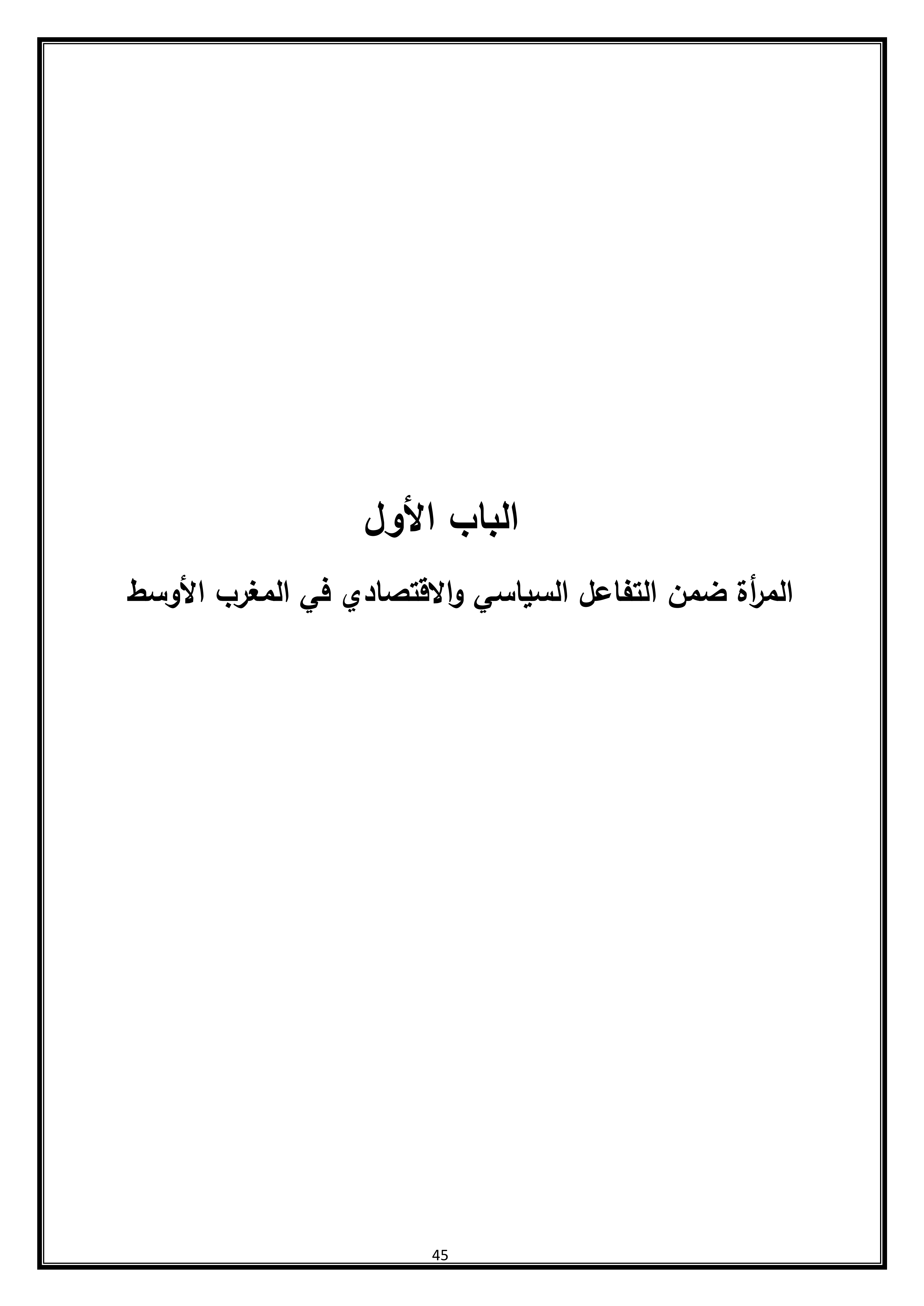
أيضا: إبراهيم شمس الدين محمد بن فرحون اليعمري المالكي برهان الدين أبو الفداء: **تبصره الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تح: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، (د، ط)، الرياض، 2003، ج1، ص 55.

1- عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي، ص 182.

وتأثر تلك القبائل بالحالة السياسية للدولة من بداية النهوض بالدولة إلى سقوطها تشكل لي نوع من الطبقية القبلية داخل البنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط، فكان الحضور القبلي كبيرا وواسعا وفعالا في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية فكان الحضور قويا في إنشاء الدول حتى خارج حدود المغرب الأوسط، فمثلا نجد قبيلة أوربة البرانسية التي رحلت من إقليم تلمسان إلى نواحي وليلي بالمغرب الأقصى خوفا من انتقام أبناء عقبة بن نافع الفهري الذي قتل من قبل زعيم قبيلتهم كسيلة وأنشأت، مع إدريس بن عبد الله العلوي الزيدي الفار من أيدي العباسيين، الدولة الإدريسية (172هـ/ 788م) رفقة مجموعة من القبائل الأخرى في منطقة وليلي ثم انتقلت إلى فاس.

ونلاحظ دور القبائل في إنشاء الدول داخل حدود المغرب الأوسط، فمثلا دولة الموحدين التي أقامها ابن قبيلة كومية الندرومية (من المغرب الأوسط) تكون هي في الريادة وممن يتقلدون أعلا المناصب، والدولة الزيانية قامت على أكتاف أسرة بني زيان وعصبتهم، وإذا تعمقنا في هذا المجتمع، نجد المؤثر الأهم على المرأة و أثرت بدورها فيه، هي العادات والتقاليد.

وكل هذه المؤثرات على نشاط المرأة في المغرب الأوسط له نتاجه وله آثاره على حياة نسائه والمجتمع ككل.



# الباب الأول

## المرأة ضمن التفاعل السياسي والاقتصادي في المغرب الأوسط

**الفصل الأول: المرأة بين تأثرها وتأثيرها في الكيانات السياسية المتصارعة بين القرنين(6-9هـ/12-15م)**

**المبحث الأول: المرأة بين الوساطة والاستشارة**

**المبحث الثاني: المرأة والتجسس السياسي**

**المبحث الثالث: دور المرأة النفسي (المعنوي) في الحرب**

**المبحث الرابع: المرأة في دائرة العلاقات السياسية ( المصاهرة)**

**الفصل الثاني: المرأة العاملة في الميدان الاقتصادي**

**المبحث الأول: النشاط الاقتصادية في المغرب الأوسط**

1ـ العمل في مفهوم إنسان المغرب الأوسط

2ـ الوضع العام لاقتصاد المغرب الأوسط

أ- الزراعة

ب- الصناعة

3- أسواق المغرب الأوسط

أ- أسواق يومية

ب- أسواق أسبوعية

ت- أسواق موسمية

**المبحث الثاني: دور المرأة الاقتصادية**

1ـ المرأة والفلاحة بالمغرب الأوسط

2ـ المجهود الصناعي للمرأة في المغرب الأوسط

أ- الصناعة النسيجية في المغرب الأوسط

أولا- المرأة السراقة

ثانيا – الحياكة

ثالثا- المرأة الخياطة

رابعا- الصباغة

خامسا- المرأة وحرفة القصارة

ب- الصناعة الغذائية

3ـ المرأة والتجارة في المغرب الأوسط

أ- التجارة

أولا-التجارة الداخلية

ثانيا- التجارة الخارجية

ب- المرأة التاجرة

أولا-المرأة الدلاّلة

ثانيا-المرأة السمسارة

ثالثا- المرأة البائعة

# الباب الأول: المرأة ضمن التفاعل السياسي والاقتصادي في المغرب الأوسط

## الفصل الأول: المرأة بين تأثرها وتأثيرها على الكيانات السياسية المتصارعة بين القرنين(6-9هـ/12-15م)

لم يكن وجود المرأة في الساحة السياسية جديدا على المغرب الأوسط، ولا المغرب الإسلامي ككل، ويمكنني تمثيل ذلك بشخصية الكاهنة[1] التي كانت تتزعم جراوة البترية، وهي تتقلد بدورها رئيسة جيش قبيلتها.

وكانت مهابة من الأعداء وحتى من البربر. ورجال قبيلتها تحت سلطتها ينفذون كل أوامرها، وقد قيل: " أن جميع من بإفريقية من البزنطيين منها خائفون، وجميع الأمازيغ لها طائعون"[2]، فقد أثرت في مجريات الأحداث في تاريخ المغرب، وفي تاريخ الفتوحات الإسلامية برمتها، فأطالت زمان الفتح، وغيرت الخطط الحربية للفاتحين، وغيرت نظرتهم عن نساء المغرب بعدما كان الفاتحون يستمدون نظرتهم للمرأة مما عاشوه وعاصروه من نساء المشرق. فقد حاربن جنبا إلى جنب مع الرجال، وحتى إن قادت النساء الرجال فلا ضرر في الأمر.

وبذلك انقلبت كل الموازين التي عاشوا عليها مع تسامح وتساوي رجال البربر بنسائهم.

---

1 – **الكاهنة:** وهي ديهيا بنت ماتيه بن تيفان بن باروا وقيل اسمها دهيا بنت ماتيه بن نبعان بن باروا، ولقبت بالكاهنة لأنها كانت تخبر قومها بأشياء من الغيب، وهي زعمة قبيلة جراوةالزناتية البترية بناحية الأوراس في المغرب الأوسط، وقد كانت الكاهنة طويلة القامة ممتلئة الجسم طويلة الشعر توفيت في عهد حسان ابن النعمان بعد مواجهات كثيرة معه، حيث حكمت قومها خمسا وثلاثين سنة( وفي رواية خمسا وستين سنة)، وقيل أنها عاشت مائة وسبعا وعشرين سنة. ينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي( ت449هـ/ 1058م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994، ج1، ص 56. ينظر أيضا: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، صص 135- 136. ينظر أيضا: ابن خلدون: العبر، ج7، ص 12.

2 – الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، ص 46. ينظر أيضا: المالكي: رياض النفوس، ج1، ص ص 49- 50.

ونجد مساهمة المرأة في المجال السياسي من طبقة العامة أيضا بمشاركتها في التجمع الموسمي حول أضرحة الأولياء الصالحين في كامل المغرب الإسلامي مثلما كان في رباط شاكر[1] عدد من النساء.

وتطرح هناك عدة قضايا أمنية وتنظيمية للسلطة في كل إقليم، إذ انخرطت النساء تحت لواء المتصوفة[2] المعارضين للسلطة نتج عنه تأثير أكبر في المجتمع من خلال إرباك العلاقة بين السلطة والمجتمعات التي تحكمها، وأظهر تجمع المتصوفة مع النساء والرجال حول الأضرحة تخوفا للسلطة، وخصوصا عندما استحوذ المتصوفة الخطباء على منبر شاكر[3]، وحدث هذا في جميع الرباطات في المغرب الإسلامي.

ونلاحظ هنا أم محمد السلامة[4] التي عبرت عن فرحتها عقب انتصار المسلمين في موقعة الأرك ( 591هـ/ 1195م)، تستحضر الحضور الوجداني في أبياتها ومقدرتها على فهم الوضع العام للدولة[5].

من هنا نجد اهتمام مصادر التاريخ الإسلامي بتاريخ النساء في المجال السياسي والعسكري وحتى الدبلوماسي، فمثلا كان جل اهتمام كتب الحوليات منصبا على نوع خاص من النساء، وهن اللواتي كان لهن دور في توجيه مجرى الأحداث التاريخية.

---

1 – **رباط شاكر:** سمي على شاكر بن السيد يعلى بن مصلين الرجراجي، يقال إنه رحل إلى عقبة بن نافع المتواجد في القيروان، ثم دخل معه المغرب فأطلق عليه لقب صحابي، فعرف المكان الذي بناه برباط شاكر. ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى: المصدر السابق، القسم الثاني، ج4، ص 115. ينظر أيضا: العباس بن إبراهيم: **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، (د، ط)، الرباط 1980، ج9، ص 309–317.

2 – أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (617هـ/ 1220م): **التشوف إلى رجال التصوف**، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعوم الإنسانية، (د، ط)، الدار البيضاء، الرباط، 1984، ص 316.

3 – رشيد قطان: "المرأة المغربية في أدب المناقب (التشوف إلى رجال التصوف) نموذجا"، **مجلة أمل**، الدار البيضاء، ع: 13– 14، السنة 1998، ص 134.

4 – **أم محمد السلامة:** من أهل قرية تايدافالت ببلدة دكالة، تعتبر من النساء المتصوفات. ينظر: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 387.

5 – نفسه، ص 388.

في حين أن الطبقة العامة قد اوردت إشارات نادرة ومنتشرة بين دفتي كتب مصادر التاريخ الوسيط، وهذا راجع إلى أن كل مؤرخ يكتب عن الطبقة التي ينتمي إليها، والتي احتك بها.

ولهذا كانت كتب الجغرافيا هي الملاذ الذي يسد النقص الذي تركته كتب الحوليات، ولكن في المجال السياسي نجد ندرة في تأثير نساء العامة في تغيير المجريات التاريخية، بل نجد إشارات مع استنتاجات حول تأثرها بما يحدث في الساحة السياسية من تغيرات وتصعيد للأحداث بين أيام السلم والحرب.

**المبحث الأول: المرأة بين الوساطة والاستشارة**

شكل ابن تومرت[1] إدارة عمادها مجموعة من المجالس الاستشارية ذات طابع تراتبي، فكان مجلس العشرة والخمسين، والسبعة والسبعين، إلى جنب مؤسستي الطلبة والحفاظ[2]، وفي هذه المجالس والمؤسسات لم نجد ذكر لأي امرأة موحدية ولا في أي منطقة من المغرب الأوسط، بالرغم من أن الهدف الأساسي من إنشاء هذه التنظيمات، هو تلقين مكثف للقبائل مذهبيا وسياسيا، والنساء في هذا المقام أكثر تأثيرا وتأثرا بأختها المرأة.

وهذا راجع أساسا إلى العقيدة التي اعتمدتها الدولة لتسييرها، وهي العقيدة التومرتية التي ترفض اختلاط الرجال بالنساء[3] المستمدة من التعاليم الدينية، ومع هذا نجد بروز نساء

---

[1]- **ابن تومرت:** هو محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري(424-485هـ/1130-1092م)، أبو عبد الله الملقب بالمهدي، وهناك من يرجع نسبه إلى علي ابن أبي طالب، ينتمي إلى قبيلة المصامدة والتي تعرف بهرغة السوس، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي ملك المغرب وواضع أسس الدولة المؤمنيةالكومية، رحل إلى المشرق طلبا للعلم، فكان فقيها وعارفا بأصول الدين، رحل إلى مركش وتوفي سنة ( 524هـ/ 1130م). ينظر: ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص ص110- 111. ينظر أيضا: الزركشي: تاريخ الدولتين، ص ص ص 4، 6، 7. ينظر أيضا: ابن القطان: المصدر السابق، ص 34.

2 - فهؤلاء أصحاب ابن تومرت العشرة السبّاقون إلى دعوته المصدقون بإمامته المنقادون لإمارته المسارعون إلى بيعته، وقد سمّى ابن تومرت هؤلاء العشرة بالمهاجرين الأوّلين وبالجماعة ثم بايعه من بعدهم خمسون رجلا فسمّوا أهل خمسين ثم بايعه من بعدهم سبعون آخرون فسمّوا أهل سبعين، فكانت هذه الطبقات تضم أخلص أنصار ابن تومرت. ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176. ينظر أيضا: محمد عبد الله عنان: دولة **الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، (د، ط)، القاهرة، ( د، ت)، ج3، ص174.

3 - رشيد بورويبة: **ابن تومرت**، تر: عبد الحميد حجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 50.

فاعلات في الدولة الموحدية أولهن أم أبي بكر زينب[1] أخت المهدي بن تومرت التي كان لها تأثير على أخيها ومن حوله من الأتباع، من خلال الاستشارة السياسية التي خصت بها، وكانت ذات شخصية قوية ولها حنكة سياسية كبيرة لأنها قامت بتسيير الدولة الموحدية في ظرف عصيب يتمثل في مرض أخيها المهدي بن تومرت[2]، وكانت مكانتها أكبر من مكانة أصحابه، حيث كانت تستشار، ولها يد في تسيير أمور الدولة، والقيام بأعباء الحكم مع خمسة من المقربين على مدى ثلاث سنوات[3].

وامتد تأثيرها حتى مع عبد المؤمن بن علي[4] عندما باركت انتقال الخلافة إليه بعد وفاة أخيها المهدي[5].

وورد أن عبد المؤمن بن علي كان يجلس مع أصحابه بجانب قبر المهدي للتفاوض هناك في شؤون الدولة بمحضر أخته زينب[6].

كما نعرف أن الموحدين كانوا يرفضون الاختلاط[7]، ومع ذلك سمحوا بحضور زينب

1- **أم أبي بكر زينب:** هي أخت المهدي ابن تومرت، كانت تعمل بالغزل، لجمع قوة يومها وتغذية أخاها، فكانت تشتري رغيفا وقليلا من السمن أو الزيت. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 54.

2 – البيذق: أخبار المهدي، ص 42.

3 – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص 54.

4- **عبد المؤمن بن علي: (438-487هـ/1163-1094م):** هو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان، وهو ينتمي إلى بني مجبر بطن من قبيلة بني عابد احدى قبائل كومية، ولد بقرية تاجرة القريبة من مرساه نين بساحل تلمسان في شهر يناير آخر عام (487هـ/ 1095م)، على عهد يوسف بن تاشفين، بويع بالخلافة سرا بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة (524هـ/ 1130م)، لقب بأمير المؤمنين الكومي، القيسي، المغربي بويع سنة (526هـ/ 1132م) بجامع تينملل، وهو مؤسسة الدولة الموحدية توفي سنة (558هـ/ 1163م). ينظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 107. ينظر أيضا: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/ 1374م): **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ج 20، ط2، بيروت، 1982، ص 366-368.

5 – البيذق: أخبار المهدي، ص 42.

6- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 270.

7- البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص47.

أخت المهدي كعنصر نسائي ضمن مجموعة من الرجال[1]، وهذا لعظم مكانتها ودورها الإيجابي في دعم الدعوة الموحدية.

وبقيت على ما هي عليه حتى بعد وفاته، فمشاركتها في مجلس شيوخ الموحدين على عهد عبد المؤمن بن علي ما هو إلا دليل على وعيها العقائدي وحرصها على نشره، وقدرتها على فهم سياسة المنطقة.

ولم ترد لنا المصادر أي دور سياسي لفندة (أو بندة) أخت عبد المؤمن بن علي ولا غيرها سوى حادثة الافتداء التي قد أشار إليها البيذق، حيث افتديت مع ابنتها من فاس من عند الصحراوي مقابل سيد الملوك بن يزدعسنيت السدراتي[2] بعد مداهمة أبي حفص مدينة وهران[3].

ولم يرد ذكرها فيما بعد، وهذا راجع إلى أن مؤرخي الدولة الموحدية يلتزمون الصمت اتجاه أي قضية تدخل فيها النساء، وبالخصوص نساء البلاطات وتأثيرهن على الخليفة وحاشيته إلا إذا سقطت سهوا. ولهذا نجد انقطاعا تاما لأخبار النساء في المصادر خلال عصري نشأة الدولة وازدهارها.

ورغم ذلك نجد إشارة لذكر النساء في عصر ضعف الدولة الموحدية[4] مثل جارية الخليفة المعتصم التي كانت تكتب له رسائله، وتقيد له علامة الموحدين" والحمد لله وحده"وهذا مس برمز وهيبة الدولة[5]، وهددت ببداية نهاية الخليفة المعتصم، ومنه الدولة برمتها.

---

1- ذكر ابن خلدون أن زينب أخت المهدي كانت ضمن الأشخاص العشرة الذين كانوا يكتمون سر مرضه، وعرفوا فيما بعد بـ "أصحاب المهدي". ينظر: **العبر**، ج6، ص ص 472، 473.

2 – **يزدعسنيت السدراتي:** من أصحاب ابن تاشفين، وهو الناجي الوحيد من حصار أبو حفص لمدينة وهران.... ينظر: البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 42.

3 – الزركشي: تاريخ الدولتين، ص 65.

4 – ينظر ملحق رقم 3.

5– ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب" قسم الموحدين"، ص 329.

وكتمت حبابة الرومية[1] خبر وفاة زوجها الخليفة المأمون لترتيب بيت الخلافة لصالحها وصالح ابنها عبد الواحد الرشيد، فاستحوذت على البيعة الخاصة، وقامت بتخفيف غضب الروم، فدفعت لهم فدية كتعويض لهم عن حرق كنيستهم[2].

وهنا كانت كوسيط بين المسلمين والنصارى، وغيرت مجريات الأحداث من الحرب إلى السلم. ووقفت في وجه الفتن الداخلية، مما جعلها تستدعي ابنها الخليفة الرشيد من إحدى غزواته لإطفاء نار الفتنة.

وكان للزرقاء المردنشية تأثير كبير على زوجها الخليفة أبي يعقوب يوسف، حتى ولع بها، فتمكنت من السيطرة عليه[3]، ونال أبناء مردنيش المناصب العليا في الدولة4، وهذا ما زاد في اضطراب أحوال البلاط الموحدي، وكان تأثيرها السلبي على سياسة الدولة كبيرا مما أذن بتقهقر أحوال الدولة.

وفي سنة (576هـ/ 1180م) وقعت الأميرة زينب الموحدية أسيرة الأسطول الصقلي الذي استولى على سفينة مغربية، وكانت الاميرة توجد على متنها وهي في طريقها إلى تونس لتزف إلى خطيبها الأمير أبي زيد عبد الرحمن، وتم هذا في الوقت الذي كان فيه الخليفة يقوم بعملية تأديب لابن الرند في قفصة في عهد الملك "كيوم الثاني"الملقب "بالطيب"، وأخذت الأميرة الموحدية إلى قصره، وعندما تبين لهم أنها أميرة، عاملوها معاملة تليق بمكانها. وأصدر "كيوم الطيب " أمره بإعادتها فوَرًا إلى قصر والدها[5].

---

1 – **حبابة الرومية:** وهي جارية نصرانية، اتخذها الخليفة المأمون الموحدي (621هـ/ 1231م) أمولد، فأنجبت له الرشيد. ينظر: عفيفي محمود إبراهيم: **الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب**، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 2002، ص 279. ينظر أيضا: عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي ـ تنظيماتهم ونظمهم ـ**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991، ص 141.

2– ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 425.

3 – آدم متز: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تر: محمد عبد الهادي أبو رندة، التونسية للنشر، (د، ط)، جزآن، تونس، 1986، ج1، ص 244.

4 – ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص 281.

5Le Compte de maslatrie: **traités de paix et de commerce**، 1868، pp. 51–52.

وتأثر الخليفة من هذه المبادرة، وبعث وفدا يترأسه سفير مغربي إلى صقلية من أجل تقديم الشكر إلى ملكها، والتفاوض معه حول تطوير العلاقات بين البلدين[1]، وبذلك أبرمت اتفاقية سلام بين الطرفين، وتلك الحادثة وطدت العلاقة الودية بين متصارعي الأمس، وهكذا أثرت الأميرة زينب على الساحة السياسية، وغيرت كل الموازين التي كانت تتحكم في مصير الدول، فعاد هذا التأثير حتى على مستوى المعاملات الحيوية كالتجارة وغيرها.

وكان تأثير الأميرة أم زيد من نوع آخر، حيث تمثل عفوها على الخليفة يعقوب المنصور في مقتل ابنها، واعترفت به خليفة، وبهذا الموقف، أضحت واسطة خير بين أفراد أسرتها. فقد ولى الخليفة أخاها ولاية فاس ثم ولاية مالقة، وأوصى بولاية العهد لابنها الناصر بعد خاله[2]، وهذا تأثير بطريقة غير مباشرة على الخليفة، فنالت المراد للأحياء من العباد.

وكتمت جنان، ذات الأصل الإسباني، وجارية أبي العلا إدريس المأمون، وفاة الخليفة المأمون أثناء حصار مدينة سبتة إلى غاية أخذ البيعة لولدها. وهي تملك شخصية قوية وذكاء يصل إلى الدهاء.

وعرفت كيف تتعامل مع مجريات الأحداث السياسية فحافظت على قوة الدولة وعلى وراثة الحكم[3].

وعموما فالدولة الموحدية سلمت من تدخل النساء سواء في طور التأسيس أو الازدهار، ومرد ذلك إلى تشدد الموحدين تجاه المرأة تنفيذا لمبدأ ابن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا لا يكون إلا بمنع الاختلاط بين الجنسين، والحد من حرية المرأة في بداية أمرهم [4].

أما في طور الضعف والانحلال، فقد سجل تدخل المرأة في السياسة الموحدية باستشارتها أو تزكيتها لبعض الأطراف في تولي بعض المناصب.

---

1- عبد الهادي التازي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**، 1994، ص53.

2- ابن عذاري: المصدر السابق، ص 233.

3 - ابن أبي الزرع: الأنيس المطرب، ص 254.

4 - البيذق: المصدر السابق، ص 43.

وتزايدت وتيرة تدخل النساء في الحكم، وذلك مرده لعدم مبالاة الخلفاء في انتقاء أمهات الأولاد من الجواري، فكن من الروميات والصقالبة، وكل واحدة منهن تريد تقليد أقاربها المناصب الإدارية المختلفة، مثل الأميرة حبابة الرومية والزرقاء المردنيشية وغيرهما.
وهذا يزيد من اضطراب الأوضاع الداخلية للبلاط الموحدي، ومن ثم التأثير على الإدارة والهيكل العام للدولة، فيكثر التنافس بينهم.

ولعبت المرأة في المغرب الأوسط دورا هاما في الحياة السياسية خلال أطوار الدولة الزيانية، وتشهد الأحداث التاريخية بذلك، أولها عند تدخلها في الشؤون الداخلية للحكم من خلال الصراع بين بني حفص[1] وبني زيان سنة( 640هـ/1243م)، حينها خرج السلطان يغمراسن بن زيان[2] فارا بجلده نحو الجنوب عبر باب العقبة[3]، تاركا أبا زكرياء الحفصي[4]سنة

[1]- **بنو حفص:** كونوا إمارة بني حفص (982-626هـ/1573-1228م) بالمغرب الأدنى، اختلف علماء التاريخ في نسب أمراء بني حفص، فمنهم من أرجعهم إلى عمر بن الخطاب منهم من أرجعهم إلى قبيلة هنتانة التي تعتبر من أهم قبائل المصامدة، ويعتبر أبو حفص من زعماء المصامدة الذي ناصر محمد ابن تومرت، وعندما تولى الخلافة الموحدية الناصر بن المنصور أسند إلى أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص الهنتاني أمر إفريقية وأعطاه مطلق التصرف في إفريقية، ومنها ورث الملوك الحفصيين سلطنة تونس وإفريقية، ويعتبر الانفصال الرسمي عن الدولة الموحدة بالنسبة للحفصيين على يد أبي زكرياء عبد الواحد الحفصي 626هـ/1229م. ينظر: الزركشي: تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية، ص ص25، 35. ينظر أيضا: ابن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،** مطبعة الدولة التونسية، (د، ط)، (د، ب)، 1982، ص 69.

22- **يغمراسن بن زيان:** أول ملوك تلمسان، وقد سمي يغمور، وهو ابن زيان بن ثابت بن محمد بن زكدان بن تيدوكين، كان أشد بأسا وأعظم في النفوس مهابة، وجلالة، وأعرفهم بمصالح قبيلته، ولي بعد مهلك أخيه أبي عزة زكدان سنة (633هـ/ 1236م)، كانت مواقفه حازمة ضد أعدائه من بني مرين، توفي برهيو من وادي شلف سنة 681هـ. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج7، ص107.

3 – عبد العزيز فيلالي: **تلمسان في العهد الزياني،** دار النشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2002، ج1، ص22.

4 – **أبو زكريا الحفصي:** (626 -764هـ/1228 -1244) هو أبا زكرياء يحي الأول بن عبد الواحد بن أبي حفص كان قائدا وعين عهد الموحدين واليا على مراكش، لم يبلغ إلا 23 سنة، كان رجلاً بارعا، ذو نضج سياسي وذوق معتدل، ومظهر بسيط، كان ورعا مثقفا متأثرا بالحضارة الأندلسية، استغل تراجع السلطة في عهد المأمون الموحدي، وفي سنة (267هـ /1229م) أسقط اسم الخليفة يحي بن الناصر الموحدي من الخطبة، وكانت البداية لإعلان الاستقلال، عندما سمى نفسه بالأمير، واستقل بالملك سنة (634هـ /1236م). ينظر: روباربرنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م،** تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص51-50.

( 640هـ/ 1243م) يغزو بجيشه بني زيان من باب كشوط[1] فأخذها عنوة[2] وعاث فيها فسادا.

وهنا تدخلت في هذه الأثناء والدة يغمراسن (سوط النساء)، فتفاوضت مع أبي زكرياء، وفي ذلك قال ابن خلدون: "ووفدت أمه سوط النساء للاشتراط والقبول، فأكرم وصلها، وأسنى جائزتها، وأحسن وفادتها ومنقلبها"[3]، فعقدت معه الصلح بإبرام معاهدة بينهما تنص على الجلاء مقابل الولاء، وإتاوة قدرها مائة ألف دينار[4].

بينما يذكر صاحب البغية أن أبا زكرياء هو من أقطع يغمراسن أرضا بإفريقية، مبلغ جبايتها إعانة له على مواقفه مع بني حفص، ولخزانة تلمسان[5]، فكان تأثير سوط النساء كبيرا في العلاقة بين الحفصيين والزيانيين[6]، وأخمدت نار الحرب، وساهمت في إقامة الدولة الزيانية بناء لا تهديما.

---

1- **باب كشوط:** شيده السلطان يغمراسن في سنة 665هـ ./1265م، ويقع غربا يستقبل القوافل الواردة والمتجهة إلى المنطقة الغربية والجنوبية إلى محور تازا، وجدة، سجلماسة، وفقيق. ينظر: بوزيان الدراجي: **أدباء وشعراء من تلمسان**، دار الأمل للدراسات، تلمسان، 2011، ج1، ص165. وينظر أيضا: مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، (د، ط)، الجزائر، 2009، ج2، ص113.

2- ونزل بها يوم الأربعاء 29 لشهر الله المحرم فاتحا سنة 640هـ، وبعسكره إثنا عشر ألف رامٍ مترجلة سوى الركبان. ينظر: الزركشي: تاريخ الدولتين، ص29. ينظر أيضا: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص205.

3 - عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج7، ص108.

4 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 22.

5- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص205. ينظر أيضا: الزركشي: المصدر السابق، ص29.

6- **الزيانيون:** وهم بنو عبد الواد، أهم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته البربرية وموطنها الأصلي المغرب الأوسط وهي أقوى القبائل البربرية البترية عددا وعدة، فكزنوا إمارة بني عبد الواد (962-633هـ/1554-1235م) بالمغرب الأوسط، تنتسب دولة بني عبد الواد أو بني زيان إلى قبيلة بني عبد الواد إحدى بطون زناتة، وكان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط، حيث بدأ أبو يحي يغمراسن مهامه كحاكم لإقليم تلمسان وجعل قاعدته مدينة تلمسان ومقر إدارته سنة (633 هـ/ 1236م). ينظر: يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص ص101، 102. ينظر أيضا: عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص15-14. وينظر: عبد الرحمان بن خلدون: العبر، ج 7، ص ص ص43، 30، ج13، ص 149.

ويقال أن امرأة قد دخلت السياسة قبل سوط النساء[1]، وكانت زوجة أخييغمراسن، ولكن يغمراسن حاز على الشهرة، واستحق الشكر.[2]

كما عملت المرأة مستشارة لدى الحاكم، وذلك حين تزوج أبو سعيد عثمان[3] بن يغمراسن ابنة السلطان أبي إسحاق إبراهيم[4] بن زكرياء الحفصي.

وحسبما ذكر ابن خلدون، فقد تقدمت قهرمانة إلى زوجة السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن تخبرها بوفاة زوجها، فيقول: " أخبرني شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم الآبلي، وكان في صباه قهرمان دارهم قال: هلك عثمان يغمراسن بالديماس... وجاء الخادم إلى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكرياء صاحب تونس وخبرها الخبر، ووقعت عليه، وخيمت على الأبواب بسدادها، ثم بعثت إلى أبيه محمد أبي زيان[5] وموسى أبي حمو[6] فعزتهما عن أبيهما، وأحضرا مشيخة بني عبد الواد"[7]، وسبب قيام زوجة السلطان بإخفاء موت زوجها، هو خوفها من ظهور البلوى والفوضى داخل الدولة الزيانية حول السلطة.

---

1- لم تشر أغلب المصادر عن حياتها سوى أنها أم يغمراسن بن زيان.

2- لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تح، محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، بنغازي، ليبيا، 2009، ص72.

3 - **أبو سعيد عثمان:** ولد (سنة 639هـ/ 1242م) . كان شهما مقداما، محببا إلى القلوب، بويع أوائل ذي الحجة سنة (681هـ/ 1283م) . بعد أبيه، توفي يوم السبت ذي القعدة سنة 703هـ . بسبب نزلة أصابته في الحمام، وعمره 64 سنة، حكم 21 سنة غير شهر. ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص210-208.

4- **أبو إسحاق إبراهيم:** ولد سنة (631هـ/ 1234م)، تولى الحكم بعد أن خلع الواثق نفسه، وبويع يوم الأربعاء 678هـ، فقتل يوم الخميس 27 ربيع الأول 682هـ الموافق ل 1283م. ينظر: محمد مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ص552.

5- **محمد أبي زيان:** ولد سنة (659هـ/1261م)، وبويع سنة 21 شوال 707هـ الموافق لـ 1308م، وحكم 4 سنين، شهد في عهده الحصار الطويل لتلمسان أو ما يعرف بحصار 8 سنوات. ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص210.

6- **موسى أبو حمو بن السلطان أبي سعيد عثمان:** ولد سنة(665هـ/1266م)، بويع بعد وفاة أخيه أبي زيان سنة (707هـ /1307م)، توفي سنة (718هـ/ 1318م)، عمره 53 سنة، ودام ملكه عشرة سنين ونصف. ينظر: نفسه، ص215-212.

7- ا بن خلدون: العبر، ج7، ص ص127- 128.

وعملت المرأة داخل البلاط الزياني بالشؤون الإدارية الخاصة بالقصر الذي يعرف بجهاز الموظفات اللواتي يسيرن الشؤون الخاصة لزوجة السلط، وهذه الوظيفة هي قهرمانة القصر السلطاني، وتكمن في القيام بكل ما يتعلق بخصوصية القصر. وكانت هذه الظاهرة متفشية داخل القصر الزياني.[1]

وأثناء الحصار المريني على تلمسان سنة( 698- 706هـ/ 1299- 1306م)، والذي دام ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام، تضاعف بتلمسان الجهد، ونفدت الأقوات، وكادت تلمسان تسقط ويفنى ملك بني عبد الواد.[2]

هنا ظهر تأثير القهرمانة على الساحة السياسية في تغيير مجرى الأحداث التاريخية، حيث تقدمت إحدى نساء البلاط الزياني، تدعى "**دعد**"[3]، ودخلت على أبي حمو وأبي زيان وحيتهما، وأخبرتهما بما اتفقت عليه أميرات بني زيان وسيدات القصر[4]، وذلك بتبليغ الملك رسالة منهن وهي أن يقوم بقتلهن خشية منهن على شرفهن من العار والذل، وانتهاك حرمتهن وحرمة رجالهن لما قد يفعله عدوهم بنو مرين إذا اقتحموا المدينة، وفي ذلك قال ابن خلدون: "وحدثني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبلي قال:"جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم الأربعاء في خلوة زوايا قصره، وسأل خازن الزرع، كم بقي من القمح في المخازن؟ فقال له: بقي عولة يومين على أقل، فاستوصاه بكتمانها، فأخبر بذلك أخاه أبا حمو، فوجم لها وجلسوا لا ينطقون، وإذا بالخادم "دعد" قهرمانة القصر، خرجت إليهم فوقفت وحيتهم تحيتها وقالت: تقول لكم خطايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء، فأريحونا من معرة السبي، وقربونا إلى مهالكنا.

1- ابن خلدون: العبر، ج7، ص 127.

2- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص211-210.

3 - **دعد**: وهي قهرمانة، وأمينة صندوق بنت أبي إسحاق زوجة عثمان بن أبي يغمراسن. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج7، ص 129.

4-نفسه، ص129.

فالحياة في الذل عذاب، والوجود بعدكم عدم... فقال أبو حمو لأخيه: ما أنت فاعل بهن؟ فقال: أرجئني لثلاثة أيام، وسرح اليهود والنصارى لقتلهن، وتعال نخرج في قومنا فتستميت، وأجهش بالبكاء، فغضب أبو حمو...".[1]

وكانت حسرة السلطان أبي محمد زيان كبيرة على ما آل إليه عبد الواد، إضافة إلى خوف النساء على شرفهن وشرف بني زيان. فجاء الحل من قهرمانة القصر بنزع مشكل كبير من المشاكل التي تؤرقه أكثر من الملك، وذلك للتفرغ للقتال بدون خوف ولا قيود، حتى جاء الخبر أن يوسف بن يعقوب[2] هلكالساعة[3].

ويبدو أن صبر أبي زيان على بنات قومه أتى أكله، كان النبأ كالصاعقة على الدولة الزيانية[4]، فيعتبر فرجا لنساء بني زيان، الذي حموا شرفهم، وشرف بني زيان من الانتهاك والذل.

**المبحث الثاني: المرأة والتجسس السياسي**

وكانت النساء من أهل الذمة، يقمن بمهام داخل النظام التجاري وخصوصا في عهد الدولة الزيانية، وهذا ما يدخل في مجال التجسس، وإعطاء الأخبار للسلاطين، وكان للنساء دور كبير في مجال الاستخبارات التي كانت تلعب دورا حيويا في مجال الاستقرار والأمن،

1- ابن خلدون: العبر، ج7، ص129.

2- **يوسف بن يعقوب:** ولد سنة 638هـ . ربيع الأول، حكم من سنة (685-706هـ ./1286-1307م) أخذ البيعة عن أبيه يعقوب بن عبد الحق الذي مات بالجزيرة الخضراء، استتب ملكه، واستقام أمره، ففرق الأهوال، وصلح أمر الناس في أيامه، يعتبر سادس الأمراء المرينيين، قاد الحصار الكبير على تلمسان الذي دام 8 سنوات. ينظر: الناصري: الاستقصا، ج3، ص66.

3 – قتل من طرف رسول من بني مرين، فبينما أبو يعقوب يوسف السلطان المريني مبتذل بين نسائه، إذ دخل عليه عبد من أخبث خصيان القصر، وبيده سكين فضربه ضربة مزقت معدته، فعاش السلطان بقية يومه ثم مات سنة (707هـ /1307م)، فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ رسالته بمسمع منهم. ينظر: ابن خلدون: العبر، ص7، ص130.

4 – محمد مقديش: المصدر السابق، ص524.

واستعمل فيها الرجال والنساء والجواري لأغراض استخبارتية ضد المناوئين والمعارضين للدولة في الداخل والخارج.[1]

فنجد قضية مقتل الخليفة محمد الناصر[2] 'لتي كانت على يد جواريه وذلك بأمر من وزرائه، فقد دسوا له السم في كأس خمرلأنه عزم على قتلهم فقتلوه دون ذلك[3]، وهكذا ساهمت جوسسة جواري المتعة(اللذة) في التأثير على السياسة من خلال القضاء على الخليفة والإبقاء على الوزراء للاستبداد بالحاكم والحكم، ونستنتج أن الأمر بقتل الوزراء وصل إليهم قبل تنفيذه من طرف الجواري الجاسوسات، ومرد ذلك أن الناصر بعد معركة العقاب جاء متفاخرا بنصره وغنائمه فغاص في الملذات من النساء والخمر، وكما قال صاحب الروض القرطاس " فأراه الله عز وجل تلك الآية ليعلم أن النصر من الله عز وجل، وأن القدرة والحول والقوة بيد الله سبحانه وتعالى"[4].

وهذا إدانة بضعف الدولة وتسرب الضعف والهوان إلى كيان الدولة وهياكلها، وذلك بكثرة التجسس والمؤامرات والاغتيالات وتدخل النساء في ذلك، بإحلال ما حرم الله من خمر، فقد كان الموحدون دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الزهد شعارهم، ولهذا نجد اقتران الخمر بالنساء مع اغتيال الخليفة هي بداية نهاية الموحدين.

ونلاحظ أن الأمر قد تكرر في الدولة الموحدية مع الأميرة عزونة أخت الخليفة السعيد الموحدي، وشت بخيانة زوجها بعدما وجدت براءة فبلغت أخاها بالأمر فقتل زوجها،

---

1- محمد ابن مرزوق التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، تح ودرا، ماريا خيسوسبيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر، (د، ط)، الجزائر، 1981، ص285.

2: هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الزناتي الكومي الموحدي، أمه حرة اسمها أمة الله بنت السيد أبي اسحاق بن عبد المؤمن، لقب بالناصر لدين الله، بوية لناصر بالخلافة في حياة أبوه، وجددة له البيعة بعد وفاته، توفي مسموما بعد اخذ البيعة لولده يوسف (الملقب بالمستنصر) سنة (610هـ/ 1211م). ينظر: ابن أبي الزرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص ص 231، 241.

3 – نفسه، ص 241.

4 – نفسه، ص 240.

فكان تأثيرها على الساحة السياسية كبيرا، لأن زوج عزونة كان على اتصال بكيانات سياسية انفصالية، تعمل على الانفصال عن الدولة الموحدية.[1]

وعرف بنو عبد الواد أساليب الاستخبارات وطرقها وأسرعها، فيروى أن أبا سعيد عثمان بن يغمراسن قام بإهداء جارية وسيمة رومية إلى نظيره أبي يعقوب يوسف المريني، بعد أن دربها على أسلوب الكتابة السرية، وعلى التجسس والتقاط الأخبار، فكانت الجارية تبعث له بالمعلومات الهامة التي تتعلق بالبلاط وخططه ونواياه[2]، وكان يغمراسن حريصا على إرسال السفراء والوفود إلى فاس وعلى رأسها الفقيه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي[3](ت680هـ/1291م)، الذي يتمتع بسمعة طيبة عند بني مرين[4].

ومن خلال إحدى البعثات برزت دور الجاسوسة الرومية، حينما ذهب أبو إسحاق التنسي في مهمة مع الخطيب ابن كاتب الدولة الزيانية وحاجبها أبي سعيد بن عثمان بن عامر، فطلب الخطيب أن يخلو بالأمير المريني، وأطلعه على بعض أسرار البلاط الزياني

1 – ابن عذاري: البيان المغرب" قسم الموحدين"، ص ص 360، 387.

2 – عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص25.

3 – **أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي:** ولد بمدينة تنس، وهناك اختلاف في الولادة، وقيل أن محمد التنسي أموي، فهو أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي، من العلماء الصالحين، زاهد ورع ذو كرامات شهيرة، ألف في العلم كثيرا، وكان من أولياء الله الجامعين بين علمي الباطن والظاهر، ومن تلامذته الشيخ أبو عبد الله بن الحاج العبدري، توفي سنة(680هـ/1281م). ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مرا، محمد أبي شنب، المطبعة الثعالبية، (د، ط)، الجزائر، 1908، ص67. وينظر أيضا: محمد بن عبد اللهالتنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، (د، ط)، الجزائر، 1985، ص7.

4– **بنو مرين:** كونوا إمارة بني مرين (869–610هـ /1465–1213م) بالمغرب الأقصى، استطاعت قبيلة بني مرين أن تسقط دولة الموحدين عام(668هـ/1270م)، حيث كانت البداية الحقيقية لهذه الدولة، وبني مرين يتفرعون من قبائل زناتة وكانت مضاربهم في الصحراء الكبرى، وقد تزعم هذه القبيلة زعماء اشتهروا بالصلاح ومن أشهرهم عبد الحق بن محيو المريني الذي رسم الخطوط العريضة لدولة بني مرين. ينظر: ابن أبي الزرع الفاسي: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور، (د، ط)، الرباط، 1972، ص 41 وبعدها. ينظر أيضا: عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج7، ص 162.

فسمعته الجارية التي كانت تقف خلف الستار، فكتبت للسطان أبي سعيد عثمان وأخبرته بالأمر، فنكل بأسرة الخطيب ووالده الوزير وقتلوا قتلا شنيعا.[1]

ومن هنا كان تأثيرها على الدولتين كبيرا حيث زادت في عمر الدولة الزيانية وحمتها من كل سوء يطرأ عليها من طرف المرينيين. وكانت في نفس الوقت تبطل الخطط والمؤامرات التي تحاك من طرف المرينيين اتجاه الزيانيين، وكانت المرأة في هذا المقام بمثابة درع الحماية الأول في وجه العدو، كائنا من كان.

**المبحث الثالث: دور المرأة النفسي(المعنوي) في الحرب**

كان دور العامة في السياسة هو تقديم الدعم المعنوي أحيانا كثيرة، والدعم المادي أحيانا أخرى. فقد دعمت مثلا المرأة "راحل" المهدي بن تومرت عندما لجأ إليها بمدينة ملالة، بإعطائه ابنها ودابتها بعد أن مكث فيها أشهرا[2].

كان ذلك تحفيزا له نفسيا[3] وماديا من خلال مشاركتها في دعم المهدي بن تومرت وأصحابه نحو الجهاد، ووافقت على طلبه بأخذ دابة كانت لها من أجل حمل متاعه فقبلت بنفس راضية، ولم تكتف بهذا، بل قدمت ابنها كقربان من أجل دعوة المهدي.

وتعتبر المرأة راحل أول من ناصره من النساء بعد أخته زينب، وهذا دليل على وعيها بما جاء به المهدي في دعوته، وتفقه بكل ما يحيط بها من ظروف سياسية، وهو ما جعلها تقدم على مساعدته بالرغم من تشدد ابن تومرت إزاء المرأة، إلا أنها ساهمت في رفع المعنويات وخصوصا في مدينة تنملل عند مبايعة المهدي على تولي أمرهم، فيكبر الرجال وتزغرد النساء مع ظرب الدفوف الذي يوازي قولهن "صدق مولانا المهدي، نشهد أنه الإمام حقا"[4].

1 – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص ص25–26.

2 – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص138.

3 – البيذق: أخبار المهدي، ص 30.

4 – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ص 416، 417.

ونجد تلميحا آخر على مساهمة نساء العامة في السياسة الموحدية، فنجد نساء العامة حاضرات أثناء إعلان البيعة لعبد المؤمن بن علي[1]، أيضا ويعتبر بداية تعليمهن لمبادئ المهدوية، فكانت واعظة ومرشدة لأسرتها وجميع نساء مجتمعها، وهي تمثل نوعا من التعبئة الاجتماعية للفكر التومرتي.

وكان اصطحاب الموحدين للنساء في حروبهم مع أعدائهم من الأمور المرحب بها[2] وذلك اقتداء بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ[3].

ونجد عبد المؤمن بن علي قد اصطحب زوجته " العزيزة" عند حملته على وهران وتلمسان وكان وجودها إلى جانبه عبارة عن دعم معنوي إسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمهدي بن تومرت، ومن مهامهن أيضا التمريض وحمل السلاح إن لزم الأمر ذلك[4].

ومن التأثيرات المعنوية للنساء على الرجال كان في ميادين القتال، وتمثل في تشجيع المقاتلين على الصمود والرفع من معنوياتهم، وتحريك هممهم. وكانت نساء تلمسان خلف المقاتلين في الهوادج تحرضن على القتال كما حدث في معركة إسلي قرب وجدة.

وحدثت هذه المعركة بعد أن أراد يعقوب بن عبد الحق المريني[5] مصالحة يغمراسن بن زيان ليأمن جانبه، لكن هذا الأخير رفض المصالحة والهدنة بعد أن قتل ولده أبا حفص عمر بن يغمراسن، فهزم يغمراسن، وقتل من بني عبد الواد خلق كثير، ما يزيد عن خمسمائة

1 – البيذق: أخبار المهدي، ص ص 69، 70.

2 – نفسه، ص 94.

3– صحيح البخاري، الحديث رقم 2723، ص 105.

4 – البيذق: أخبار المهدي، ص 94.

5– **يعقوب بن عبد الحق المريني:** هو يعقوب بن عبد الحق سيد بنو مرين، ورابع الإخوة الأربعة الذين ولوا الأمر بالمغرب من بني عبد الحق، أمه اسمها أم اليمن بنت علي البطوى، دخل السلطان مدينة فاس فملكها سنة (657هـ/ 1259م)، كانت كلمته نافذة في بلاد المغرب. ينظر: السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص20.

فارس من الروم الذين كانوا خدامه.وفريغمراسن جريحا في شرذمة قليلة من عشيرته وقرابته.[1] بالإضافة إلى موقعة وادي تلاغ بالقرب من وادي ملوية[2].

وتزاحف الفريقان وعبأ كل منهما كتائبه، وبرزت النساء في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض، والتحم القتال، وانهزم بنو زيان يوم الاثنين من جمادى الثانية سنة (660هـ/ 1262م).[3]

وذكر في مصدر آخر وصف للمعركة بخروج أمير المسلمين يعقوب إلى يغمراسن، فالتقيا بواد تلاغ بالقرب من واد ملوية، فعبأ كل واحد جيشه، وميز كتائبه، واصطفت عيالاتالفريقين خلف الجيوش في الهوادج والمراكب، والقباب المزينات باديات الوجوه، عليهن الحلل وثياب الوشي، يحرضن الأبطال على الأبطال، واختلط الأمثال بالأمثال، وتمازجت الركاب، وبرزت الغانيات من القباب، والسيوف بالدماء ترعب، والرؤوس عن الأجسام تقطع وتقطف، فهزم بنو عبد الواد...[4] وذكر صاحب البغية همة وصبر النساء خاصة أيام الحصار المريني بقوله: "فوطنوا على ذلك النفوس، وأوقدوا له العزائم، وإن ذلك أوضح دليل على شرف أهل هذا البيت وسراوة هممهم وشهامة قلوبهم وشدة حميتهم".[5]

وكل هذا الدعم لدعوة بني زيان، ناجم على وعيهن بالوضع السياسي للدولة، وقدرتهن على التأثير في الرجال لشد الهمم وشحذها، وفي نفس الوقت قد تأثرن بالوضع العام للدولة الزيانية وخوفهن على أحوالهن وأحوال عيالهن. فما كان منهن إلا دحر من جاء ينغص عليهن هدوء حياتهن.

---

1- علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص131. وينظر أيضا: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، المكتبة الثقافية الدينية للنشر، ط1، بورسعيد، 2001، ص67.

2- **وادي ملوية:** يقع واد ملوية في المغرب الأقصى، فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازا، ويصب في البحر الروماني عند غساسنة (مكناسة)، وهو الحد الفاصل بين بلاد المغرب الأوسط وبين الغرب الأقصى إلى واد مجمع في جهة الشرق الفاصل بينهما وبين إفريقية. ينظر: أبي العباس أحمد القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص149.

3- السلاوي: المصدر السابق، ج3، ص26.

4- ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص115.

5- يحي بن خلدون: البغية، ج1، ص211.

فكن وسيلة في تشجيع الرجال على القتال، وهذا ما لاحظناه من تأثير كبير في الميدان العسكري، ويتجلى ذلك في مجابهة الشدائد والأخطار والأهوال، ولهذا أفسحوا المجال للمرأة لكي تشارك في ساحة الحرب بما تستطيع من تحميس وترغيب، وتشجيع، وتحريك الهمم.
فكانت النساء تنشد أثناء الرحلة، وتغني أعذب الألحان، وتصدر أرق الأصوات النافذة إلى الأعماق، إذابة العواطف، وترقيق الحواس، وإيقاظ الغرائز، وبعث روح الكفاح والانتصار على العدو أينما كان[1].

كما قامت المرأة في إحدى الغزوات التي قام بها أبو الحسن المريني[2] على تلمسان ( 737هـ/1336م ) بمشاركة الرجال في الغزوة خلف الأسوار، عندما تمكن المرينيون من بعض سور تلمسان، فاقتربت امرأة من السور تنادي وترغب في وصول كلامها إلى بني زيان، فتلقاها أبو الحسن وأحد فقهائه، والناس في قتال، فقال الفقيه: "إنما جزاء هؤلاء الحرق""، فردت المرأة بالشتم بأقبح شتم وسب، فترصدها بعض الرماة، فقال: "أنا أكفي همها"، فرد عليها أبو الحسن المريني" الشتم حيلة المغلوب، وما عدا الله أن تكون غريمتنا امرأة محمولة"[3].

وعانت المرأة الزيانية من جراء الحروب المستمرة مع الحفصيين والمرينيين، خاصة في عهد السلطان يغمراسن بن زيان[4] عند احتلال بني حفص مدينة تلمسان سنة

---

1- ابن الحاج النميري: **فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تح: درا وإع، محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص115-114.

2- **أبو الحسن المريني:** (752-697هـ ./1351-1297م) هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن المنصور بالله، يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل لسمرة لونه، وأمه حبشية، بويع بفاس بعد وفاة أبيه سنة 731هـ . بعهد منه. ينظر: خير الدين الزركلي: **الأعلام –قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملاين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج4، ص 311.

3- ابن مرزوق التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتح: ماريا خيسوسبيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر، (د، ط)، الجزائر، 1981، ص184.

4- **يغمراسن بن زيان:** هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت العبد الوادي، ولد سنة(603هـ/1206م)، واسمه امازيغي الأصل، وبويع للحكم يوم الأحد 42 ذو القعدة سنة(633هـ/1236م) إلى غاية سنة ( 681هـ/ 1283م). ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص 116.

(633هـ/1235م)[1]، فانسلت جيوش الحفصيين إلى البلد من كل حدب، فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الأموال[2]، وهذا دليل على أن المرأة عاشت ويلات الحروب ودفعت ثمنا غاليا من قتل وتعذيب واغتصاب من طرف أعداء بني زيان، بني حفص وبني مرين....

ولعل من أبرز الأخطار التي واجهتها المرأة في تلمسان، تلك الحملة التي قادها السلطان أبو الحسن المريني سنة( 735هـ/ 1335م)، واقتحام تلمسان في 27 رمضان سنة( 737هـ/ 1337م)، وما شهده ذلك من انتهاك لحرمة الأهالي في أموالهم وحرمهم وشرف نسائهم.[3] كما يشير ابن خلدون إلى مهانة الذل والسب الذي تعرض له النساء أثناء الحصار، وخوفهن من انتهاك أعراضهن[4]، وبالحديث عن العلاقات بين الدولتين الحفصية والزيانية، كان يحكمها منطق الحرب والمصلحة الذاتية، وهذا ما جعل من السلطان أبي زكرياء يرسل وفدا لمفاوضة يغمراسن بن زيان يأمره بالخضوع لدولته، لكنها باءت بالفشل فاستولى على المدينة، واضطر بنو عبد الواد للمفاوضة عبر سوط النساء، فنجحت في مهمتها كما لاحظناه سابقا[5].

**المبحث الرابع: المرأة في دائرة العلاقات السياسية (المصاهرة)**

لقد قاربت حبابة الرومية بين الروم والموحدين[6] من خلال تهدئة الفتنة التي حدثت بينهما، ومع ذلك فإن المصاهرة أو اتخاذ الجواري من الروميات والصقالبة أمهات أولاد لهم يحدث اضطرابا داخل البلاط وفي المناصب الإدارية العليا، فكانت كل جارية تقرب كل من الأقارب والأولياء لها فتتوسط من أجل رفهم قدرهم ما تستطيع.

---

1- حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص 31.

2- عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج7، ص108.

3 - عبيد بوداود: "تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية"، **مجلة عصور**، عدد 6، 7 جامعة وهران، ذو ال قعدة1426/جوان، ديسمبر، 2005، ص 199.

4- ابن خلدون: العبر، ج7، ص129.

5 - سليمان ولد خسال: "جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ -922هـ "، أطروحة دكتوراه، إشراف علي عزوز، جامعة الجزائر، 1430-1429هـ ./2009-2008م، ص340.

6 - ابن عذاري: المصدر السابق، ص 242.

ونلاحظ تأثير المرأة في العهد الزياني من خلال تغيير العلاقات بين الزيانيين والحفصيين وصارت في طريق التوافق والإخاء عن طريق المصاهرة، عندما تزوج عثمان بن يغمراسن ببنت السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء، هذا ما جعل انصهار الدولتين مع بعضهما نتج عنه دخولهما في فترة المهادنة[1].

وساهمت هذه المصاهرة في مساعدة الدولة الحفصية للزيانية عندما استنجد عثمان بن يغمراسن بصهره الحفصي لمواجهة القوات المرينية في معركة قرب جبل الزاب[2] ببسكرة[3] سميت بمرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط في تلك المعركة من الرؤوس.[4]

ومن النساء اللواتي ساعدن في العلاقات بين الدولة الزيانية والمرينية، امرأة من بني مغراوة[5]، حفيدة ثابت بن منديل المغراوي[6].

لما هلك ثابت، كفل السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن أهله، وكان حفيده (ثابت)

---

1 – ابن خلدون: العبر: ج6، ص 441. ينظر أيضا: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص24.

2 – **جبل الزاب:** يقع في وسط مفازات نوميديا، يبدأ غربا من تخوم مسيلة، ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد بتونس، وجنوبا إلى القفاز عبر الطريق المؤدي إلى تقرتوورقلة، منطقة شديدة الحرارة، رملية. نظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص138. وينظر أيضا: محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص281.

3 – **بسكرة:** مدينة عريقة في القدم أسست أيام حكم الرومان للبربر، أعيد بناؤها عند دخول المسلمين لإفريقيا بعدما تخربت، أراضيها، لا تنتج غير التمر، كانت خاضعة لملك تونس وهي تقع حاليا في جنوب الجزائر حاليا. ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص138.

4– عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج7، ص131.

5– **بنو مغراوة:** مغراوة أوسع بطون زناتة وأهل الغلب منهم ينتسبون إلى مغراو بن يسليطن بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا إخوة بني يفرن وبني يرنيان من بطونهم بني يليث وبني زنداك وبني رواو وبني ريغة، سكنوا أرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مدبولة، من أشهر أمرائهم صولان بن وزمار. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص34–33.

6 – **ثابت بن منديل:** ينتسب ثابت بن منديل إلى قبيلة مغراوة، قام بقتل محمد بن منديل بمساعدة أخيه عابد بالخميس وقتلوا أخوهم عطية فتقطعت روابط أولاد منديل، الأمر الذي استغله يغمراسن وناصر عمر بن منديل في رئاسة القبيلة سنة (663هـ / 1265م)، وعزل ثابت إلى أن هلك عمر، واستقل ثابت بن منديل برئاسة مغراوة(676هـ/ 1278م)، واسترجع بلاد تنس ومليانة، ونقض العهد مع يغمراسن ودخل برشك. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج7، ص ص137، 222.

رشيد بن محمد[1]، فأصهر راشد للسلطان الزياني عثمان بن يغمراسن أخته، وهذا ما ساهم في توطيد العلاقة بين المغرب الأقصى والأوسط[2].

**صفوة القول:**

وبالرغم من أن بداية هذه الفترة الزمنية شهدت قيام دولة الموحدين التي كان ارتكاز عقيدتها على أسس فكرية ودينية وسياسية، مما زعزع أركان الدولة المرابطية إلى أن قضى عليها. وكانت قضية تدخل النساء في سياسة الدولة المرابطية من بين أقوى الأسباب التي أدت إلىتسارع انهيارها على حد ترويج مؤرخي المرحلة لهذه الفكرة.ولزم المؤرخون الموحدون الصمت وغضوا الطرف إزاء قضية النساء في البلاطات، ودورهن في حاشية الخلفاء الموحدين.

وبعد انهيار دولة الموحدين سنة(668هـ/1269م)عقب ظهور النزاعات الداخلية وتتابعت الهجمات الخارجية، فبرز بنو زيان بالمغرب الأوسط، وعاصمتها تلمسان، التي شهدت خلال هذه الفترة (633-962هـ /1235-1554م)، بروز المرأة التلمسانية في مختلف المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، العسكرية.

وساهمت بشكل كبير في إثراء الحياة بالدولة الزيانية، ولعبت أدوارا فيما يتعلق بنظام الحكم، والمشاركة في الحروب. فكان للمرأة تأثير كبير في الميدان العسكري، ويتجلى ذلك في مجابهة الشدائد والأخطار والأهوال، وتشارك في ساحة الحرب بما تستطيع من تحميس وترغيب، وتشجيع، وتحريك الهمم، ناهيك عن الميدان السياسي الذي أثرت فيه أشد تأثير، وخصوصا في مجال الاستخبارات (التجسس).

---

1 – **رشيد بن محمد:** لما حوصر ثابت بن منديل من طرف عثمان بن يغمراسن ببرشك ركب البحر نحو المغرب ونزل على سلطان يوسف بن يعقوب المريني سنة (694هـ / 1295م)، ورث ابنه محمد الرياسة في قومه واستبد بملك مغراوة حتى مات فخلفه شقيقه علي. ينظر: نفسه، ص119.

2 – نفسه، ج7، ص90.

فكان لها دورا مهما وحيويا في استتباب أمن الدولة واستقرارها، ولها أيضا دور الوساطة والمستشارة في عدة قضايا. فكان رأيها الراجح سببا مباشرا في استمرار الدولة ووقوفها بعد كل أزمة من الأزمات التي تمر بها الدولة.

وكان تأثير النساء عن طريق المصاهرة أكبر وأشد، فقد وطدت العلاقات بين الدول المتصارعة، وأخمدت نار الفتن، وحافظت على دماء المسلمين ونصرت الإسلام بالمصاهرات، فكان تأثيرهن في الساحة السياسية والعسكرية كبيرا ومتذبذبا حسب الدولة ومعتقدها نحو ولوج النساء هذا المجال.

لقد لاحظنا استخدام الدول النساء كوسيلة من الوسائل السياسية، فحولت المرأة الحروب إلى حرب باردة محورها النساء.

## الفصل الثاني: المرأة العاملة في الميدان الاقتصادي

### المبحث الأول: النشاط الاقتصادية في المغرب الأوسط

#### 1-العمل في مفهوم إنسان المغرب الأوسط

اعتمد سكان المغرب الأوسط على الزراعة في المقام الأول لتوفر الأراضي الخصبة والمياه. فقد مارس معظم السكان البربر الفلاحة والزراعة، حيث كانت الأرض مورد رزقهم ومعيشتهم، لكن الوجود البيزنطي[1]حرمهم من هذا الامتياز بسبب مصادرة جزء كبير من الأراضي، وفرض الضرائب والمكوس على الأراضي الزراعية التي بقيت تحت أيدي السكان البربر[2] .

وكان الحكم قائما على السلب والنهب، والتمادي في جمع الضرائب ومصادرة المنتجات الزراعية والصناعية، بالإضافة إلى الضرائب الخاصة والباهضة التي تفرض على التجار وأرباب السفن[3]، مما أثّر على النشاط الحرفي والمهني، بالإضافة إلى نظرتهم المعادية للعمل.

غير أنه بعد الفتح الإسلامي، شهد المغرب الأوسط تغيرا ملموسا في نظرية العمل وتطوره، من اعتباره وسيلة ضرورية لتحقيق العيش الكريم والاكتفاء، إلى وسيلة لتحقيق التقرب من الله تعالى، والتمكين لدينه في الأرض، ونشر رسالته في جميع أقطار المعمورة إضافة إلى كونه وسيلة الكسب الشريف والعيش الكريم[4].

---

1- الوجود البيزنطي (534م-647م): حلت الإمبراطورية البيزنطية عام 330 م مكان الإمبراطورية الرومانية، واتخذت القسطنطينية عاصمة للمسيحية. وبمجرد احتلالهم لنوميديا، قام النظام البيزنطي عام 534م بفضل جوستنيان، واتخذ من قرطاجة عاصمة لمستعمراته في إفريقية. انظر: عمار عمورة: **الجزائر بوابة التاريخ: ما قبل التاريخ إلى 1962م**، دار المعرفة، (د، ط)، الجزائر، 2009، ج1، ص54 وما بعدها .

2- أم كلثوم بن يحي: "نظرية العمل في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع". **المجلة الناصرية**، جامعة بشار، العدد الرابع، 2013، ص52-53.

3- نجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق: أحمد بن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1995، ص ص 9-10.

4- أم كلثوم بن يحي: المرجع السابق، ص34.

وبذل الفاتحون وخاصة التابعون لهم [1] دورا كبيرا في تعليمهم أصول الدين، وأخذوا يبصرونهم بقواعده وشروطه[2].

وجاء الإسلام بقواعد وضوابط تنظيم النشاط الاقتصادي. وجعل أفضل الكسب كسب الرجل من عمل يده، ونهى عن التسول وذمه، واعتبر عمل الإنسان ضروريا لتوفير العيش للآخرين[3].

فزالت نظرة الاحتقار والازدراء للحرف الصناعية، ودفعت العامة إلى السعي والكد. واعتبرت الصنعة أول ما ينبغي للإنسان أن يتعلمه بعد معرفته بدينه[4]، وبذلك عرف المغرب الأوسط ثورة اقتصادية غيرت تاريخه، ابتداءً من منتصف القرن 2هـ/8 م، وعرف أوجه وازدهاره خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، فأثر الإسلام بشكل واضح وجلي على المهن والحرف اليدوية في المغرب الأوسط، وهذا ما انعكس إيجابا على أوضاعه الاقتصادية[5] فزاولوا حرفا ومهنا متعددة بكل حرية، فازدهرت الصناعة والتجارة، وكثرت الأسواق[6]، وزادت القيمة الاقتصادية لمعادن منجم مجانة بعد الفتح الإسلامي، وكانت هذه المنطقة تحظى بنشاط اقتصادي منذ سنة 128هـ/745م، مما يجعلنا نقول أن الولاة الأمويين هم من تنبهوا إلى تنمية هذه الثروات الطبيعية[7].

1- بعثهم عمر بن عبد العزيز وهم عشرة أهل علم وفضل ومنهم: عبد الرحمان بن نافع، وسعيد بن مسعود التجيبي وغيرهما. ينظر: حسين مؤنس: **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، مصر، (د، ت)، ص296.

2- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص296.

3- فاطمة بور: "الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية في فكر مالك بن نبي"، **دورية كان التاريخية**، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، العدد 24، 2014، ص106.

4- إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للنشر، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1997، ص170.

5- أم كلثوم بن يحي: المرجع السابق، ص52.

6- جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأ المعارف، (د، ط)، الإسكندرية، مصر، 1991، ص43.

7- نفسه، ص91.

وبقدوم المسلمين الفاتحين بما فيهم أصحاب المهن والتجار، جعل من العمل وسيلة يبتغي بها المغاربة رضوان الله تعالى[1]، فزادت المهن والحرف بجميع أنواعها، وزاد الصناع وأصحاب المهن من مختلف الأجناس والملل متجاورين في الدكاكين، ومتصلين ببضعهم في معاملاتهم اليومية[2].

**2- الوضع العام لاقتصاد المغرب الأوسط**

إن الاقتصاد كلمة عامة يراد بها كل ما هو معلوم، حسن التصرف في الأموال الخاصة والعامة من غير تفريط ولا إفراط قوامه الإنتاج ثم التوزيع، الأول عماده الفلاحة والصناعة والثاني عماده التجارة[3].

ومن المحتمل أن الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين (6هـ-9هـ/12م- 15م) قد أصابها الاضطراب خلال مراحلها المختلفة، لارتباط الوضع الاقتصادي بالأوضاع السياسية والاجتماعية المحيطة به، لكن رغم تلك الأحوال، إلاّ أنه شهد ازدهارا كبيرا في المجال الاقتصادي شمل جل الجوانب التالية:

**أ- الزراعة**

حث القرآن الكريم على النشاط الزراعي في قوله تعالى:« **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُون {63}أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ {64}لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونْ{65}** »[4] .

ومارس سكان المغرب الأوسط النشاط الزراعي، وكانوا على دراية كبيرة بالحرث والبذر، وتعددت المحاصيل الزراعية[5]، وذلك راجع للعوامل المساعدة كالأراضي الخصبة

---

1- أم كلثوم بن يحي: المرجع السابق، ص52.

2- لخضر عبدلي: "الحرف والحرفيون في مدينة تلمسان"، **دورية كان التاريخية**، المركز الجامعي لولاية البيض، الجزائر، العدد 21، 2013، ص81.

3- لخضر عبدلي: **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان**، دار الأوطان، ط1، الجزائر، 2011، ص187.

4- سورة الواقعة: الآيات 63-65.

5 - ينظر ملحق رقم 9.

المحيطة بالمدن، بالإضافة إلى وفرة المياه[1].

ويذكرالإدريسي أن لبجاية أراضي خصبة صالحة للزراعة والفلاحة[2]، وكانت مدينة تاهرت[3] ذات تربة خصبة، ولها بساتين كثيرة قد التفت حولها الأشجار، فضلا عن غزارة الأمطار[4].

وذكر ابن عذارى عن مدينة تاهرت قوله: "...شديدة البرد كثيرة الأمطار. وقيل لبعض الظرفاء من أهلها: كم الشتاء عندكم من شهر في السنة؟ قال ثلاثة عشر شهرا[5]، بالإضافة إلى سقوط الثلوج بجبل الأوراس" .

ومن خلال مشاهدات الرحالة والجغرافيين لمدن المغرب الأوسط، نلاحظ التنوع والتعدد الجغرافي، سواء من حيث الأراضي الشاسعة، أو الأنهار الغزيرة والجبال الخصبة وهذا ما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية في المغرب الأوسط، حيث كان اقتصاد مملكة بني حماد[6] قائما على أساس الزراعة[7].

وتم هذا بفعل اهتمام الفلاحين لهذا الجانب، واستغلال السهول التي تميزت بارتفاع إنتاجها[8]، فتنوعت المحاصيل التجارية، خاصة القمح والشعير. وذكر ابن حوقل، المعاصر

---

1- عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر، ط2، القاهرة، مصر، 1991، ص 221.

2- الإدريسي: المصدر السابق، ص 261.

3- **مدينة تاهرت:** اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحديهما: تاهرت القديمة، وللأخرى المحدثة. انظر الحموي: معجم البلدان، مج2، ص7. ينظر أيضا: أبو الفقيه أبو بكر محمد: **مختصر كتاب البلدان**، (د، ط)، مطبعة برلين، لندن، 1885، ص81.

4- المقدسي: المصدر السابق، ص228.

5- ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج1، ص198.

6- الدولة الحمادية (398-547هـ/1007-1153)، ثاني دولة إسلامية مستقلة في المغرب الأوسط. تأسست حسب الاتفاق الحمادي الزيري، وأصبح حماد بن بلكين أميرا مستقلا بها. انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص206.

7- إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر، (د، ط)، الجزائر، 1998، ص227.

8- حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، 2011، ج2، ص186.

للدولة الفاطمية، أن مدينة بونة[1] كانت أكثر غلاتها القمح والشعير[2].

**ب- الصناعة**

تعتبر بلاد المغرب الأوسط من بين الأقاليم الزاخرة بالمعادن المختلفة. ويذكر ابن حوقل أن مدينة بونة توفرت فيها المعادن بكثرة [3].

ويروي لنا الإدريسي في حديثه عن وجود الخشب في مدينة بجاية الذي كان في أوديتها وجبالها[4]، واعتبر المرجان أبرز ما اشتهرت به المنطقة، وخاصة مرسى الخرز [5] .ويوجد هذا المعدن بين جبلين في أعماق البحر، غير بعيد على الساحل، 6 ولا يوجد في مكان غير هذه القرية[7]، وساعدت هذه العوامل على النهوض بالصناعة في بلاد المغرب الأوسط وتنوعها.

**3- أسواق المغرب الأوسط**

ورد في القرآن الكريم لفظ السوق في قوله تعالى:« **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴿7﴾**»[8] . لقد قامت

1- **مدينة بونة:** بالضم ثم السكون بين مرسى الخرز وجزيرة بني مزغنة. وهي مدينة حصينة مقتدرة، تقع على البحر. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج1، ص512.

2- ينظر ملحق رقم 9.

3- ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

4- الإدريسي: المصدر السابق، ص228 وما بعدها.

5 – **مرسى الخرز:** مدينة يحيط بها البحر، تقع شرقي مدينة بونة( عنابة)، وبينها وبين باجة مرحلة، يكثر فيها المرجان، ويقصدها التجار بكثرة. ينظر: الحميري: الروض المعطار، ص 538.

6- حساني المختار: المرجع السابق، ج1، ص45.

7- ابن حوقل: المصدر السابق، ص76.

8 – سورة الواقعة الآية 7.

أسواق عامرة مثل سوق الجمعة لقرية ريغة وسوق أشير، وقامت أسواق في مدينة الجزائر[1] وتاهرت[2].[3]

وتقسم أسواق المغرب الأوسط إلى أسواق يومية وأسبوعية وموسمية وعسكرية حسب الجدول التالي:

| الأسواق وأهم المعروضات | المدة | اليوم | المدينة | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| سوق الخضر والفواكه والحبوب<br>سوق الخياطين والنساجين<br>سوق العطارين<br>سوق السراجين<br>سوق القيسارية | يومية | كل يوم | تلمسان | ابن مرزوق: المجموع، ميكروفيلم الخزانة العامة، الرباط، رقم 20، ورقة: 2-12-14-15-39 |
| | يومية | كل يوم | أجادير | يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1، الجزائر، 1982، ص 37. |

1 – **مدينة الجزائر:** يعرفها ابن خلدون بقوله: " اعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها ضروري وهي الأقوات، ومنها الحاجي والكمالي". ينظر ابن خلدون: المقدمة، ص 293. ويرى الونشريسي أنه المكان الذي يجتمع فيه لبيع السلع. ينظر: الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 05. والسوق بضم السين مشددة ممدودة والجمع أسواق، مكان البيع والشراء. ينظر: محمد عمارة: المرجع السابق، ص 299.

2– **تاهرت:** اسم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، كانت من خواص بلاد بني حماد. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج2، ص132. ينظر أيضا: البكري: المصدر السابق، ص66.

3– الإدريسي: المصدر السابق، ص254 وما بعدها.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | | وهران | حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 30 |
| ...شية والحبوب والزيت والعسل | أسبوعية | الخميس | معسكر | حسن الوزان: المصدر السابق,ج2، ص ص 26-27. |
| ...ر والفواكه واللحوم ...ة والزرابي والكتاب | أسبوعية | السبت | قلعة هوارة | ابن عثمان القلعي: قلعة بني راشد( مخطوط) من نسخ البشير المحمودي، خزانة محمود البشير، البرج، ولاية معسكر، الجزائر، ورقة 02. |
| ...ف الفواكه والألبان ...سمن والعسل | أسبوعية | يوم معلوم | مازونة | الإدريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تح: محمد حاج صادق، مركز المطبوعات الجامعية، (د ط)، الجزائر، 1983، ص 128. |
| | أسبوعية | الجمعة | الشلف | البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 69. |
| ...إبراهيم (تباع فيه ...ف أنواع السلع) | أسبوعية | | مدينة السوق | ابن حوقل: صورة الأرض,89. |
| سوق كرام | أسبوعية | | مليانة | ابن حوقل: صورة الأرض89. |

**أ-أسواق يومية**

وجدت هذه الأسواق في المغرب الأوسط بصفة دائمة ويومية، وهذا ما أشار إليه البكري عن وجود أسواق يومية بمدينة المسيلة وبتاهرت، وكانت أسواقا عامرة.

وببسكرة أسواق ومساجد وفنادق عدة، إضافة إلى تلمسان قاعدة المغرب الأوسط[1] لها عدة أسواق[2]، وقد أشار العبدري إلى أسواقها القائمة، والتي كانت تباع فيها مختلف البضائع والسلع المتنوعة[3].

1- ينظر ملحق رقم 9.

2-البكري: المصدر السابق، ص 32.

3- العبدري: المصدر السابق، ص 28.

**ب-أسواق أسبوعية**

كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع، وتعرف باسم ذلك اليوم، حيث كان السوق يبنى في الصباح، ويفضى في آخر النهار من اليوم نفسه[1].

وذكر البكري عن سوق بقلعة هوارة [2] وسوق سيدي بوجمعة الذي يعقد كل يوم أربعاء بمدينة تلمسان، وفي بونة سوق يعقد كل يوم جمعة خارج المدينة قرب الأسوار، ويستمر إلى المساء[3].

كما كان ينعقد في مدينة بني راشد سوق يوم الاثنين، يقصدها البربر والعرب معا لبيع ماشيتهم وزرعهم وغلاتهم[4]، وحتى القرى أخذت اسم سوق متبوع باليوم الذي يعقد فيه، مثلا سوق الأحد وسوق الاثنين وسوق الخميس على الطريق التي تؤدى من بجاية إلى قلعة بني حماد[5]، ويبدو أنه كان لهذا النوع من الأسواق الانتشار الواسع.

**ت- أسواق موسمية**

وتقام هذه الأسواق بالمغرب الأوسط مرة في السنة أو في الشهر أو في الأسبوع. وأشار المقدسي إلى وجود هذه الأسواق في مرسى الخرز، وعرفت الأسواق فًي المغرب الأوسط خلال هذه الفترة حركة كبيرة في عملية البيع والشراء وتبادل السلع، ويعود ذلك إلى قيام السلاطين بسك النقود التي أوكلت إلى عائلة الملاح[6] الأندلسية التًي استعان بها يغمراسن بن زيان.[7]

---

1- خالد بلعربي: "الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني"، **دورية كان التاريخية.** العدد السادس، ديسمبر، 2009، ص 32.

2- **بقلعة هوارة:** قلعة بالمغرب الأوسط بالقرب من تاهرت، وهي قلعة منيعة في جبل خصب، فيه بساتين وثمار. انظر: الحميري: المصدر السابق، ص470.

3- حسن الوزان: المصدر السابق، ص 62.

4- مرمول كربخال: المصدر السابق، ص 324.

5- رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1977، ص 150.

6 - **عائلة الملاح:** هي عائلة أندلسية من بيت قرطبة، كانت تحترف سك النقود وتتمتع بثقافة كبيرة. وقد قربها سلاطين بني زًيان إليهم. ينظر: التنسي: المصدر السابق، ص 202.

7-المقدسي: المصدر السابق، ص226.

وكانت للكثافة السكانية الأثر البالغ في زيادة أرباح الأسواق التي بلغت في مدينة تلمسان وحدها خلال عهد ابن تاشفين ما يقارب ستة عشر ألف سوق، وكانت الأسواق منظمة حسب نوعية البضائع المعروضة، وخصص لكل حرفة جناح لها بالأسواق والقيصريات والفنادق، مثل: سوق الغزل، وسوق الحذائين، وسوق العطارين[1].

وذكر حسن الوزان ذلك في قوله:" وجميع الصنائع والتجارة بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة"[2] .

كما استطرد يقول في أسواق بجاية: "...وأسواقها كذلك منسقة أحسن تنسيق"[3]، وكانت معظم هذه الحرف تمارس من طرف الأندلسيين الذين كانوا أكثر إتقانا وتفوقا، وشارك الأجانب في تنشيط هذه العملية، ومنهم اليهود، وكانت هناك فنادق خاصة بهم، يقطن بها تجار من مختلف البقاع، بالإضافة إلى الفنادق الخاصة بالتجار المسلمين، ومنهم الأندلسيون[4].

وهذه الأسواق العامرة لا تخلو من نساء المغرب الأوسط اللواتي كان لهن بعض الحرية في التسوق، غير أن ذلك كان مقتصرا على النساء المتقدمات في السن، والملاحظ أن هذا الوضع كان في المدن فقط.

وأوردت كتب النوازل العديد من الفتاوى التي تخص خروج النساء إلى الأسواق، والملاحظ هنا أن فقهاء هذه الفترة حثوا على منع النساء من هذه العادة، وردعهن عن ذلك الفعل، ونذكر من ذلك ما قاله ابن الحاج: " كانت هناك عادة ذميمة، وهي الواحدة منهن تأتي بزوجها لتشتري ما تختاره، فإذا جلست على دكان، ذهب زوجها إلى مكان آخر وتركها، وهذه بلية عظيمة"[5].

---

1- ينظر ملحق رقم 7.

2 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 19

3- الوزان: نفسه، ص50.

4- خالد بلعربي: المرجع السابق، ص ص 32، 34.

5 – ابن الحاج: **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها**، تح: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1995، ج4، ص ص 256- 257.

والملاحظ هنا أن هذه العادة دخيلة على مجتمع المغرب، بل هو نتاج التأثر الحضاري على سلوك المجتمع.

**المبحث الثاني: دور المرأة الاقتصادية**

**1- المرأة والفلاحة بالمغرب الأوسط**

زاولت بعض النساء النشاط الفلاحي والزراعي بشكل تلقائي بحكم طبيعة الحياة المعاشة في البوادي، وعشن في أراضٍ فلاحية، وقمن بزراعة الأرض[1] من خلال عملية تخصيب التربة، وإصلاح قنوات السقي والري[2]، واستخراج ما في باطنها من مختلف المزروعات والثمار[3]، ولا يخفى علينا أن المصادر الجغرافية رصدت لنا مدى خصوبة الأراضي التي ساهمت في ازدهار حرفة الفلاحة والزراعة. حيث ذكر لنا ابن حوقل أن في جزائر بني مزغنّة بادية كبيرة وقبائل بربرية تزرع الحنطة والشعير[4] .

ونجد أنه بحكم طبيعة أراضي المغرب الأوسط الزراعية، كثرت هذه الفئة من النساء في أنحاء مدنها، وشكلت النواة الرئيسية التي ساعدت في تحريك الاقتصاد القبلي إلى الازدهار[5].

كما نلاحظ أن أغلب النشاطات كانت بيد الرجال، إلا أننا نشاهد أيضا دخول المرأة إلى هذا المجال من خلال مساهمتها في اقتصاد الدولة بشكل غير مباشر، بمشاركتها في عمليات سقي النبات والحيوان، وحرث الأرض، وحصاد الزرع، وجمعه وطحنه، وجلب الحطب، والمساعدة في بناء الدور واقتلاع الأشجار[6].

وذكر ابن عباد قائلا:" ... سئلت عن رجل فقير بالبادية تزوج امرأة .... فصار يخدم الزرع والغرس وغير ذلك من أعمال الرجال، والمرأة تخدم الصوف، وتلقط السنابل أيام

---

1- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص348.

2- مفتاح خلفات: قبيلة **زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)**، الأمل للطباعة والنشر، (د، ط)، تلمسان، الجزائر، 2011، ص230.

3- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص348.

4- ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

5- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص230.

6 – الونشريسي: المصدر السابق، ج9، ص105.

الصيف، وتجمع الزيتون بالأجرة، وشبه ذلك من خدمات النساء، حتى اشترى الزوج المذكور أصولا وماشية وحوائج..."[1].

بالإضافة إلى ممارستها الغراسة، فكانت إذا وجدت الأرض يابسة تسقيها، وإذا تولد عليها العشب تقتلعه، وإذا ذهبت الرطوبة منها وضعفت مادتها، تقويها بالزبل، وذلك لما فيها من حرارة ورطوبة[2].

وذكر الونشريسي في نازلة بأن: امرأة تزوجت رجلا وبنى بها وهي بكر بالغ، فانتقلت لبلد آخر، فجاءها رجل من أهل موضعها فتحيل عليها، فابتاع منها جنة لها بالموضع الذي انتقلت منه بأربعة عشر ذهبا، وقد كانت قيمتها ثلاثين ذهبا، وهي لا تعرف قدر ما باعت"[3].

وهذا دليل على عمل المرأة لدرجة أنها باعت الأرض، وهي كارهة لما لحقها من تعب في إدارة الجنان، وساهمت في إنتاج الخضروات والبقول والفواكه، وبرعت في معرفة أوقات الغراسة ومناطق انتشارها، كأشجار الكروم والتين والبساتين المختلفة في المناطق المحاذية لتلمسان، وكانت نساء المغرب الأوسط، على غرار نساء المغرب عموما، بجانب الرجل في العمل والإشراف على الأراضي الفلاحية[4].

وكان تأثير الجالية الأندلسية في المجال الزراعي أقوى من تأثير غيرها، وذلك لاحتكاكهم المباشر مع أهل المغرب الأوسط، فكان قدومهم بأعداد كبيرة إلى تلمسان الزيانية جعلتهم محط أنظار الناس والسلطة، لذا استعانت السلطة القائمة بخدماتهم، واستفادت من خبراتهم المتعددة في الفلاحة والبستنة، وغرسوا في وادي الوريط الواقع شرق تلمسان الحقول والمزارع، وشيدوا بساتين مختلفة الثمار، فازدهرت الزراعة وعم الخير والنعمة[5].

1 – ابن عباد: **الرسائل الكبرى**، طبعة حجرية، (د، ط)، فاس، 1891، ج2، ص 17.

2 – خوسي مارية مياس بيكروسا: **علم الفلاحة عند المؤلفين العرب**، تع: عبد اللطيف الخطيب، معهد مولاي الحسن، (د، ن)، (د، ط)، تطوان، 1957، ص 25.

3 – الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص ص 98-99.

4 – ابن خلدون: العبر، ج6، ص228.

5– ابن الأعرج السليماني: **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ**، مخطوط، الخزانة الحسينية، الرباط، رقم 170.

وبذلك كان الأثر على أهل بلاد المغرب الأوسط واضحا جدا، لدرجة تقليدهم من غيرهم حيث قال ابن الأعرج" ... قلدهم الناس في فلاحتهم واعتنائهم بغرس الزيتون وسائر الفواكه، حتى صارت البلاد وأهلها في حالة زاهية وعيشة راضية"[1].

وهكذا نلاحظ أن التأثير الأندلسي على المرأة في تلك الحقبة كان كبيرا لدرجة تقليدهن لأهل الأندلس في زراعتهم، وكانت نساء المغرب يملكن الأراضي الفلاحية، فإما أن تقوم بغراستها أو إدارتها، أو تعين أحدا ينوبها.

ووردت نازلة عن الونشريسي تقول:" وسأل بعضهم عن امرأة توفيت عن أرض عمرها زوجها ليزرعها، أترى له أن يزرع ما عمر أم لا؟" فأجاب: إن كان عمرها بعلم الزوجة ورضاها فهو أحق، وإن لم تقم له بينة بذلك، فللورثة أخذ ذلك من يده"[2].

وكان امتلاكها للأراضي في أثناء زواجها بصفة صداقها[3]، أو عن طريق شراء الأرض أو ورثتها[4].

وزاولت المرأة مهنة الرعي وتربية الماشية، حيث ذكر الونشريسي أن للمرأة حقا في التملك بين الصداق وغيره من سائر الديون والمراعي، وما تعلق به في الذمة على اعتبار أن الماشية عند القبائل الرعوية هي أساس المهر"[5].

فربت المرأة الشياه والأبقار والخيول والإبل، وهذا ما أدى إلى توفر المواد الأولية مثل: إنتاج الصوف والجلود والزبدة والسمن وتربية الدواجن والحمام، وذلك بغرض أكلها أو بيعها والاستفادة من فضلاتها لإصلاح الأرض وتسميدها. وهذا ما ذكره لنا ابن خلدون في قوله: "ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة، ومعاش المعتزين، أهل الانتجاع

---

1 – المصدر السابق، ورقة رقم 96.

2–الونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص 167 .

3–نفسه، ج3، ص ص 297، 291.

4–نفسه، ج5، ص 213. ج9، ص ص 105–106.

5–الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 46.

والإظعان في نتاج الإبل ...ولباسهم من الصوف"[1]، وهذا تلميح جلي إلى مساهمة المرأة في ازدهار اقتصاد المغرب الأوسط.

## 2- المجهود الصناعي للمرأة في المغرب الأوسط

شجع الموحدون الصناع لازدياد حاجة الدولة والمجتمع للصنائع، وذلك لازدياد رقعتها الجغرافية، حيث ساهم الأندلسيون في تطويرها من خلال خبرتهم الكبيرة في شتى الصنائع2. وظهرت ببلاد المغرب الأوسط صنائع عديدة خلال هذه الفترة (6-9هـ/ 12-15م)، إلا أنها كانت تختلف من مكان إلى آخر باختلاف درجة تطور المجتمع في كل منطقة، فكان جل اهتمام المجتمع الريفي ينصب حول توفير الطعام والملبس والمسكن(الخيام)[3].

وبالمقال نجد مجتمع المدن يعج بالنشاط الحرفي الذي يتميز بالدقة والإبداع وبمهارة الصناع، لذلك انتشرت حرف تعتمد أساسا على تنوع وتوفر المواد الأولية[4]، ونتيجة لكل هذا ظهرت حرف تعتمد على تصنيع الإنتاج الفلاحي والحيواني، كالصوف والجلود وبعض ما يستخرج من باطن الأرض[5].

ونجد من بين الصناعات، صناعة النسيج ودباغة الجلود وصناعة الحصر، بالإضافة إلى صناعة الفخار...[6]

### أ- الصناعة النسيجية في المغرب الأوسط

1- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 116.

2 - لخضر عبدلي: **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، الديوان الجهوي للمطبوعات الجامعية، (د، ط)، وهران، 2007، ص 53.

3 - جودة يوسف عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9- 10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 992، ص 65

4 - يحي بن خلدون: بغية الرواد، ص ص 92.

5- ينظر ملحق رقم 9.

6 - حورية سكاكو: **التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهد الموحديوالزياني بين القرنين (6-10هـ/ 12-16م)**، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016، ص 34.

يعد الغزل والنسيج من أشهر الحرف التي عرفت بها المرأة في المغرب الأوسط وجعلتها مهنة للاسترزاق، وذلك بسبب وفرة المادة الخامة كالصوف وغيره من المواد الأولية. وحسبما أوردته كتب الرحلات خلال القرنين(4-5هـ/10-11م) لم تذكر أية إشارة لصناعة المنسوجات، بل اكتفت بذكر المواد المستعملة فقط، كالكتان والقطن والصوف، إلاّ أن صاحب الاستبصار، أشار إلى وجود هذه الحرفة في مدينة بجاية التي اختص أهلها بصناعة العمائم، فيقول:" كانت لملوك صنهاجة عمائم مذهبة، وكانوا يعممونها بأتقن صنعة، فتأتي كأنها تيجان"[1].

وكانت العمائم الحمادية تشبه عمائم الفاطميين التي وصفها المقريزي، وهناك أناس لا يتعممون بالعمائم، بل يضعون على رؤوسهم شواشي الخز[2]، بالإضافة إلى الملابس الغريبة التي ذكرها لنا البيذق، حيث يقول: أن المهدي بن تومرت "كان ينهى الناس عن الأقراق الزرارية، وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات للرجال".[3]

وفي قلعة بني حماد، كانت صناعة الغزل والنسيج صناعة قوية متكاملة، تمارسها النساء عادة[4]، فكثرت معامل النسيج والزرابي(السجاد).[5]

وأخبرنا الحموي من جهته بأن القلعة كانت مشهورة بالملابس الجميلة الزاهية فقال: " وبها الأكسية القلعيةالصفيفة النسيج الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة

والبصيص، بحيث ينزل من الذهب بمنزلة الإبريسم"[1] وهو نوع من الحرير[2]، وهذه الأكسية ليس لها مثيل في الرقة والجودة[3]، حيث تمتعت منسوجات القلعة بشهرة خاصة في المغرب والمشرق[4].

---

1- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص129.

2- مختار حساني: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، 2011، ج2، ص192.

3- جمع قرق يشبه الخف، والفتوحيات، جمع فتوحية، وهي لباس شبيه بالمنصورية والفرجية. وهي ألبسة شبيهة بألبسة النساء. ينظر البيذق: أخبار المهدي ابن تومرت، المنصور للطباعة والنشر، (د، ط) الرباط، المغرب، 1971، ص13.

4- إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر، (د، ط)، الجزائر، 1998، ص239.

5- عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف**، دار العلم للملايين، (د، ط)، بيروت، لبنان، 2006، ج4، ص 548.

أما مدينة تلمسان فتعتبر من بين المدن المشهورة بصناعة النسيج في المغرب الأوسط، والتي تميزت عن غيرها من مدن المغرب والأندلس بالصناعة النسيجية من القطن والصوف والحرير، وهذا ما يذكره الزهري عن منسوجات تلمسان" وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة وغير ذلك، ويوجد فيها كساء كامل وزنه تسع أواق ونحوها ".[5]

واشتهر الزيانيون بحرفة حياكة الصوف والاحتراف بصنع الكساء، والبرنس عندهم من ثماني أواقٍ[6]، والأحرام من خمس، وكانت هذه الألبسة تطلب من جل الأمصار شرقا وغربا.[7] كما وجدت المنسوجات الصوفية في قسنطينة التي ظهر فيها العديد من الصناع، حيث راجت تجارة القوافل المحملة بالمنسوجات الصوفية إلى طرابلس ونوميديا.[8]

وتوجد أنواع من الأقمشة الأخرى مصنوعة من الصوف مثل الكنابيش التي تنسجها النساء في مدينة تلمسان، ولا يوجد هذا النوع في غيرها من البلدان[9]، وزاول أهل مدينة برشك[10] حرفة النسيج الخشن[11] ذات الألوان الزاهية والمختلفة[12]، وكان في مدينة ميلة عدد كبير من الصناع يحترفون نسج الصوف الذي تصنع منه أغطية الأسرة[13].

---

1- الحموي: المصدر السابق، ج4، ص390.

2- محمد عمارة: المرجع السابق، 26.

3- مؤلف مجهول: المصدر السابق، 170.

4- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص240.

5- الزهري أبو عبد الله: **كتاب الجغرافية وما ذكره الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، (د، ط)، القاهرة، مصر، (د، ت، ن)، ص113.

6- **الأوقية:** في الموازين تساوي اثني عشر درهما. انظر محمد عمارة: المرجع السابق، ص75.

7 - يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص130.

8- حساني المختار: المرجع السابق، ج1، ص89.

9- الحموي: المصدر السابق، مج2، ص44.

10 - **مدينة برشك:** مدينة تقع في الساحل الغربي للمغرب الأوسط، ما بين مدينة تنس وشرشال. ينظر: لخضر عبدلي: التاريخ السياسي لمملكة تلمسان، ص76.

11- حساني مختار: المرجع السابق، ج2، ص316.

12- نفسه، ج3، ص199.

13- حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص60.

وكانت النساء البدويات تنسجن الصوف مع زخرفة النسيج الصوفي بالحرير أو القطن من أجل تأثيث المنازل أو توفير ملابس أفراد الأسرة[1].

وهذا يعتبر تأثيرا حضاريا، لأن في هذه الفترة يظهر جليا المزيج بين ثقافات حضارية متنوعة لدخول عناصر جديدة في مجتمع المغرب الأوسط، منها أهل الأندلس بمختلف عناصرهم من يهود ومسلمين تمكنوا من الاندماج في المجتمع[2].

ولا يمكن حصر استعمالات النسيج، فمنها الخيام على اختلافها، والأثاث المنزلي كالفراش والوسائد والستائر وغيرها. ويذكر الحموي أن أهل تبسة محترفون في صناعة البسط فقال:" يعمل بها بسطجليلة محكمة النسج"[3]، وذكر القلقشندي بخصوص جبل الونشريس "...أن فيه تعمل البسط الفائقة."[4] .

وكان إقليم توات[5] الذي كان أغلب أهله أهل تجارة ومحطة للقوافل التجارية[6] يقدم دعما كبيرا للقوافل، إذ كانت في أسواقها المنتجات الحرفية كالبرانس والحياك، ويأتي له التجار من فاس وتلمسان، ويلقى رواجا كبيرا بأسواق المنطقة[7].

ومن هنا نجد أن حرفة الغزل والنسيج صارت من أهم الحرف التي اعتمدت عليها نساء المغرب الأوسط في اكتساب الرزق، ولا سيما إذا مرت الأسرة بضائقة مالية، أو انهيار المستوى المعيشي أو الاجتماعي. وأما خارج الأزمات، فكانت المرأة تغزل وتنسج الثياب

---

1- الجرسيفي: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، نشر ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ( د، ط)، القاهرة، 1955، ص 55.

2 - Salach-n-jude.BerbersRchenhesSureles. Origines Juifs et dojudaisme Afrique، Paris، 1909، p 1164.

3- الحموي: المصدر السابق، مج2، ص13.

4- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص174.

5- **إقليم توات:** هي إحدى قرى واحات المغرب الأوسط، مشهورة بالتمر وأنواعه الكثيرة. وجل عيش سكانها التمر. انظر: عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر، ط1، أبو ظبي، الإمارات، 2006، ج1، ص80.

6- العياشي: المصدر السابق، ص79.

7- عبد الرحمان بلاغ: "الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط مراكز المسالك الصحراوية أنموذجا"، **دورية كان التاريخية**، جامعة بشار، الجزائر، العدد 24، 2014، ص110.

لأفراد أسرتها فقط، وهكذا صارت أدوات الغزل والنسيج متوفرة دائما في كل منزل من منازل سكان المغرب الأوسط.

وعن هذه الحرفة، ذكر الونشريسي نازلة تتحدث عن رجل حلف لزوجته أن لا يشتري لها كتانا لتصنع منه الأثواب، ولا يحمل في عنقه ثوبا من غزلها، وذلك بسبب رجل اشتكى عليها لعدم سداد دينها.

ومن هنا تفرعت من الصناعة النسيجية العديد من الحرف الأكثر تخصصا منها:

**أولا: المرأة السراقة**

مارست المرأة حرفة السراقة[1]التي تعد من مؤثرات الحضارة الأندلسية على نساء المغرب الإسلامي، ولهذا عرف سكان المغرب الأوسط بصناعة الأقمشة الحريرية كقسنطينة وشرشال[2]، وقد جلب الأندلسيون هذه الحرفة أثناء هجرتهم مواطن إقامتهم. كما كان في تلمسان نوع من القماش يعرف بالتلمساني، بعضه من الصوف الخالص، والبعض الآخر من الصوف والحرير[3].

**ثانيا – الحياكة**

يذكر ابن خلدون أن الحياكة تدل على نسج الغزل من الصوف والكتان والقطن بالالتحام الشديد، فينتج عنها الأكسية من الصوف، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس"[4].

وكان أهل وهران ممن امتهنوا الحياكة، وعاش الكثير منهم من مدخولها[1]، وبالمثل أهل مدينة مستغانم وبرشيك ومازونة ومليانة، كل هؤلاء كانوا نساجين محترفين يقتاتون منها[2].

---

1 – وللنساء دور بارز في تربية دود الحرير يكمن في تحضينها لبيض الدود، ورعايته وذلك خلال فصول معينة من السنة فتبدأ من شهر فبراير (شباط) حيث يوضع البيض إلى شهر مارس (آذار) حيث يتولد فيه خيوط الحرير، وقد كتب أن النساء في بداية ق4 هـ/ 10م كن يحملن ديدان الحرير في المناطق الدافئة في أجسامهن: تحت الإبط أو على البطون لإعطائها الحرارة اللازمة فيقول: « وفى هذا الشهر ... يبدأ النساء بتحضين بيض دود الحرير حتى يفقس» واستمرت هذه المهنة بنفس الكيفية ورصدها المؤرخون في ق7هـ/ 13م مما يؤكد حفاظها على نفس التقنية ونفس المكان. عريب بن سعيد: **تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان**، نشر: دوزى، (د، ن)، (د، ط)، (د، ب)، (د، ت)، ص163

2– الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص 34، 56.

3– عبد الكريم جودت: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط(9هـ/10م)**، ديوان المطبوعات الجزائرية، (د، ط)، بن عكنون، الجزائر، (د، ت)، ص94.

4– ابن خلدون: المقدمة، ص516.

وذكر في نازلة" هل يحق للمرأة أن تشتري الصوف وتتصرف فيه بالغسل، فهل يحق للزوج منعها"[3].

كما كانت النساء تنسج الصوف بالحرير أو القطن لتزيين المنازل وتحضير ملابس أفراد الأسرة. لهذا، تستخدم آلة النسيج التي توضع في بهو المنزل، أو في غرفة أكثر إضاءة حتى تتمكن من صنع المنتوجات المختلفة، وتحول النساء الجزة من الصوف إلى خيوط رفيعة، ولأجل جودة الغزل، عمدت النساء إلى شراء الرماد لإضافته لغزلهن حتى يبْيضَّ[4]. وكن يساعدن بعضهن بعضا من خلال تجمع نسوي يسمى التويزة. حيث تخرج النسوة وتتجمع عند امرأة واحدة في منزلها، أو من تدعوهن لمساعدتها في غزل الكتان أو الصوف[5].

ولم تقتصر الحياكة على نساء العوام فقط، بل تعدتها إلى نساء الخاصة أيضا، واللواتي يتقن هذه الصنعة، وأشار المؤرخ عبد الواحد المراكشي في معجبه أن بنات المعتمد بن عباد[6] كن يغزلن الصوف للنساء بالأجرة. حيث يقول:" ... وبلغ من حال المعتمد بن عباد بأغمات أن كثر حظياته، وإكرام بناته التجأن إلى أن تستدعي غزلا مناسبا تسد بأجرته بعض حالها، وتصلح به ما ظهر من اختلالها. فأدخل عليها فيما أدخل، غزل لبنت عريف شرطة أبيها..."[7]، وكانت نساء تلمسان متقنات لصناعة النسيج، وبارعات في الغزل[8].

---

1 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 30.

2 – نفسه، ج2، ص- ص31-32، 35-36.

3 – يحي بن موسى المغيلي: **الدرر المكنون في نوازل مازونة**، تح: مختار حساني، مراجعة مالك كرشوس الزواوي، دار الكتاب العربي، (د، ط)، الجزائر، 2009، ج2، ص 33.

[4]-الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص 427.

[5]- يحي بن موسى المغيلي: المصدر السابق، ج2، ص 34.

6 -**المعتمد بن عباد:** هو المعتمد على الله محمد بن عباد. كنيته أبو القاسم. وهو الجواد والشجاع، فذ في البلاغة، بارع في نظم الشعر والنثر. وهو من ملوك الطوائف. نفي إلى آغمات هو وزوجته وعائلته. ينظر: لسان الدين الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1973، ج1، ص 172.

7- ص 229.

8- محمد بن عرفة التونسي: **المختصر الفقهي**، تع: حافظ عبد الرحمان محمد خير، مؤسسة خلف أحمد البتور للأعمال الخيرية، (د، ط)، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2014، ج4، ص 163.

وامتهنت نساء المغرب حياكة الحصر والقفاف من الحلفاء ونبات الكدوم والديس من الجبال والأحراش والشعاب القريبة من تلمسان[1]، وهي متوفرة بكثرة في بلاد المغرب الأوسط، وكان ممارسها يدعون بالحنفاوي والبرادعي والقفاف[2].

وبرزت نساء بني سنوس في تلمسان بإتقان هذا العمل، حيث كان الطابع البربري الأصيل واضحا من خلال الرسومات الجميلة والأشكال البديعة. وهي تعبر عن أصالة البيئة المحلية، وذلك للاستفادة من عائداتها المالية. وسميت بحصر بني سنوس[3] لكثرة شهرتها في المعاملات التجارية والأسواق المحلية وغيرها، وهذا ما جعل نساء بني سنوس يؤثرن على باقي صناع الحصر في كل بلاد المغرب الإسلامي.

**ثالثا- الخياطة**

يقول عنها ابن خلدون أنها " لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد تفصل بالمقراض قطعا مناسبا للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة"[4].

وكانت حرفة الخياطة خاصة بالنساء على وجه العموم، تمارس في البيوت أو في سوق خاصة للغزل[5] .

والملاحظ أنها انتشرت في مدن المغرب الأوسط. وقد أشار ابن القوطية إلى أحد الخياطين في تاهرت[6]، وكان منهم من يخيط للخاصة من حكام وأمراء، ومنهم من كان يخيط للعامة[7].

---

1 - ابن رزين التجيبي: **فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان" صورة من فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين**"، تح: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، بيروت، 1984، ص ص 36-37.

**2- الحلفاوي:** هو الذي يقوم بنسج الحلفاء والبرادعي هو صانع البرادع التي توضع على ظهور الحمير والقفاف صانع القفف من الدوم. ينظر: نفسه، ص ص 36- 37.

3- نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص 249.

4- ابن خلدون: المقدمة، ص516.

5- عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص99.

6- ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1989، ج2، ص103.

7- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص99.

وصنعت النساء المناديل والملاحف من القطن والكتان[1]، وكانت هذه الصنعة مختصة بالعمران الحضري، بسبب حاجتهم إلى الملابس واعتنائهم بها، وصرح ابن مرزوق الخطيب أن درب سيدي شاكر في تلمسان كان من أهم الدروب المتخصصة في حياكة وخياطة الملابس الصوفية، وكانت الصنائع في تلمسان موزعة على مختلف الساحات والأروقة[2].

وتعددت ورشات الخياطة بالمغرب الأوسط، فكانت كل ورشة تنسب إلى صاحب الحرفة الذي يشرف على إنجاز الأعمال، وكانت هناك ورشات خاصة بأبي زيد النجار التي كان يملكها لحياكة الصوف الرفيع الذي اشتهرت به مدينة تلمسان[3]، كما كانت له تربيعات بموضعه من درب شاكر. وكان أكثر هذه الدروب له ولعماله وخدامه[4].

وبالنسبة إلى شكل هذه الورشة، فيصفها ابن مرزوق قائلا: "وكان له داخل الدرب درب يختص به. فيه دوره ودور بنيه، والدور التي عين لأبنائه أدركت من دوره الدار الكبرى، وتتصل بها دار تعرف بدار الإنجاصة، تتصل بها دار تعرف بالدار الجديدة. وهي موضع سكناه الخاصة به ... وخارج هذا الدرب الصغير درب كبير ". كما كانت هذه الورشة مقصودة من كل بلد من ملوك إفريقية والمغرب الذين كانوا يلبسون ما كان بتلمسان من رفيع الصوف المختصة في ذلك[5].

فكانت الأعمال الكثيرة تخرج كل يوم من مدينة تلمسان نحو الأسواق المغاربية والمشرقية وحتى الأوربية[6]، ويبدو أن لأبي زيد النجار الدور الكبير في إنماء هذه الحرفة. إضافة إلى الورشة الموجودة في تلمسان التي كانت مختصة في الحياكة والطرز، فيشير لنا ابن مريم في حديثه إلى أنها كانت لمعلم، وفيها صناع أجراء وصبيان يتعلمون حرفة

---

1- الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج2، ، ص249.

2- ابن مرزوق: **المناقب المرزوقية**، تح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية، 2008، ص189.

3- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 188.

4- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص200.

5- ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 189.

6- عبد العزيز الفيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص214.

النسيج، ومن بين الصبيان أحمد بن زكريا التلمساني[1]، لكن لم يعرفنا ابن مريم على اسم صاحب هذه الورشة.

ومن حديث صاحب الاستبصار عن بجاية والقلعة الحمادية، وما كانت تصنع من أكسية لا مثيل لها في الجودة، وعمائم مطرزة بالذهب[2]، يتبين لنا أنه كانت في هذه المناطق ورشات حرفية ومصانع خاصة للنسيج والحياكة والطراز ويبدو أنها كانت تابعة للدولة[3].

كما وجدت عدة ورشات حرفية أخرى ملكا لشخص واحد، وأشار لنا ابن القوطية عن وجود حوانيت خاصة بالحرفي وملك له في تاهرت[4]، وكان لأبي محمد عبد الله الشريف حانوت في بجاية احترف فيه الخياطة، وكان مقره سوق الصوافين ببجاية، وهو ما أشار إليه الغبريني في معرض حديثه، فقال:"... دخلت سوق الصوف فرأيت خرقة أعجبتني، فاشتريتها بثلاثين درهما"[5]، إضافة إلى أبي إسحاق إبراهيم الخياط الذي كانت له حانوت بتلمسان للخياطة وقد احترف هذه المهنة، وكان يعيش منها[6].

ولم تقتصر ممارسة هذه الحرفة في ورشات الحوانيت فقط، بل هناك من زاولها في البيوت خاصة النساء، وهذا ما ذكره لنا ابن قنفد عن مؤمنة التلمسانية التي كانت تزاول حرفة الغزل في بيتها[7]، فكانت النساء التلمسانيات تنسج البرانيس للرجال والبرينسات للأطفال، وكذلك الزرابي، والحنابل في منازلهن. فكانت أغلب النسيج من غزل النساء [8] .

---

1- ابن مريم محمد الشريف المليي المديوني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ص 38.

2- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص129 وما بعدها.

3- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص91.

4- ابن القوطية: المصدر السابق، ج2، ص103.

5- أبو العباس الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان، 1979، ص ص 175، 195.

6- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج 1، ص155.

7- ابن قنفد القسطنطيني: **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، (د، ط)، الرباط، المغرب، (د، ت)، ص80.

8- عبد العزيز الفيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص21.

وتأثرت المرأة الخياطة بما شاهدته من النساء الأندلسيات، فقد أدخلت المرأة السراويل[1] إلى المغرب الأوسط، فقامت بخياطتها على نفس طراز النساء الأندلسيات، وقد تميز السروال بقصره وانتفاخه الذي يصل إلى الركبتين[2].

والملاحظ أن استعمال السروال لم يكن منتشرا في العهد الموحدي مثلما هو في العهد الزياني في قول حسن الوزان" ... أن النساء الحضريات عند خروجهن من البيت يلبسن سراويل تستر كل سيقانهن"[3]، وهذا دليل تمازج حضاري بين الأندلسيين والتقاليد البغدادية التي انتقلت بدورها إلى المغرب الأوسط .

والألبسة تعبر عن حضارة وثقافة الشعوب، فهي مرآة عاكسة وصادقة عن عادات وتقاليد الأمم وعناصرها المؤثرة فيها. حيث نجد في فترة الدراسة دخول عناصر جديدة، مما سمح أن تتحول حواضر المغرب الأوسط إلى بيئة حضارية راقية، [4]ومن بينها أهل الأندلس والأقليات غير المسلمة من النصارى واليهود، فنجد الملحفة[5] التي جلبتها الأندلسيات معهن إلى المغرب الأوسط، وتأثرت بها نساؤه، فخِطْنه وارْتديْنهُ[6].

والمعلوم أن الملحفة معلومة عند نساء البربر عامة، وفي منطقة الأوراس خاصة، والمرجح هنا أن المرابطين قد أخذوا الملحفة إلى الأندلس، ومن هناك جلبت الملحفة بعد المد النصراني على مدن الأندلس، وهذه الدورة الحضارية المتكاملة بين حضارات الأمة الإسلامية وثقافاتها تدل على مدى التأثير والتأثر بين المغرب الأوسط وباقي العناصر والدول المجاورة محورها المرأة.

---

1 – **السروال:** مشتق من الكلمة الفارسية شلوار، وكانت مستعملة منذ العهد الإسلامي الأول. ينظر: صبيحة رشيد رشدي: **الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية**، مؤسسة المعاهد الفنية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط1، بغداد، 1980، ص 48.

2 – Levi –Provencal: Histoire **de l'Espagne muslman**، T3، paris، 1953، p 424.

[3]– حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص125. ينظر أيضا:

Bossy (M): **Alger et livourne et leurs relations économiques**، Alger، 1971، p 36.–4

5 – **الملحفة:** هي عبارة عن نوع من الإزار، يكون عرضها بمقدار ثلاثة أذرع تقريبا، وطولها بحوالي ثمانية أو تسعةأ ذرع. ينظر: ل. أ.ماير: **الملابس المملوكية**، تر: صالح الشيتي، مر وتق: عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ( د، ط)، مصر، 1972، ص 160 .

[6] – ينظر ملحق رقم 17.

**رابعا- الصباغة**

ارتبطت الصباغة[1] ارتباطا وثيقا بصناعة النسيج منذ بدايتها، حيث ساعدت مواد الصباغة على إنتاج أقمشة مختلفة الألوان، وذلك عن طريق استخلاص الأصباغ من مصادرها النباتية والحيوانية، كاستعمالهم للحناء من طرف النساء[2] والتي وجدت في بني وازلفن[3]، واستعملت للصبغات الحمراء، والزعفران الذي وجد في مجانة[4] للصبغات الصفراء والنيلة[5] التي استعملت للصبغات الزرقاء.

وعرفت مدينة العباد[6] بالعديد من الصناع الذين احترفوا الصباغة[7] وكذا دلس، حيث اشتغل العديد من المحترفين بهذه الصنعة[8]، وعرفت تلمسان بصباغة الأنسجة الصوفية[9] واستعملوا النيلة وورد النيل والسماق ولحاء شجر معين[10].

ونجد أن حرفة الصباغة والقطان[11]، بالإضافة إلى الخياطة والحياكة، كلها ارتبطت بالصناعة النسيجية، وكان للمرأة الدور الكبير فيها، فصنعت النساء مختلف المنسوجات الصوفية وبِعْنها في أسواق مدينة بجاية، ويذكر الوزان أسواقها فيقول: "... وأسواقها كذلك

---

1- **الصباغة:** هي صناعة صبغ وتلوين الخيوط والمنسوجات على اختلاف أنواعها بالألوان. وعرف صاحب هذه الحرفة بالصباغ. ينظر: محمد عمارة: المرجع السابق، ص325.

2- علي جمعان الشكيل: "صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية"، **مجلة أفاق الثقافة والتراث**، جامعة صنعاء، اليمن، العدد27، 2001، ص147.

3- الإدريسي الشريف: المصدر السابق، مج1، ص253.

4- الحموي: المصدر السابق، مج5، ص56.

5- **النيلة:** شجرتها تسمى النيلج. وهي من أهم مصادر اللون الأزرق. حيث يستخرج منها النيل، وهو نبات له ساق وفيه صلابة، وله شعب دقاق، عليها ورق صغار مرصفة من جانبين، ولونه إلى الغبرة والزرقة. انظر علي جمعان الشكيل: المرجع السابق، ص147.

6- **مدينة العباد:** مثابة ربض لتلمسان. ولا تبعد عنها إلا بنصف فرسخ من جهة الجنوب. انظر كاربخال: المصدر السابق، ص323.

7 - الوزان: المصدرالسابق، ج2، ص124.

8- لخضر عبدلي: تاريخ مملكة تلمسان، ص411

9- نفسه، ص190.

10- الوزان: المصدر السابق، ج2، ص10.

11 - **القطان:** بفتح القاف والطاء مشددة ممدودة- جمع قطانون - هو بائع القطن. والقطام هو الذي يقوم بندف القطن ليصبح صالحا كحشو للوسائد والمراتب. أنظر: محمد عمارة: المرجع السابق، ص460.

منسقة أحسن تنسيق"[1]، ولم تتركز هذه المجموعة الحرفية في مدينة بجاية فقط، بل شملت مختلف مدن المغرب الأوسط، كتلمسان التي اشتهرت بمنسوجاتها المتنوعة[2]، وبأقمشتها المصنوعة من الصوف، مثل الكنابيش التي تنسجها النساء[3].

ونسجت المرأة بنفسها اللحاف(الحايك) الذي كانت ترتديه جميع نساء المغرب الأوسط عند خروجهن من المنزل. فنسجته من الصوف أو من الحرير، وذلك حسب الأحوال الاجتماعية أو الطبيعية للمنطقة[4].

وهذا الجدول يوضح لنا مدى رواج هذه السلعة داخل أسواق المغرب الأوسط:

| السلعة | الأسعار | المكان | المصدر |
|---|---|---|---|
| الكساء | ثلاثون دينارا | قلعة بني حماد | مجهول:الاستبصار، ص170. |
| الصناعة الصوفية (الكسا و البرنوس) | ثمان أواق والإحرام من خمس | تلمسان | يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص22. |
| العمائم المذهبية | خمسمائة دينار | بنو حماد ملوك صنهاجة | مجهول: نفسه، ص129، الحميري:المصدر السابق، ص81. |

**خامسا- حرفة القصارة**

1- الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50.

2- الزهري: المصدر السابق، ص113.

3- الحموي: المصدر السابق، مج2، ص44.

4 - حمدان خوجه: **المرآة**، تعريب محمد العربي الزبيري، ( د، ط)، ( د، ن)، الجزائر، 1975، ص 62.

أما حرفة القصارة فهي تقوم على إصلاح الثياب البالية عن طريق غسلها بالماء والصابون وتعريضها للشمس، والهدف من القصارة هو إعادة النصاعة والبياض للثوب المتسخ الرث، ويبدو أن القصارين لم يلتزموا بهذا المفهوم وقول الونشريسي "... مصالحة الثوب القديم بالقصارة ... خيوطهم بأنه جديد كالصبغ في بعض الألبسة البالية ... وخياطتها أثوابا يزعم انها جديدة"[1].

ويذكر الونشريسيقي نازلة نقلها عن العقباني بقوله ..."للقصارين بتلمسان، فإنهم تملكوا مقبرة من مقابر المسلمين يتصرفون فيها بالبيع والابتاع ... فأجاب بأن الخور بأيديهم غير نكير ذلك يوجب ملكهم، ولهذه الحرفة موضع معروف بتلمسان يقصده أهل البلد لغسل ثيابهم يسمى " رأس القصارين "[2].

### ب- الصناعة الغذائية

مارست نساء المغرب الأوسط بعض الحرف المنزلية لمساعدة أزواجهن عند الفقر والعوز، فكانت نساء تلمسان يفتخرن بتعليم بناتهن الحرف اليدوية المتعارف عليها في ذلك المجتمع[3]، ومنها صناعة الخبز من الشعير أو القمح[4] أو العدس أو الجلبان أو الذرة أو الحمص أو الفول أو من الأرز أو البلوط... وغيرها من الحبوب، بعد طحنها وعجنها في البيوت بالنسبة للبدويات، فكان خبز القمح الذي تصنعه نساء المغرب الأوسط، وخصوصا

1- الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص504.

2 - نفسه، ص219.

3- مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص 90.

4- ابن الزيات: التشوف، ص 181. ينظر أيضا الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 231، وينظر أيضا حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 96.

نساء تلمسان، من أجود أنواع الخبز، وتصنع من دقيق الحبوب أيضا الحلوى بأشكال وأذواق متنوعة[1].

وتقوم النساء البدويات من الطبقة الفقيرة بتحضير الخبز داخل أفران في البيوت[2]؛ أما النساء الحضريات وذوات الطبقة الغنية فيجهزن الخبز ليأتي من يحمله إلى الأفران، ويقوم الخبازون بخبزه[3]، أو تطحن الدقيق وتأخذه إلى الفرن وتعود به خبزا[4] .

فهناك فروقات واضحة بين أهل المدن وأهل الصحراء بخصوص الأطعمة، فكان أهل البدو يستهلكون الألبان واللحوم في قوتهم اليومي، وهذا ظاهر على أجسادهم مثل أهل صنهاجة[5].

وصنعت النساء أيضا من طحين القمح والشعير دشيش، وفتلن منه الكسكس والثريد وكل ما يصنع من الدقيق[6].

وصنعت نساء المغرب الأوسط اللبن والجبن لتوفر الماشية في المنطقة والمناخ المناسب لتربيتها، وساعدهن على زيادة المنتوج، فكن يبعنه في الأسواق[7]، إلى جانب هذا عملت المرأة في سقاية الماء الذي هو من ضروريات الأعمال اليومية للبيت. وصور لنا البيذق هذا المشهد في تلمسان، وعند نزول ابن تومرت بها، وجد النساء يسقين الماء والرجال يتوضؤون[8].

---

1- عبد المالك بكاي: "الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10 هـ/13-16م"، (أطروحة دكتوراه)، تحت إشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014، ص 285-286.

2 - الشيخ أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني( 738 - 841هـ/ 1337- 1438م): **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، المعروف بفتاوي البرزلي**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، بيروت، 2002، ج2، ص 72.

3- ابن الزيات: التشوف، ص ص180-181.

4 - البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص 72.

5 - ابن خلدون: المقدمة، ص ص 69-70.

6- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص266.

7- البيذق: أخبار المهدي، ص 21.

8 - أخبار المهدي، ص 21.

ومارست صناعة الفخار لما يتطلبه من سقي الماء، وحفظ اللبن، وطحن الحبوب في الأواني الفخارية لتسهيل الأعمال المنزلية من طهي وغيرها، مثل: شوي الخبز على مقلات فخارية[1]، وحفظ الصناعة الغذائية الجافة والسائلة كالسمن[2] والزيوت، منها: زيت السمسم، وزيت الخروع وزيت بذر الكتان[3].

ولهذا كانت في تلمسان أفران خاصة بصناعة الفخار، [4] حيث نجدها بالقرب من باب العقبة[5] وباب القرمادين[6] وبجاية، وازدهرت هذه الحرفة، ولاقت رواجا ملحوظا في تلمسان وغيرها من المدن، واستعملت من طرف كافة فئات مجتمع المغرب الأوسط[7] بشكل ملحوظ، حيث كانت طباخات ذاك العهد يفضلن القدور الفخارية[8] لطهي الطعام[9].

وقامت النساء بتصبير الزيتون الفائض[10] وصناعة المخلل والخل[11]، حيث كانت صناعتهما منتشرة في المغرب الإسلامي عامة، وتقطير الزهر في فصل الربيع، وتخليع اللحم، وذلك لشدة فقر أزواجهن[12]، وكانت الصناعة الغذائية تتأثر بالفصول، وتختلف المنتجات حسب توفر المادة الأولية في كل فصل[13].

### 3- المرأة والتجارة في المغرب الأوسط

1- سعد عبد الحميد زغلول: تاريخ **المغرب العربي**، منشورات المعارف، الاسكندرية، مصر، 2000، ج5، ص 112.

2 - مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 96.

3 - عبد الكريم يوسف جودة: المرجع السابق، ص 112.

4 - ينظر ملحق رقم 12.

5 - **باب العقبة:** يقع باب العقبة في الجهة الغربية لتلمسان.ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص 90.

6- **وباب القرمادين:** يقع هذا الباب في الجهة الشمالية لتلمسان بمحاذاة باب الحلوي. ينظر: نفسه، ج1، ص 90.

7- مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص 95-96.

8 - ينظر ملحق رقم 11.

9- شهاب الدين أحمد الحنفي: **زهر الحديقة في الأطعمة الأنيقة**، تح: محمد عبد الرحمن الشاغول، الجزيرة للنشر والتوزيع، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، مصر، القاهرة، 2007، ص 14.

10- حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 78.

11 - جمال أحمد طه: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ( د، ط) ، الأسكندرية، 2004، ص179.

12- ابن الزيات: التشوف، ص 181.

13خلدون: المقدمة، ص 375.

13-إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر، (د، ط)، الجزائر، 1998م، ص239.

ذكر ابن خلدون أن التجارة هي شراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء، وهذا من أجل الربح وتنمية المال، ومنه يحصل الكسب والمعاش[1].

وعرف المغرب الأوسط نشاطا وازدهارا في الحركة التجارية، وذلك استنادا إلى ما رصده لنا الرحالة، فخلال العهد الحمادي، كان مرسى بجاية في عهد الخليفة المأمون أعظم ميناء بعد الإسكندرية على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، وكانت السفن التجارية تقصده من أوربا ومن الشرق العربي، ومن الصين والهند لتحمل سلعها إلى بجاية[2]، ولهذا قال الإدريسي عن بجاية: "والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة "[3].

**أ – التجارة**

حث القرآن الكريم على ممارسة التجارة، حيث قال تعالى: «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا{29}** »[4]، ويعرف ابن خلدون في مقدمته التجارة فيقول: "معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع، ومحاولة بيعها بأغلى ثمن الشراء"[5].

وتعتبر التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية في بلاد المغرب الأوسط. وساهم الموقع الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، والذي امتد على سواحل بحر الروم[6] وبحر الظلمات (المحيط الأطلسي) واتصاله بالصحراء الكبرى، على ازدهار الحركة التجارية، كما ساهم التطور الزراعي والصناعي على ظهور مراكز تجارية، وساعدت الظروف السياسية المحيطة

---

1– ابن خلدون: المقدمة، ص 375.

2– إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص190.

3– الإدريسي: المصدر السابق، ص260.

4- سورة النساء: الآية، 29.

5– ابن خلدون: المقدمة، ص 495.

6– **بحر الروم:** هو خليج من البحر المحيط مخرجه بين أرض الأندلس وأرض سبتة وطنجة، يمتد على سواحل المغرب ومما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أقاصي أرض مصر. انظر ابن حوقل: المصدر السابق، ص74.

بالدول المجاورة لهم وسياستهم نحوها إلى مزاولة تجارة ناجحة داخل المنطقة وخارجها. وانقسمت التجارة إلى قسمين:

**أولا-التجارة الداخلية**

تمثلت في المراكز والطرق التجارية الداخلية، إضافة إلى الأسواق[1]، حيث ذكر لنا الرحالة والجغرافيون العديد من الطرق الداخلية، والتي تربط مدن المغرب الأوسط ببعضها البعض، وعلى هذا الأساس، ذكر لنا البكري في القرن (5هـ/11م) طريقا يربط ما بين تلمسان ووهران بقوله: "...وبين مدينة وهران وتلمسان مرحلتان "[2].

وهو ما وافقه عليه الإدريسي في القرن(6هـ/12م)، ويضيف أن هذا الطريق يمر عبر وادي واروا إلى قرية ثانيت وهي مرحلة، ومن هذه القرية إلى مدينة وهران مرحلة، وساعدت هذه الطرق على تبادل منتجاتها المختلفة[3].

أما بالنسبة إلى المراكز التجارية الداخلية، فقد تنوعت، ومن بينها قلعة بني حماد التي تعتبر مركزا تجاريا هاما، فيقول الإدريسي: "وبها تحل الشدود فتباع البضائع بالأموال المقنطرة"[4]، وبالتالي كانت مقصدا للقوافل من مختلف البلاد، بالإضافة إلى مراكز أخرى كتيهرت المسيلة، والساحلية كتلمسان ووهران وتنس وغيرها من المراكز[5].

**ثانيا- التجارة الخارجية**

كان لازدهار التجارة الداخلية في أسواق المغرب الأوسط الأثر البالغ في تنشيط حركة التجارة الخارجية التي تمثلت في الطرق التجارية الكثيرة، والتي ربطت بلاد المغرب الأوسط

---

1-حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980، ص268 وما بعدها.

2- البكري: المصدر السابق، ص76.

3- الإدريسي: المصدر السابق، ص260.

4- الإدريسي: المصدر السابق، ص 260.

5- نفسه، ص 246.

ببلدان وأقاليم خارجية كالأندلس وإفريقية والمغرب، ومن أهمها التي تصل فاس[1] بتلمسان وتقدر بتسع مراحل[2]، وهناك طريق أخرى تربط القيروان[3] بتيهرت، وقدّرها ابن الفقيه بمسيرة يوم على الإبل[4]، وارتبطت مملكة بني حماد بالشرق عن طريق طرابلس[5] وبرقة[6].

أما العلاقات التجارية، فقد ربطتها مبادلات تجارية مع الأندلس، وذكر الإدريسي أن مدينة تنس قصدها الأندلسيون للتجارة[7]، كما ربطتها علاقات تجارية مع العالم الإسلامي بواسطة السفن الأوربية[8]، وعلى هذا الأساسيذكر كتاب الاستبصار عن بجاية " وهي مرسى عظيمة، تقصدها سفن الروم من الشام وغيرها، وترسو فيها سفن المسلمين من الإسكندرية من طرق بلاد مصر "[9].

كما لعبت الموانئ التجارية دورا أساسيا في تفعيل المبادلات التجارية عن طريق بحر الروم، وتذكر كتب الجغرافيا والرحلات العديد من الموانئ منها: ميناء تنس[10] والمرسى الكبير بوهران وميناء مستغانم وغيرها من الموانئ الأخرى[11].

ونلاحظ أن النشاط التجاري، الذي شهدته مدن المغرب الأوسط، من كثرة الأسواق ونشاط الموانئ، ساعد على رواج الصناعة التي أصبحت من الميسور تسويقها وتصديرها

---

1- **فاس:** بالسين المهملة وهي مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر. وهي حاضرة البحر مختطة بين ثنيتين عظيمتين. وكانت الحاضرة المركزية لدولة الأدارسة. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج4، ص230. ينظر: ليفي بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، تح ذوقان قرقوط، (د، ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د، ت)، ص19.

2- الإدريسي: المصدر السابق، ص246.

3- **القيروان:** تقع في الإقليم الثالث، مدينة عظيمة بإفريقية. طولها إحدى وثلاثون درجة وأربعون دقيقة. انظر الحموي: المصدر السابق، مج4، ص220.

4- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص79.

5- **طرابلس:** بفتح أوله وبعد الألف ياء موحدة مضمومة ولام أيضا مضمومة وسين مهملة. انظر: الحموي: المصدر السابق، مج4، ص 25.

6- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص244.

7- الإدريسي: المصدر السابق، ص78.

8- مختار حساني: المرجع السابق، ص194.

9- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص129.

10- الإدريسي: المصدر السابق، ص78.

11 – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص133.

إلى أسواق الاستهلاك المختلفة، وأقبل الصناع على مضاعفة الإنتاج[1]، إذ أن تصريف السلع يعني تحريك النشاط الصناعي وسلع جديدة[2]، وهذا ما يذكره ابن خلدون في قوله:" الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طلبها "[3]، واستغلت المرأة هذا الوضع الاقتصادي لتمارس مهنة التجارة داخل أسواق المغرب الأوسط.

**ب- المرأة التاجرة**

ترددت النساء في حواضر المغرب الأوسط على الأسواق، ومارست التجارة، وظهر ذلك خصوصا في سوق الغزل، إذ توافدت عليه النساء والرجال لشراء الخيوط الصوفية وكان إقبال النساء بشكل ملحوظ، وذلك لبيع المنسوجات المختلفة إلى التجار الأجانب. كما نلاحظ توافد الكثير من النساء على سوق العطارين، ومخالطتهن لتجاره[4].

**أولا: الدلاّلة**

يقتصر دور المرأة في هذه المهنة كواسطة بين البائع والمشتري والدلاّلات[5]، يجُبن البيوت والشوارع، يحملن بضائع وسلعا بهدف ترويجها وبيعها في الغالب إلى النساء الماكثات في البيوت، والدلاّلة هي من تنوب عن البائع[1].

---

1- حمدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، ( د، ط)، الأهرام، مصر، 1997، ص353.

2- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص85.

3- ابن خلدون: المقدمة، ص505.

4 -مختار حساني: المرجع السابق، ص 48.

5 -**الدلاّلات:** مفردها دلالة وهي من دل عليه وإليه، أي أرشد، ويقال دله على الطريق سدده إليه. والدلالة هي الإرشاد ويقتضيه اللفظ عند إطلاقه وهو اسم لعمل الدلال وهو من يجمع بين البيعين، ومن ينادي على السلعة لتباع بالممارسة. ينظر: شوقي ضيف وآخرون: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط1، مصر، 2004، ص294.

وأورد الونشريسي نازلة مفادها: "أن دلاّلة باعت لرجل أسبابا بالنسيئة، ثم قبض الرجل معظم الثمن وتبقى له منه بقية، فطلب الدلالة بقبضها"[2]، وفي الغالب امتهنت هذه الحرفة نساء الطبقة الفقيرة، لأن نساء الأمراء والحكام لا يستطعن الخروج إلى الأسواق لشراء لوازمهن لعدم سماح أزواجهن لهن بذلك، فكانت الدلاّلة هي من تتردد على البيوت، وتجوب الأزقة والشوارع لبيع الأقمشة والألبسة الفاخرة لهن، مقابل أثمان يحددها التاجر[3].

وتتقاضى الدلالة أجرها نظير عملية البيع من طرف صاحب البضاعة أو السلعة وغالبا ما يلجأ إلى خدمات الدلالات، التجار الغرباء وأهل البادية[4].

وكانت السلع التي يبيعونها ذات أثمان تقل عن ثمن السلع المعروضة في الدكاكين. وأضحى الناس يفضلون الشراء منهم[5].

وظهرت هذه المهنة حتى في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، وهو ما يدل على تأثر نساء بوادي المغرب الأوسط بنساء المغرب الأقصى بحكم الجوار والامتداد الحضاري لكلا المنطقتين، ومن ضمن هذه الحرف، مهنة المتصرفات اللواتي كان دورهن يتمثل في قضاء حاجات النساء من الأسواق، وبالرغم من أن هذه المهن مهمة جدا في مجتمع المغرب الأوسط، إلا أن المصادر التاريخية لم تشر لهذه المهنة، ولعل ذلك راجع إلى أن من امتهنها هن من نساء العامة الفقيرات.

**ثانيا: السمسارة**

وتتولى السمسارة مهمة الوسيط في العملية التجارية بين البائع والمشتري، وذلك لتسهيل رواج البضائع[1]، وتتلقى مقابل هذه الخدمة أجرة قد تصل في بعض الأحيان إلى نصف الأرباح. واختصت النساء والرجال بهذه المهنة[2].

---

1 – ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح، ص 194.

2 – الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 238.

3– مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 209.

4 – الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 220.

5 – جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448- 668هـ/ 1056- 1269م**، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء، ( د، ط) ، الأسكندرية، ( د، ت، ن)، ص 248.

وكان دور المرأة هو مساعدة بعض النساء لبيع السلع أمام بيوتهن، لأن الكثير منهن لم يكن بإمكانهن التفاوض مع الرجال في ثمن المبيعات، وينقل لنا الونشريسي هذا المشهد لامرأة مغربية كانت تبيع الزيتون الفائض عن حاجتها في حلقة من البائعين أمام دارها مستعينة في ذلك بسمسار يقوم بالمزايدة حتى يصل إلى أعلى سعر مقابل أجرة معينة[3].

وهذا دليل على أن كل فائض من المنتوجات التي تنتجها المرأة الماكثة في البيت يدخل في تسريع حركة التجارة، ودليل أيضا على أن كل حرفة في يد نساء المغرب الأوسط هي صنعة تقتات منها، سواء خرجت للأسواق أو لم تخرج.

**ثالثا: المرأة البائعة**

كان أغلب المتسوقين من الرجال، غير أنه كانت لنساء المدن بعض الحرية في التنقل بين الأسواق، فيأتي بعضهن رفقة أزواجهن لقضاء حاجتهن من السوق. ويترك الرجل زوجته في الدكان، وينصرف لقضاء حوائجه في مكان آخر من السوق.[4]

وابتاعت نساء أخريات حوائجهن من الباعة المتجولين والدلالات الذين يجلبون السلع إلى الدور[5].

وسجلت لنا كتب التاريخ الإسلامي عدة أسماء من النساء البائعات، ومنهن مثلا الصحابية أسماء بنت مغربة التي كانت تبيع الطيب اليمنية لنساء المدينة[6].

ونجد الصحابية مليكة الثقفية كانت تبيع العطر للنساء والرجال، وقد اشترى منها الرسول- صلى الله عليه وسلم- عطرا[7]، وعلى هذا المنوال سارت نساء المغرب الأوسط على نهج

---

1- القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تق، تح، تع: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط2، المغرب، 1997، ص 162.

2 -الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص 78.

3 -نفسه، ج6، ص 78.

4- ابن الحاج: المصدر السابق، ج4، ص 257.

5الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 197.

6 – محمد بن عمر الواقدي: **المغازي**، تح: مارسدن جونسو دار المعارف، ( د، ط)، القاهرة، 1965، ج1.ص 889.

7 – ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 260.

الصحابيات، وكان للتأثير الديني الأثر الروحاني على نساء المغرب، مما جعل عملهن يصطبغ بالصبغة الدينية نتيجة ممارسة الصحابيات للتجارة.

وعلى هذا الأساس، اشتهرت نساء قبيلة زواوة ببيع الدجاج والبيض في الأسواق[1] وكانت النساء في العهد الزياني تفتش عند دخولهن إلى السوق من طرف يهوديات ظاهرا وباطنا، وذلك تحسبا من إدخالهن بعض السلع التي عليها مغرم من المغارم[2]، وهذا يوضح أن النساء كن يلجن، لبيع بعض المنتوجات، أسواق تلمسان.

ومن بين السلع التي وضعت عليها المغارم: الحطب والبيض والدجاج والتين. وكانت المرأة البدوية تبيع البيض والدواجن وكل ما يربى داخل المنازل، بغية شراء لوازم البيت من غذاء[3].

وباعت النساء اللبن في الأسواق، وقد رآهن المهدي بن تومرت في بدايات القرن( 6هـ/ 12م) في منطقة صاء في تاويروت، وأورد ذلك البيذق الذي قال:" نظر النساء مزينات محليات يبعن اللبن"[4]، وإلى جانب هذه السلع باعت النساء الخضر والفواكه، واشترط عليهن أن يبعن الخضر والفواكه نظيفة ومغسولة، وخاصة الخس والجزر وغيرهما، وتغسل في المياه الجارية عند الأودية، وليس في المياه الراكدة[5] .

وحرصت بعض النساء أن تبتاع من زوجها الدور والبساتين وما إلى ذلك من العقار رغبة منها أن لا تخرج ممتلكاتهم خارج نطاق الأسرة[6]، وباعت الكثير من نساء المغرب الأوسط غزلهن في أسواق النساء الذي اختص ببيع الغزل بأنواعه[7].

---

1- مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص 203-204.

2- ابن عبدون: ثلاثة **رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**. تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 42-43.

3- نفسه، ص 42-43.

4 – البيذق: المصدر السابق، ص 21.

5 – ابن عبدون: المصدر السابق، ص ص 45-46. ينظر أيضا: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 36.

6- كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص20.

7- العقباني: تحفة الناظر، ص 263.

والملاحظ هنا، أن نساء المغرب الأوسط كن يبعن بضائعهن داخل الأسواق وخارجها بأنفسهن أو عن طريق وسيط. وهن يشبهن بنساء المغرب الإسلامي عامة، ومثيلاتها في بلاد الأندلس، حيث كان التأثير الحضاري واضحا.

صفوة القول:

إن مساهمة المرأة في الحياة العامة لا تقل أهمية عن مساهمة الرجل، فالإسلام فتح الباب واسعا أمام المساهمة في ميادين الحياة المختلفة، فشاركت المرأة الرجل الصلاة في المساجد وإن خصت لها الصفوف الخلفية، وفتح لها باب خاص بها، ونقلت الحديث وبرعت في مجال الدعوة، وسارت إلى ميادين القتال للسهر على راحة المقاتلين، وامتهنت صناعة التوليد، وساهمت في معظم الميادين التي كانت حكرا على الرجال، وقد مجدها الإسلام كإنسان مستقل وفاعل وقادر على العمل وتحمل المسؤولية، قادر على الإبداع.

**خاتمة الباب الأول:**

تفاعلت المرأة مع السياسات المتداولة على المغرب الأوسط، فكان لها تأثير قوي عندما لعبت دور الوساطة والاستشارة داخل القصور، بهدف خدمة الدولة وكانت تتجسس على أعداء قادتها، فكم من جوارٍ قضين على دول وحافظن على أخرى.

وأثرت النساء معنويا على الرجال في ميادين الحروب، فشحذت من هممهم وزادته قوة على قوتهم، وأعطت المحاربين دفعت معنوية لمجابهة أعداء الدولة، والنصر عليهم.

وكان للحرب الناعمة (المصاهرة) دور كبير، فكانت بنات الأمراء تقمن بواجبهن من خلال المصاهرة التي تضمن تحويل أعداء الأمس إلى حلفاء، فتأمن الدولة شر الأعداء وتقرب الدول وتشد عضدهم لقتال عدوا أكبر.

وتأثرت هي بدورها حيث كان من نصيبها القتل والسبي، ناهيك عن تراكم المشاكل الاجتماعية والعاطفية جراء وفاة معيلها، وتيتم أولادها، فكانت سياسة الدول التي مرت على المغرب الأوسط لها التأثير الأكبر بين حالتي السلم والحرب.

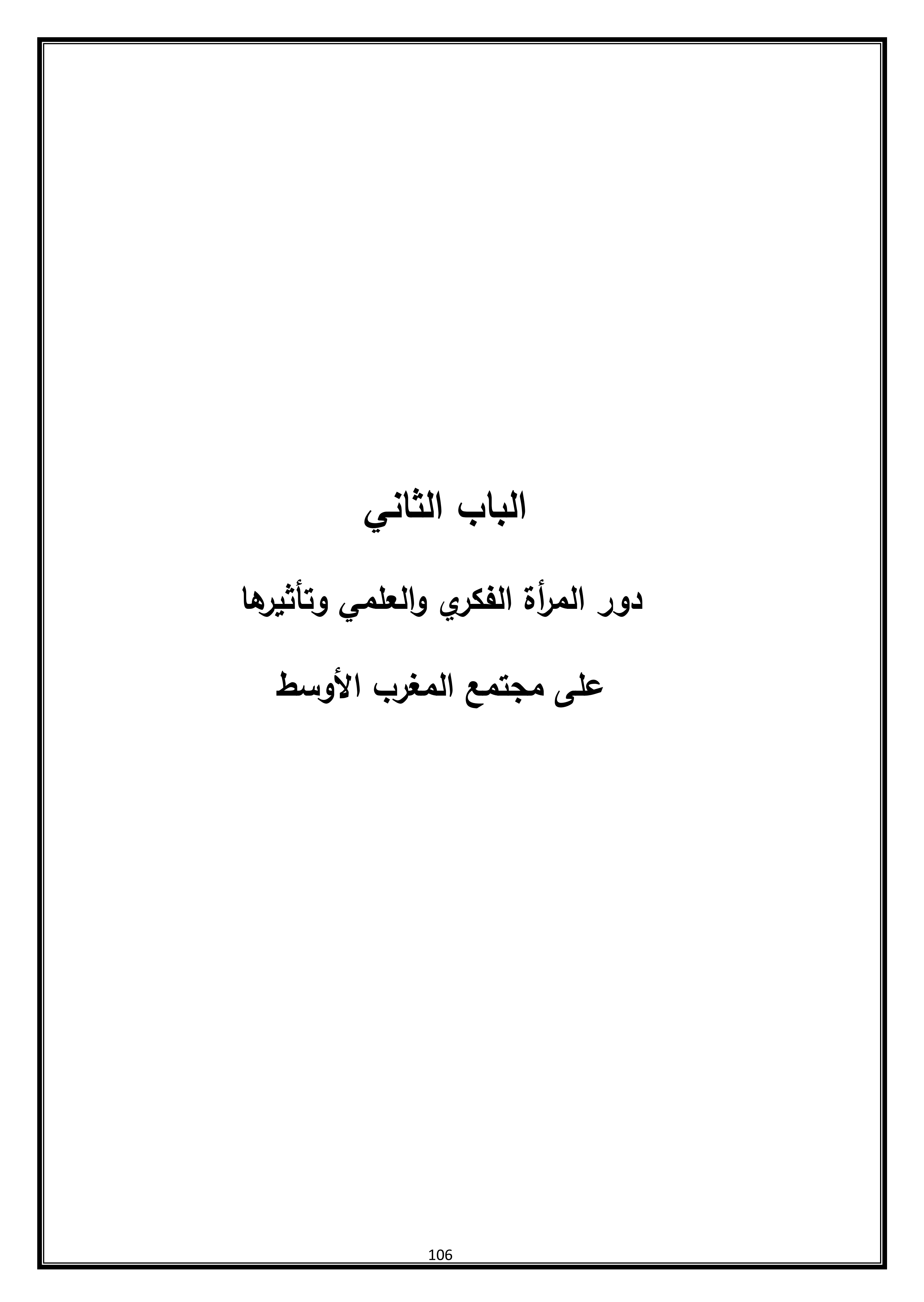
وولجت النساء الميدان الاقتصادي لمساعدة الرجل بصفة مباشرة، والدولة بصفة غير مباشرة، فكان تأثير اليد الناعمة على اقتصاد المغرب الأوسط، وذلك عندما تقلدت أعمالا

منتجة إلى جانب إنتاج وتربية فرد صالح ينهض بالدولة إلى الازدهار والرقي، فوجدت المرأة الفلاحة التي تشد من ظهر زوجها، وتساعده خارج البيت وداخله، خصوصا في بوادي المغرب الأوسط، فيكون الإنتاج الفلاحي أوفر وأكثر ربحا في زمن أقل.

وولجت عالم الصناعة بأنواعها، فكانت الصناعة النسيجية أكثر انتشارا في البوادي والمدن، فتتنوع من حياكة وخياطة وصباغة، وكانت الصناعة الغذائية أقل انتشارا من سابقاتها لكونها صناعة موسمية وسريعة التلف.

فالمرأة أثرت وتأثرت في المحيط الاقتصادي بمساعدة الرجل، وذلك من التحسين في الدخل المادي للأسرة ومنه التحسين من اقتصاد الدولة بإنتاج فرد قوي صالح.

ودخلت المرأة عالم التجارة، لتصريف ما أنتجته، فعملت كدلالة وسمسارة وبائعة، ولكن هذه الأعمال لم تحظ بها إلا الفئة العامة دون فئة الحكام والأغنياء.



# الباب الثاني

## دور المرأة الفكري والعلمي وتأثيرها

## على مجتمع المغرب الأوسط

**الفصل الأول: المرأة في الحياة العلمية والفكرية**

المبحث الأول: المرأة الدارسة والمدرسة

1-تكوين المرأة

2-مراحل تعليم المرأة بالمغرب الأوسط

3-أماكن دراسة المرأة

**المبحث الثاني: التطور الثقافي للمرأة في المغرب الأوسط**

1-دور المرأة المعلمة في إعداد مجتمع المغرب الأوسط

2-المرأة وعلوم اللغة والأدب

3-الرحلة ودورها في صقل تعليم المرأة

**الفصل الثاني: طب والمرأةبالمغرب الأوسط**

**المبحث الأول: تعليم الطب في بلاد المغرب الأوسط**

1-المساجد

2-المدارس

3-البيمارستانات ( المستشفيات)

**المبحث الثاني: المنهج المتبع في تعليم مهنة الطب**

**المبحث الثالث: جهود المرأة بين الطب والتطبيب**

1-الطب التقليدي

2-التأثيرات المتبادلة بين المرأة الطبيبة ومجتمع المغرب الوسط

3-أدوار أخرى لنساء الطبيبات

**الفصل الثالث: ممارسة المرأة للعلوم الروحانية وتفاعلها**

**المبحث الأول: المرأة والعلوم الروحانية بين الدين والممارسة**

1-العلوم الروحانية( الشعوذة- السحر) في مجتمع المغرب الأوسط

2-دور المرأة في المعالجة الاستشفائية بالسحر والشعوذة وأثرها على ذهنية مجتمع المغرب الأوسط

3-ممارسة المرأة للكهانة وأسباب انتشارها في المغرب الأوسط

**المبحث الثاني: جهود المرأة المتصوفة بين إصلاح المجتمع وأزمات المجتمع الروحية**

1-الدور الإصلاحي للمرأة

2-الدور العلاجي للمرأة

3-الدور الثقافي

**المبحث الثالث: دور المتصوفات في نشر الثقافة والعلوم**

## الفصل الأول: المرأة في الحياة العلمية والفكرية

### المبحث الأول: المرأة الدارسة والمدرسة

التعليم عملية تربوية متجدد ومتطور، اهتم به العلماء والباحثون اهتماما كبيرا، وظل الإنسان يتعلم ويأخذ العلم من محيطه جيلاً بعد جيل، وأوجب الله على المسلمين طلب العلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم " .

وساوى الله بين الرجل والمرأة في طلب العلم، ورغم تكتم المصادر عن أخبار المرأة ودورها في الحياة التعليمية والثقافية عموما، إلا أننا نجد إشارات إلى ظهور بعض الشاعرات والخطاطات والمتصوفات والأديبات بين دفتي المصادر.

#### 1- تكوين المرأة

من المعلوم أن الفترة الزمنية من القرن السادس الهجري إلى آخر القرن التاسع منه (6-9هـ) تضم مراحل مهمة في تاريخ المغرب الأوسط، وهي مرحلة الدولة المرابطية ومرحلة الدولة الموحدية وعهد الدولة الزيانية.

وفي الغالب يعتبر المغرب الأوسط ديار زناتة المعروفة ببداوتها، وهي لا تستقر في مكان وبالتالي نستنتج أنها أبعد من أن تهتم بالتعليم، وهذا الرأي قائم إلى غاية قيام الدولة الرستمية(160هـ/777م)[1]، حيث تربعت مدينة تيهرت على عرش النهضة الثقافية في المغرب الأوسط، وكانت مدينة تلمسان من المدن الرائدة في المجال الثقافي إلى غاية قيام الدولة الفاطمية [2].

وعرفت مدينة وارجلان نشاطا ثقافيا ملفتا للنظر خاصة وأنها مدينة صحراوية كما قال عنها ابن خلدون انها بوابة الولوج إلى المفاوز[3]، وقال عنها اليعقوبي أنها مدينة منسوبة إلى العلويين فمن المتوقع أن جل هؤلاء هم علماء وشيوخ علم زاولوا التعليم في احوازهم منها

---

[1] – **الدولة الرستمية**: ( 160– 296هـ/ 776– 909م) تنسب إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم في تاهرت. ينظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 32.

[2]– إسماعيل محمود: **الأدارسة 172ـ 375هـ، حقائق جديدة**، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص 149.

[3] – ابن خلدون: العبر، ج7، ص107.

مدينة متيجة وأحوازها كانت لرجال من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب يقال لهم بنو محمد بن جعفر[1] .

كان التعليم في الغالب الأعم تعليما دينيا، لأن الفاتحين تمكنوا من تعليم البربر الدين الإسلامي، وعند توغلنا في الزمن نجد بروز المذاهب والفرق مثل الإباضية خلال( ق2هـ/ 8م)، وهنا نجد التنوع في وسائل التعليم وأهدافه مثل حلقات الدعوة والدعاة السرية و العلنية بالرغم من أن ظاهر هذه الحلقات اكتساب الأنصار و الأتباع، ولكن في أصلها وسيلة لتعليم وتعلم الأطفال من الذكور والإناث و الكبار أيضا، ونجد هذا النوع من التعليم قد استمر حتى مع دخول المذهب المالكي والحنفي[2] إلى المنطقة في الربع الأخير من القرن(3هـ/9م)وبرزت الدعوة الشيعية ومجالسها المنعقدة في كل مكان[3].

وعموما فقد كانت تيهرت[4] من أبرز المراكز التعليمية التعلمية وذلك للتسامح الديني الذي حصل في تلك الفترة. فكان التعليم عندهم لا يقتصر على تعليم أمور المذهب الإباضي بل تعدى إلى تعليم تعاليم المذاهب الأخرى كالمالكية والحنفية[5].

---

[1] – أحمد بن واضح اليعقوبي (ت 284هـ/ 898م .) : **البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط1، (د، ب)، 1988**، ص 108-109.

[2] – عبد العزيز المجدوب: **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1971، ص 21.

[3] – أبو حنيفة محمد بن محمد النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1986، ص 112.

[4] –**مدينة تيهرت:** أسسها الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي سنة (161هـ/ 778م)، و كان ابن رستم من العلماء المتمكنين في علوم الدين و الأدب و الفلك، و تعتبر مدينة تاهرت أقدم مركز ثقافي ببلاد المغرب الأوسط. ينظر: محمد إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 95.

[5] – ابن الصغير: **أخبار الأيمة الرستميين**، تح وتع: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، ( د، ب)، (د، ت)، ص ص 13، 32، 57، 92. وينظر أيضا: الشماخي أبو العباس أحمد: **كتاب السير**، طبعة تونس، (د، ط)، تونس، 1995، ص 143 وما بعدها.

وهنا نلاحظ أن بعض الشيوخ قد فتحوا بيوتهم لتعليم ونشر علوم اللغة العربية و الحديث النبوي فكانت بيوتهم كما نطلق عليه حديثا المدارس والمعاهد[1] ليس لها صلة بمجالس الدعوة والدعاة.

وكان حظ المرأة الرستمية وافرا في هذا المجال، فقد تمتعت بحرية واسعة سواء كانت في المدن أو البوادي، وكثر اعتناؤها بالشعائر الدينية واهتمت بتعلم أمور دينها إلى درجت بروز عدد كبير منهن في الفقه والعلم فأنشأن جيلا صالحا متعلما، ولم يتوقفن إلى هذا الحد بل وصلن إلى درجة ذكاء وحكمة عاليتين إلى درجة إسداء النصائح للرجال فها هي ذي عجوز من جبل نفوسة مشهورة بالعلم والدين قد استشارها أبو عبد الحميد الجناوي[2] في قضية تحمله مقاليد الحكم التي أوكلها إليه الإمام عبد الوهاب[3].

وحرصت الدولة الموحدية بدورها على غرس عقيدة التوحيد ومبادئ المهدوية وتعلم وتثقيف المجتمع، وشجع خلفائها على مدى طول حكمهم التعليم بكافة الوسائل المتاحة مثل تشييد المؤسسات التعليمية بكل أنواعها.[4]

## 2- مراحل تعليم المرأة بالمغرب الأوسط

كان التّعليم الابتدائي هو السائد في تعليم المرأة لأن الهدف المتوخّى من التّعليم في هذه المرحلة هو تحفيظ القرآن الكريم و بعض مبادئ اللّغة و اكتساب الخط[5]، و قد تمّ مزاولة هذا التّعليم في الكتاتيب حيث أنّ المتعلمين يدخلون الكتّاب في سنّ معيّنة تتراوح ما بين الخامسة و السّابعة، و المؤدب يكون حريصًا على تحفيظ هؤلاء القرآن و التلاوة

---

[1] – ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 82-84.

[2] – أبو عبد الحميد الجناوي: هو أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي عامل جبل نفوسة، وذلك عهد الإمام عد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، في زمن الدولة الرستمية الإباضية. ينظر أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السياجي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، عمان، 1992، ج2، ص 229.

[3] – **الإمام عبد الوهاب:** هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من الفرس، ولد سنة (167هـ/ 784م)، أصبح إماما لدولة الرستمية بعد والده عبد الرحمن بن رستم في المغرب الأوسط، دام حكمه أربعون سنة. ينظر: ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 20، 37.

[4] – عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/ 1250م) : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، نشر من طرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د، ط)، العربية المتحدة، 1963، ص 167.

[5]– ابن خلدون: المصدر السابق، ص 602 – 603.

الحسنة، ثمّ يتفقد حفظهم في أيام معيّنة كيوم الأربعاء مساءً و الخميس[1] هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوُضوء و الصلاة، و التشديد عليهم من أجل اِستيعابها[2].

واِستحسن عبد الرحمن بن خلدون هذه الطريقة في التّعليم الابتدائي حيث رأى أنّ تعلم القرآن و حفظه هو أصل التّعليم، لأنّ به يبنى ما يحصل بعد ذلك من الملكات حسب تعبيره[3].

ونتيجة لهذا المنهج المتبع في تعليم أهل المغرب لأولادهم، جعلهم يكونون أقوى على حفظه وإدراك رسمه من سواهم عن بقية الأمصار[4].

وحذّر العُلماء و المعلمون من مُعاملة المتعلم بالعنف و أخذه بالشدّة[5]، وذلك خشية تنفيره من الكُتّاب أو الإعراض عن التعلم، فيُضيّع بذلك فرصة حفظ القرآن في هذه الفترة، الّتي يكون فيها المتعلم أكثر تقبّلاً وحفظًا و ترسيخًا للمعارف[6].

واقر علماء المغرب الأوسط بحق تعليم المرأة أمور دينها من عبادات ومعاملات[7]، وسئل القابسي عن تعلم الفتيات، فقال" إن تعليم الأنثى القرآن والعلم شيء حسن ومن مصالحها، وأما تعليمها الترسل والشعر وما أشبه ذلك فهو مخوف عليها[8]، وهذا إن دل علي شيء، فهو يدل على وجود عدد من الفتيات اللاتي كن يتعلمن القرآن الكريم، إلى جانب تعلمهن الشعر والترسل، وهذه المسألة كانت محور نقاش، جوهره مشروعية تعلم المرأة من عدمه وأهم الضوابط، وفي هذه المسألة يذكر محمد بن سحنون أن التعليم الابتدائي لم يكن مقتصرا على

---

1– ابن خلدون: المصدر السابق، ص 602.

2 – محمد بن سحنون: **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، تع: محمد العروسي المطوي، (د، ن)، ط2، تونس، 1972، ص 45. ينظر أيضا: أبو الحسن القابسي(ت 402هـ/ 1012م): **الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تح: أجمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986، ص ص 30، 40.

3– ابن خلدون: المصدر السابق، ص 603.

4 – نفسه، ص 603.

5– محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ص 89 – 94. ينظر أيضا: القابسي: المصدر السابق، ص 33.

6 – القابسي: المصدر السابق، ص 33. ينظر أيضا: ابن خلدون: المقدمة، ص ص 605.

7 – محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ص38.

8 – القابسي: المصدر السابق، 30.

الذكور فقط بل شمل كلا الجنسين، وخصوصا من ذي المناصب العليا وميسوري الحال دون الفقراء[1].

وأطرق لنا في هذا الصدد تجربة القاضي عيسى بن مسكين[2] في تعليم بنتيه وبنات أخيه القرآن الكريم والعلم، حيث كان يتفرغ لهن بعد عصر كل يوم وذلك بعد تعليم الصبيان من الصباح إلى العصر، وزاد على ذلك أن سحنون نفسه كان يعلم ابنته " خديجة" بنفس الطريقة، فنبغت الفتيات في العلم أمثال أسماء بنت أسد بن الفرات حاكم صقلية التي اعتنى أبوها بتعليمها، وفاضل مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد، فكان خطها من أحسن الخطوط[3] وقد نبغت في بجاية خلال العهد الحفصي الأديبة الشاعرة عائشة بنت الشاعر أبي الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسيني[4].[5]

وكان التعليم الابتدائي في عمومه لم يتغير كثيرا من حيث مناهج التعليم وطرقه منذ عهد ابن سحنون ( 544هـ/848م)، فوضع فقهاء المالكية المناهج التربوية وسطروا لها القوانين، فانتشرت المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد وربط وزوايا[6].

[1]- ابن سحنون: كتاب آداب المعلمين، ص38.

[2]- **القاضي عيسى بن مسكين:** هو عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الإفريقي، أصله من العجم ولد سنة( 114هـ/ 733م)، وهو من أهل الفقه والورع وكان مهابا ووقورا، تقلد منصب القضاء اقتداء بالقاضي سحنون، توفي سنة( 295هـ/ 908م). ينظر: القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحبي (ت 544هـ/ 1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، ط2، المحمدية، المغرب، 1983، ج4، ص ص 331، 349.

[3] – محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص ص 38-39.

[4] – **عمارة بن يحي:** هو الفقيه عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني توفي بعد سنة 585هـ الموافق ل 1189م، المكنى ب أبو الطاهر، عاش ببجاية وكان متقدما في علم العربية والأدب، وله تأليف في علم الفرائض منظوم، و يقول الشعر أيضا. ينظر: أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني(644-714هـ/ 1247-1315م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979، ص 45 وما بعدها.

[5]-نفسه، ص ص47-48.

[6]- علي عشي: " المؤسسات الدينية بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي ( 6-7هـ/ 12-13م) بين التعليم والتربية"، **مجلة الحوار المتوسطي**، مج9، ع 3، ص 221.

**3-أماكن دراسة المرأة**

بالرغم من تشدد ابن تومرت حول سفور المرأة واختلاطها إلا أنها قد نالت قسطا وافرا من التعليم، فقد كانت تحضر مجالس ابن تومرت وتسمع إلى نصائحه ووعظه، فبدأت النساء المتعلمات يظهرن قبل القرن السادس للهجرة، لأن المغاربة عموما وأهل المغرب الأوسط خصوصا في المدن كانوا أو في البوادي، قد اعتادوا على إرسال أولادهم منذ نعومة أظفارهم إلى الكتاب للتعلم[1] بالرغم من أن المصادر لم تذكر بشكل صريح أماكن تدريس البنات ولكن سوف نستنتجها من خلال النصوص المصدرية .

وتشير بعض المصادر  في المغرب الأوسط أن بعض الآباء قد علموا بناتهم القراءة والكتابة وبعض القرآن الكريم وقواعد الدين كالتوحيد ومبادئ اللغة، أمثال العالم الصوفي عبد الوهاب بن حميد كان شيخا لأمه[2]، وكان ابن قنفذ[3] يعلم بناته القرآن الكريم حتى ختمنه وكررنه ثلاث مرات على يد الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار[4](749هـ/ 1348م)[5] في بيتهن، والدليل على ذلك قول إحداهن" ما رأيته رفع بصره يوما قط، وما سمعنا منه كلمة في غير التعليم، وإذا قربنا له طعام ما يفطر عليه، تارة يقبله وتارة يرده بيده"[6].

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص 538.

[2]- محمد المختار السوسي: المعسول، (د، ن)، ( د، ط)، ج4، (د ب)، 1964، ص 69.

[3] – **ابن قنفذ:** هوأحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ، وكنيته أبو العباس عالم الفلك والرياضي والطبيب والمؤرخ والفقيه، عاش في القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري / الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادي(740-810هـ/1339-1407م) وهو من أهل قسنطينة وولي قضائها. ينظر: أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب" ابن قنفذ القسنطيني" (740-810هـ/1339-1470م): **الوفيات**، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1983، ص ص ص6، 7، 8.

[4] – **الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار:** هو الشيخ الفقيه الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار المدفون في المسجد الذي يؤم فيه داخل باب القنطرة في مدينة قسنطينة سنة ( 749هـ/ 1348م). ينظر: ابن قنفذ: **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتع: أدولف فور ومحمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، (د، ط)، الرباط، 1965، 45.

[5]- ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص 45.

[6] – نفسه، ص 45-46.

ففي عموم الحال النساء لم يكن يخرجن للمساجد لتلقي الدروس والأخذ عن المعلم بل كان دورهن مدارس يتلقين فيها العلوم بجميع أنواعها[1]، وفي هذه الحالة هي شبيهة بالمرأة الأندلسية خلال القرن (5هـ/11م) بحيث جعلت من منزلها مدرسة للتعليم والتعلم، ومثل هذا الحال نساء المغرب الأدنى اللواتي تعلمن عن طريق المدارس المنزلية، وكانت المعلمات المشرفات على تعليمهن هن أنفسهن صاحبات البيوت، فكن يلقّن البنات مبادئ الدين من قراءة وكتابة وتدريبهن على الشؤون المنزلية وعلى التطريز والتفصيل والخياطة والغزل والنسيج وغيرها[2].

فتعلم المرأة في بيتها من طرف أقرب الأقربين إليها أدى بها إلى النبوغ فيما نبغ فيه رب بيتها، ومنه ظهور البيوتات العلمية من رجالها ونسائها مثل الطب أو القضاء أو الفقه أمثال عائشة البجائية من أديبات مدينة بجاية، بنت الفقيه أبي الطاهر عمارة الشريف بن يحي بن عمارة الحسني الشريف، الشهيرة بالشريفة أو البجائية، كانت أديبة فصيحة لبيبة[3]، ولها خط حسن كتبت كتاب " يتيمة الدهر" للثعالبي وهو في ثمانية عشر جزء[4].

ويذكر لنا التاريخ أيضا زينب بنت الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلالي، أحد الصلحاء فورثت عنه الجاه والعلم[5].

وحفصة بنت أبي مرزوق لقبت " بالسيدة" وهي جدة العلامة ابن مرزوق الحفيد[6]، وعائشة بنت الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الشريف الملياني المديوني التلمساني، تعلمت القرآن على يد أبيها، وتزوجت العالم والمؤرخ ابن مريم، من بيت علم وورع وصلاح[7].

---

[1]– عبد الله علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، (د، ط)، مصر، 1971، ص 244.

[2] – أحمد بن عامر: **الدولة الحفصية**، دار الكتب الشرقية، (د، ط)، تونس، 1974، ص 89.

[3]– حسن حسني عبد الوهاب: شهيرات التونسيات، ص 119.

[4]– نفسه، ص 117.

[5] – **أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدلالي:** هو أحد الصلحاء، قرأ القرآن على جماعة من مشيخة عصره، اشتغل بكتب التصوف وبقراءة القرآن والحديث. ينظر: ابن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، ص 149.

[6]– ابن مريم: البستان، ص 269.

[7]– نفسه، ص 145.

وكانت الرغبة في الحصول على الإجازة في إطار الرحلة العلمية، من الأسباب التي قربت تبادل المعارف والعلوم بين كل من أهل المغرب الأوسط والأندلس لأن العديد من الأندلسيين تكونوا على علماء من المغرب الأوسط أمثال الفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد بن يحي الذي مكث لمدة عشرين عاما في قلعة بني حماد، وانتقل إلى بجاية ليمكث فيها حوالي عشرين عاما ويأخذ العلم من فقهائها[1].

وحصل كتاب رياض المتعلمين لأبي نعيم وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد[2]، وعمل بالتدريس، وذكر ذلك أحد طلبته من الأندلس قد درس على يديه في بجاية[3]، ووفد الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي إلى تلمسان حيث درس القرآن الكريم دون أجرة[4] وآخرون من علماء الأندلس ممن درسوا بحواضر المغرب الأوسط وحصلوا على إجازات منهم[5] وتخول لهم نقل تلك العلوم والمعارف التي حصلوها إلى غيرهم من أبناء ونساء بلدهم .

وإلى جانب رحلة العلماء التي كانت تكلل في الغالب بالرجوع بعد تحصيل العلم أو نشره نجد الهجرة التي من أسبابها المد النصراني وانقسام المسلمين والتدخل المرابطي ثم الموحدي والصراع المرابطي الموحدي، كل هذا أدى بالأندلسيين للهجرة نحو الحواضر المغربية وخصوصا حواضر المغرب الأوسط.

وهكذا أسهمت الهجرة بدورها في تنشيط الحركة العلمية بين العدوتين وخاصة لما رافقها العديد من العلماء الذين اختاروا الاستقرار وبذلك ينتج التلاحم الاجتماعي، المتمثل في المصاهرة من الطرفين الأندلسي المغربي وبذلك يتم تمازج المعارف والعلوم، وبروز مثقفات

---

[1] – ابن مريم: البستان، ص 269.

[2] – **أبوعبيد:** هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحي المتوفى سنة 540هـ الموافق لـ1145م، جاء من المرية في الأندلس ونتقل إلى المغرب الأوسط من أجل النهل من علم علمائها وفقهائها. ينظر ابن الآبار: التكملة، ج2، ص 826.

[3] – نفسه، ص 826.

[4] – التادلي: التشوف، ص 294.

[5] – للإطلاع أكثر على هذا الموضوع ينظر: ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص ص 581-582. ينظر أيضا: ابن الآبار: التكملة ج1- ص ص78، 85، 341، 440، ج2، ص ص 492، 826، . الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 73-74. وغيرها من المصادر

وعالمات مغربيات كعائشة بنت لكحل[1] التي كانت تفتي للنساء في أمر دينهم ودنياهم، كذلك أم الفتح التي توفيت ببيت المقدس وبنت أبي عبد الله الكتاني التي عرفت بورعها واقتصادها في الأكل[2]، ولالة ستي أو السيدة ستي التي يوجد ضريحها بمدينة تلمسان، كانت صالحة ومتصوفة[3].

ونجد مؤمنة التلمسانية المعروفة بصلاحها وتصوفها، التي انتقلت إلى فاس، وجالست كبار الفقهاء وكانت لها القدرة في مناظرتهم في المسائل الفقهية والأخلاق، وكانت لها صلة الزمالة بينها وبين قاضي الجماعة أبي عبد الله المقري بفاس، وابن قنفذ، وأبي القاسم الشريف التلمساني الصالح أبي الحسن علي بن عبد الوهاب الذي كان يكتب لها لوحها[4].

**المبحث الثاني: دور المرأة المعلمة في إعداد مجتمع المغرب الأوسط**

عند الحديث عن المرأة المؤدبة أو المعلمة، فإننا بالضرورة نتحدث عمن زاولن هذه المهنة في المغرب الأوسط، فنجدها في المرأة الفقيهة والمحدثة والحافظة لكتاب الله تعالى.

وفي هذا الموضوع بالذات، اهتم الإسلام بالمرأة اهتمامه بالرجل، فقد روت عائشة (رضي الله عنها) أن رسول لله صلى لله عليه وسلم قال:" إنما النساء شقائق الرجال"[5]، فأعلا من شأنها، وحثها على التمسك بالأحكام الإسلامية، وأجاز الطبري عمل المرأة كفقيهة ومفتية وحتى توليها القضاء[6].

وكان لانتشار المذهب في المغرب الأوسط تأثيراته الإيجابية على المرأة، فها نحن نرى المرأة في عصر الإمارة الرستمية تقبل على العلم والمعرفة، وخصوصا ما يتعلق بأمور دينها

---

[1] – **عائشة بنت الأكحل:** بنت الفقيه الأكحل أبو عبد الله الكتاني، من خيار الصالحات المثقفات، تحلت بالزهد والورع، وهي ملازمة للعبادة. ينظر: ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 149، 150.

[2]– يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص 40.

[3]– يحي المراكشي: **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، دار الطباعة الحديثة، ط2، ( د ت)، ص 50.

[4]– ابن قنفذ: أنس الفقير، ص81.

[5] – الألباني: **صحيح الجامع الصغيرو زيادته (الفتح الكبير)**، المكتب الإسلامي، (د، ط)، مج1، 1969، ج1، حدث رقم 2333، ص461.

[6] – شوكت محمد عليان: **السلطة القضائية في الإسلام**، دار الرشيد، (د، ط)، الرياض، 1982.، ص119.

ومذهبها، فكانت تشارك في الحلقات داخل المساجد والكتاتيب[1]، وأبسط دليل على أن للمرأة مكانة مرموقة داخل المجتمع هو كون الأسر أمسية[2]، فكان للمرأة في المغرب الأوسط تأثير على أبنائها ولها تأثير واضح على أسرتها، هذا ما يتعلق بنساء العامة، فما بالك بالنساء العالمات، أو ذوات قدر معين من العلم .

حيث نجد عبد الرحمان بن رستم قد تشبع بالعلم على يد أمه، فحفظ القرآن الكريم وعلمته اللغة العربية ومبادئ الإسلام بمساعدة زوجها[3]. ولم تكتف بهذا القدر من العلم، بل دفعت به نحو بحر العلم الواسع، فارتحل إلى خارج الديار نحو مدينة البصرة.[4]

والنساء الرستميات حافظات للقرآن الكريم وروايات للحديث النبوي الشريف، وعكفن على دراسة مبادئ المذهب الإباضي وحتى الفقه، فنجد أمثال الفقيهة أخت عمروس بن فتح النفوسي التي اشتهرت بالعلم والتدين، وأملت على أخيها كتاب المدونة، ولها تأثير على النساء، وهذا ظاهر من خلال محنة الأسرى حيث قبلن إفتاءها بأن زوجن أنفسهن لمن أراد بها سوء[5].

ولم تكن مهنة التدريس والدعوة للمذهب الذي انتمت إليه في المغرب الأوسط بجديد عن نسائها بل كان كالإرث بينهن، فلا نجد اختلافا بين نساء الإمارة الرستمية عن غيرهن من نساء المغرب الأوسط في الأزمنة التي تليها، وهذا ما أثبته تاريخ المنطقة، حيث كن معلمات ومؤدبات، واهتممن بأمور طلبة العلم والاعتناء بهم.وكان قبلهن نساء في عهد

---

[1] – بوبة مجاني: "دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من ق 3– 6ه"، **مجلة الحياة**، ع: 2، جمعية التراث، قرارة، غرداية، 1419ه/ 1998م، ص ص 123، 155.

[2] – أبو بكر يحي بن أبي بكر: **سيرة الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، مطبعة أحمد زبانة، ط1، الجزائر، 1979، ص 12.

[3] – الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 90.

[4] – نفسه، ج1، ص 94

[5] – صالح بن عمر سماوي: **نظام العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب**، المطبعة العربية، ، (د، ط)، غرداية، الجزائر، 2005، ص 307.

الإمام أبي القاسم يزيد بن مخلد معلمات، وعلى رأسهن زوجته " الغاية" التي كانت تساعده في أمور التربية والتعليم، وأمور النفقة على الطلبة المقيمين عندهم مع تأمين الإيواء لهم[1].

وهانحن نرى أخت الإمام أفلح التي برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم، تشارك مناقشة ومجادلة للعلماء داخل مجالس العلم[2]، ونجد العالمة بهلولة التي أفنت عمرها في طلب العلم والتنقيب عن أهله، حتى أنها فتحت بيتها أمام كل راغب في طلب العلم فأصبح منزلها مزارا للعلماء[3].

ولم يقتصر التعليم وطلب العلم والأدب على المرأة الحرة فقط، بل تعداه إلى الإماء والجواري[4]، وكان للنساء في العهد الحمادي مساهمة في الحياة الفكرية بالرغم من أن الكتب المصدرية شحيحة المعلومات في هذا الموضوع بالذات. إذ نجد صاحب كتاب عنوان الدراية يذكر لنا إحدى شاعرات هذا العصر، وهي الشريفة عائشة[5]، التي كانت تقرظ الشعر ولها خط جيد[6].

ولا ننسى التأثيرات العربية على نساء المغرب الأوسط فيما يخص فصاحة اللسان ورجاحة العقل، وذلك بدخول القبائل الهلالية إلى المنطقة، فكان الصرح الحضاري واضحا داخل المجتمع المغربي، وخصوصا في اللغة العربية، فكان لنساء قبيلة بني هلال التأثير الأكبر على نساء ورجال المغرب الأوسط .وكن يتمتعن بالحرية والشجاعة الأدبية، وقوة

---

[1] – الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص ص 121، 120.

[2] – عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب الكبير دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية**، دار النهضة العربية، (د، ط)، بيروت، 1991، ج1، ص 275.

[3] – الشماخي: المصدر السابق، ص 217.

[4] – للاطلاع أكثر على الموضوع ينظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 301 وما بعدها.

[5]– **الشريفة عائشة**: وهي الأديبة الشاعرة عائشة بنت الفقيه والقاضي سيدي أبو الطاهر عمارة الشريف بن يحي بن عمارة الشريف الحسيني. ينظر: الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، تق: محمد رؤوف القاسمي الحسني، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (د، ط)، الجزائر، 1991، ج2، ص ص 114، 116.

[6] – الغبريني: عنوان الدراية، ص 47 وما بعدها.

شخصيتهن[1] أمثال "جازية الهلالية[2]"، وصرن مثلا تحتذي به نساء المغرب الإسلامي في الشجاعة والفطنة والفصاحة، ناهيك عما خلفته الدولة الموحدية من المذاهب كالمذهب الأشعري ومذهب السنة.

فزاد اهتمام الناس بالحديث وعلم الأصول في هذه الفترة، وارتفعت مكانة الفقهاء داخل الدولة، وبرزت بعض النساء في علوم الفقه، وكانت لهن دراية في المسائل الفقهية، لاسيما اللواتي ينتمين إلى الأسر العلمية، التي حرصت على تلقين بناتها علوم الدين، من حفظ للقرآن والأحاديث.

وسارت نساء المغرب الأوسط على نفس خطى أخواتهن اللواتي عشن في فترة الإمارة الرستمية، مثل الصالحة مؤمنة التلمسانية التي كانت تحفظ كتاب الله تعالى كاملا، وعكفت على قراءته، وانتقلت بين فاس وتلمسان طلبا للعلم من خلال مجالسة الفقهاء وعلماء عصرها، من أمثال أبي القاسم الشريف التلمساني و قاضي الجماعة بمدينة فاس أحمد الخطيب التلمساني[3]، منجد الشقيقتين أم هاني وأختها فاطمة العبدوسية اللتين اشتهرتا بالعلم، وكانتا تحضران دروس وحلقات أخيهما عبد الله بن محمد العبدوسي[4]، فكانتا فقيهتين صالحتين[5]، وهما مثال تحتذي به نساء المغرب الأوسط .

ونستخلص مما سبق، أن النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تميز ببروز العديد ممن مارسن مهنة التعليم وأثرن في مجتمعهن بطريقة مباشرة كالتأديب، وغير مباشرة كالإرشاد والنصح، وهذا لا يتأتى إلا بالحوار الناجح.فقد مثلته فئة

---

[1] – عبد الحميد يونس: **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، مطبعة جامعة القاهرة، (د، ط)، القاهرة، 1956، ص ص 165، 166.

[2] – **جازية الهلالية:** وهي زوجة صاحب الحجاز، يسمى شكر بن أبي الفتوح، لها منه أولادا، لها شخصية قوية، وتمتلك ذكاء حاد وتأثيرها على من حولها كبير. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص ص 56، 57.

[3] – الشهير بأبن قنفذ القسنطيني، انتقل إلى مدينة فاس وتقلد منصب قاضي الجماعة فيها

[4] – **عبد الله بن محمد العبدوسي:** هو عبد الله بن محمد العبدوسي من بيت علم، بمكناس في المغرب الأقصى، وهو سلسل البيوتات العلمية توفي سنة 849هـ الموافق ل 1445م. ينظر: ابن غازي: **الروض المتون في أخبار مكناس الزيتون**، مطبعة الأمنية، (د، ط)، الرباط، 1951، ص 41.

[5] – أحمد بابا التنبكتي( 963– 1036): **نيل الابتهاج بتطريز الدباج**، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ط2، طرابلس، 2000، ص 232.

النساء المتصوفات اللواتي كن أكثر تأثير من غيرهن، واستطاعت المرأة المعلمة الأخذ بيد المجتمع وجره نحو إصلاح الحياة الدينية والاجتماعية.

ومن هنا كان للمرأة المعلمة والفقيهة والأديبة دور بارز في صناعة الإنسان والبناء الفكري والتربوي لنساء المغرب الأوسط، ومن هنا يظهر الفرد العالم والواعي المتفطن لما يجري حوله من تغير حضاري، ويتماشى معه ليثبت قدراته داخل مجتمعه من خلال كثرة وتنوع مراكز التعليم واعتناء المرابطين والموحدين بتعليم المرأة إلى درجة إلزامية التعليم للجنسين، وهذا ما يؤدي إلى خروج المرأة واتصالها المباشر بالعلماء من مختلف أصقاع الأرض، المارين أو الماكثين في حواضر المغرب الأوسط، وافتكاك بعض النساء للإجازات من علماء أجلاء في المغرب الأوسط والأندلس، مما خولها ممارسة وظائف عدة من بينها التأديب وغيرها، وهذا يؤدي بها إلى التأثير على من تؤدب من أفكار وعلوم .

**1-المرأة وعلوم اللغة والأدب**

ونجد في مدينة بجاية عهد الإمارة الحمادية الأديبة الشريفة عائشة البجائية المعروفة بأدبها وفصاحتها وذكائها، كان لها خط حسن وذلك من خلال معاينة المخطوط الذي كتبته لثعالبي بخط يدها وهو من ثمانية عشر جزءا[1]، وكانت تختم كل نسخ بقطعة من الشعر من نظم والدها[2].

وكانت بعض النساء الرستميات شاعرات، كأم يحي التي كانت لها قدرة الحفظ من أول مرة تسمع بيت الشعر فيه، حيث يقال أنها حفظت ثمانون بيتا من أول سماع [3]، ناهيك عما تسمعه من أحاديث عن الرسول الكريم، قضايا فقهية وغيرها من العلوم الدينية والأدبية، ولهذا كان تأثيرها داخل المجتمع له بصمته الخاصة فتأثر في الأفكار فتروضها لصالح الدين أو المذهب الذي تتبعه، فكان العلماء يستشيرهن في بعض القضايا الدينية والفقهية

---

[1] – الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، ص117. ينظر أيضا: الغبريني: المصدر السابق، ص ص 48-47.

[2] – نفسه، ص 48.

[3] الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص 209.

التي استعصت عليهم، حيث استشار أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي عجوز عالمة تسكن جبل نفوسة، التي أستشارها ونجد ايضا مرأة معافرية من ذرية أبي الخطاب المعافري عند وفاته رثته بأبيات حيث قالت لما مات أبو الخطاب مات الحق...[1]

ويذكر أن للقاضي أبي جعفر الطنجاني بنت تدعى أم الحسن نشأت تحت رعايته محبة للأدب فنظمت الشعر ودرست الطب[2].

وكانت زوجات العلماء لهن نصيب مما فقه فيه أبائهن وأزواجهن، فأخذت زوجة أبي عبد الله بن عتاب[3] عن أبيها علم التفسير واللغة العربية والشعر، وأخذت عن زوجها الفقه والرقائق، ورحلة في طلب العلم إلى بلنسية ثم إلى أداء الحج مرورا بالمغرب الأوسط، لتتوفى بمصر بعد حجها سنة ( 446هـ/ 1054م).[4]

والفقيهة حفصة بنت مرزوق الحفيد[5]ترعرعت في بيت علم وعلماء فتأثرت بهم فتفقهة في الدين وكان لها تأثير كبير على من كان يحيط بها من النساء، إضافة إلى زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي[6] أحد الصلحاء فورثت عنه الجاه والعلم[7] فكانت منارة تنير العقول المظلمة بالجهل.

---

[1] – الدرجيني: كتاب السير، ج 1، ص 115.

[2] – ابن الخطيب التلمساني: **الإحاطة**، ج1، ص 430. ينظر أيضا: ابن مريم: المصدر السابق، ص 269.

[3] – **عبد الله بن عتاب:** هو المحدث أبو العباس عبد الله بن عتاب بن أحمد بن كثير، أصله من البصرة بدمشق، ولد سنة ( 224هـ/ 839م)، وتوفي في شهر رجب من سنة( 320هـ/ 932م). ينظر: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي( ت 748هـ/ 1374م): **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983، ج 15، ص 64.

[4] – ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 430.

[5] – **ابن مرزوق الحفيد:** هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج التلمساني ولد سنة (629هـ/1232م )، ومرزوق جده فقيه زاهد عابد مجاب الدعاء، أخذ عن أبي زكرياء العبدري، وأبي إسحاق التنسي الفقه، توفي أوائل رجب (681هـ/ 1282م ) ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص114.

[6] – **الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدلالي:** قرأ القرآن على جماعة من مشيخة عصره، اشتغل بقراءة القرآن والحديث، و كتب التصوف، وانقطع للعبادة. ينظر: ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص149.

[7] – نفسه، ص149.

وزينب أخت أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق والتي كفلته أخته لما توفيت جدته، وخرجت معه أثناء الحصار الطويل لتلمسان، [1] أما النساء اللواتي كن يجالسن العلماء والفقهاء، ويناظرونهم في الدروس، مثل مؤمنة التلمسانية، التي ذكرها ابن الخطيب في قوله "ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية تخصني بالدعاء في ظهر الغيب، وكان قاضي الجماعة بفاس، أبو عبد الله المقري يزورها ويسعى في قضاء حوائجها، لا تخالط أحدا، كان الشيخ الصالح علي ابن عبد الوهاب يكتب لها لوحها ويبادر به"[2].

وكانت النساء في مجتمع المغرب الأوسط ممن لم تكن من أسر العلماء بل هن من بسطاء المجتمع كان لهن دور في تحفيز ابنائهن وبناتهن على طلب العلم، والسعي نحوه مثل أم ابن الزكري[3] التي كفلت ولدها بعد وفاة أبوه وأدخلته لحفظ كتاب الله، ولتعلم الحياكة، وبقي حتى تعلم النسيج.[4] بالرغم من عمل المرأة داخل البيت وتربية الأولاد، ولم تتح لها الفرصة لتعلم، فإنها كانت تربي أولادها وتشجعهم على طلب العلم كما أسلفنا الذكر.

ونجد تأثير المؤسسات التعليمية على هذه الفئة من العاملات، وذلك من خلال تقوية القابلية الذهنية للنساء، وتوسيع مداركهن الفكرية وبالمقابل ينتج عنه نضوجا في الوعي والمدارك، وبصيرة في العقل لاستيعاب التغيرات الحضارية الحاصلة في المنطقة بشكل أوضح، زمن الدراسة بين ما حل بالدولة المرابطية وحلول دولة الموحدين بمبادئها التومرتية، ومذهبها الأشعري، ومحاربته لرأس الفتن وهي المرأة، على حد تعبير ابن تومرت.

ومن نتائج التكامل الحضاري دخلت المرأة في غمار الحركة الفكرية الثقافية من خلال رحلات العلماء إلى بلاد الأندلس وهجرت الأندلسيين إلى المغرب الأوسط الذي هيأ

---

[1]– ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص194.

[2]– ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وأعز، ص80.

[3]– **ابن الزكري**: هو أحمد بن محمد بن زكري، كان فقيها، زاهدا، متورعا محبا للعلم، له تأليف في مسائل القضاء والفتوى وشرح عقيدة ابن الحاجب، له مؤلفات في علم الكلام في أكثر من ألف وخمسمائة بيت توفي حوالي 900هـ/1495م .. ينظر: ابن مريم: المصدر السابق، ص41–40.

[4]– نفسه، ص38.

مناخ مناسب لتبادل الثقافي من خلال المصاهرة التي أدت إلى امتزاج الدماء بالثقافة المكتسبة للمرأة المغربية.

تعلم المرأة المغربية في دارها من طرف أقرب الأقربين إليها أدى بها إلى النبوغ فيما نبغ فيه رب بيتها.و ظهور البيوتات العلمية من رجاله ونسائها مثل الطب أو القضاء أو الفقه.

**2-الرحلة ودورها في صقل تعليم المرأة**

ترتب على توحيد العدوتين زمن الموحدين وقبلهم المرابطين عدة نتائج للتأثير والتأثر الثقافي خصوصا في حواضر المغرب الأوسط، ومن هنا تعد الرحلة إحدى الوسائل لنقل العلوم والمعارف بين الأصقاع والأمصار، لذا كانت الرحلات في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الإسلامي، حيث لم تقف أمام طلبة العلم حدود سياسية ولا عوائق أمنية تمنعهم من الترحال والاستزادة منه، ولقاء الشيوخ والمعلمين المشهورين في مختلف أنحاء بلاد العالم الإسلامي، من الأندلس إلى مكة المكرمة[1].

فالرحلة في طلب العلم من الأمور التي على طالب العلم الاعتناء بها من أجل إتمام معارفه وتقويتها والتحكم أكثر في العلوم، وقد أرجع عبد الرحمان ابن خلدون ذلك إلى أن البشر يأخذون معارفهم إما علما وتعليما وإلقاء وإما محاكاة وتلقينا، وأن الإكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب من أجل تمييز العلوم وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلوم من منابعه[2].

ولأن المرأة عنصر فعال في المجتمع لكونها المهد الأول لتكوين رجالات الدولة فإن التأثير الحضاري للأندلس وبلاد المشرق الإسلامي على المرأة المتقفة كان له الأثر الأكبر وخصوصا في العلوم الدينية، وذلك من خلال رحلات العلماء وطلاب العلم، إلى الأندلس ورجوعهم محملين بشتى العلوم و نشرها في الأوساط المثقفة لحواضر بلاد المغرب الأوسط،

---

[1] - ابن خلدون: المقدمة، ص 743.
[2] - نفسه، ص 743.

ومنه لتصل للمرأة المغربية في مراكز التعليم، وفي البيوت عن طريق أزواجهن و أبنائهن، نذكر من هن أم ابن الزكري[1]، والصالحة مؤمنة التلمسانية[2].

وتعتبر دورهن مدارس يتلقين فيها العلوم بجميع أنواعها[3]، وفي هذه الحالة هي شبيهة بالمرأة الأندلسية خلال القرن (5هـ/11م) بحيث جعلت من منزلها ناديا علميا فكانت الفقيهة أم هاني وأختها فاطمة العبدوسية ترتحلان لطلب العلم ونشره[4].

وكانت الرغبة في الحصول على الإجازة من الأسباب التي قربت تبادل المعارف والعلوم بين كل من أهل المغرب الأوسط والأندلس وأسهمت العلاقات العلمية كذلك لأن العديد من الأندلسيين تكونوا على يد علماء من المغرب الأوسط وحصلوا على إجازات منهم وتخول لهم نقل تلك العلوم والمعارف التي حصلوها إلى غيرهم من أبناء ونساء بلدهم، أمثال

وإلى جانب رحلة العلماء التي كانت تكلل في الغالب بالرجوع بعد تحصيل العلم أو نشره نجد الهجرة التي من أسبابها المد النصراني وانقسام المسلمين والتدخل المرابطي فالموحدي والصراع بينهما، أدى بالاندلسيين للهجرة نحوى الحواضر المغربية وخصوصا حواضر المغرب الأوسط، وهكذا أسهمت بدورها في تنشيط الحركة العلمية بين العدوتين وخاصة رافقها العديد من العلماء الذين اختاروا الإستقرار وبذلك التلاحم الإجتماعي المتمثل في المصاهرة من الطرفين الأندلسي المغربي وبذلك يتم تمازج المعارف والعلوم.

**صفوة القول:**

نجد كثرة وتنوع مراكز التعليم واعتناء الموحدين وبني زيان بتعليم المرأة إلى درجة إلزامية التعليم للجنسين، وهذا ما يؤدي إلى خروج المرأة واتصالها المباشر بالعلماء من مختلف أصقاع الأرض المارين أو الماكثين في حواضر المغرب الأوسط، لدرجت افتكاك بعض النساء للإجازات من علماء أجلاء في المغرب الأوسط والأندلس مما خولها ممارسة

---

[1] – ابن مريم: المصدر السابق، ص41–40.

[2] – ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 80.

[3]– عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب، ص 244.

[4] – نفسه، ص 244.

وظائف عدة من بينها التأديب وغيرها، وهذا يؤدي بها التأثير على من تؤدب من أفكار وعلوم.

خوض نساء المغرب الأوسط في شتى أنواع العلوم المزدهرة في الأندلس وغيرها مثلا علم الكلام والكيمياء اللذان كانا منتشرين في الأندلس، ومن هنا زاد التواصل الحضاري الثقافي بين العدوتين، وزاد التأثير الأندلسي والمشرقي على المرأة في المغرب الأوسط، وبدورها أثرت على مجتمعها الذي تعيش فيه.

## الفصل الثاني: الطب والمرأة بالمغرب الأوسط

يجمع معظم الباحثين على اعتبار القرن السادس الهجري أزهى فترات تطور العلوم في المغرب والأندلس، بما فيها العلوم الطبية، ولا يمكن فصل المغرب عن الأندلس في مهنة الطب، فقد كان ابن زهر طبيب المعتمد بن عباد بأشبيلية، وأضحى طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين عندما جاء مع عائلته إلى المغرب قادما من الأندلس بعد فتح المرابطين لها، ولا عجب أن تنقطع بنات ابن زهر وحفيداته لخدمة البيت المالك[1].

فالمنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي لم يكن يقبل لمداواة نسائه وأطفاله وإيمائه إلا أم العلاء بنت أبي مروان عبد الملك بن زهر أخت الحفيد التي تعلمت الطب على يد والدها وتميزت في الولادة وأمراض النساء، وربما كانت تستفتي لرجالهم، وعندما توفيت احتلت ابنتها مكانتها في القصر المالك، لقد كانت كوالدتها ماهرة في التوليد، وتعلمت الطب على يد والدتها، وكان المنصور الموحدي لا يقبل أحدا إلا هي وأمها[2].

فهذه العائلة هي مثال لعائلات أخرى ورثت المهنة لأفرادها كما جرى الأمر بمختلف ربوع بحر الروم منذ عصور ما قبل الإسلام.

### المبحث الأول: تعليم الطب في بلاد المغرب الأوسط

لم يختلف كثيرا تعليم مهنة الطب في المغرب الأوسط على نظيرتها في المغرب الإسلامي ككل بل كان كالحمة الواحدة، يكمل بعضهم بعضا، ونلاحظه واضحا في هذه المهنة بالذات، فكان تعليم الطب في هذا العصر عملا مشتركا بين المساجد والمدارس و البيمارستانات.

---

[1] – ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقة الأطباء**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ج3، ص 113.

[2]– نفسه، ج3، ص ص 117، 118.

**1- المساجد**

كانت المساجد قبل تأسيس المدارس هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة المصلين في شكل حلقات دراسية، أو في بعض الغرف الملحقة به، فقد تعدى دوره من كونه مقر للعبادة إلى مكان تلقى فيه الدروس، و تعقد فيه حلقات البحث، و تنظم فيه المناظرات العلمية[1].

خاصة فيما يتعلق بالطب النبوي أين كانت تشرح الأحاديث المرتبطة بالطب مثال ذلك: " المعدة بيت الداء و الحمية رأس كل دواء"[2] وبلغ عدد الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب والتي تدرس بالمساجد ثلاث مئة حديث تقريبا[3].

ذكر صاحب الروض المعطار محمد بن عبد المنعم الحميري السبتي، الذي كان يقوم بتدريس مختلف العلوم بأحد مساجد سبته[4]، بما فيها علم الطب الذي كان آخر محاضراته اليومية التي يلقيها على طلبته، وكان يتابع هذه الدروس عدد من أصحاب العلل المزمنة شيوخا و كهولا [5]، وذلك لعلهم يكتشفون الداء وما يوافقه من الدواء.

**2- المدارس**

لعبت المدارس دورا فعالا في التعليم الطبي، رغم تأخر ظهورها ببلاد المغرب الإسلامي إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي [6]، فنجد المدرسة الجديدة و كذا المدرسة المنتصرية في إفريقية[7].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ص 591.

[2]- عبد العزيز بن عبد الله: "تطور الطب والصيدلة بالمغرب"، **مجلة التاريخ العربي**، العدد 27، الرباط، 2003، ص 83.

[3] – لوكلير: **تاريخ طب العرب**، أعادة طبعه وزارة الأوقاف المغربية، مج2، (د، ط)، المغرب، (د، ت)، ج2، ص 513.

[4]- **سبتة:** بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الندلس على طرف الزقاق، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بافريقية لن البحر يحيط بها من ثلاث جهات شرقا وجوفا وقبلة، وليس لها إلى البر إلا من جهة الغرب، وبينها وبين فاس ثلاثة أيام. ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج 3، ص582.
المصدر السابق، ص353.

[5]- إبراهيم حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م**، دار الرشاد الحديثة، ط1، (د، ب)، 2000، ج1، ص 952.

[6]- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ص 595.

[7] – أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي: **رحلة القلصادي**، تح: محمد أبو الأحفان، الشركة التونسية للتوزيع، (د، ط)، تونس، 1978، ص 551.

وظهرت مدارس أخرى بتلمسان في مطلع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي التي عملت هي الأخرى على تلقين علم الطب[1].

من ذلك نجد أن السلطان أبو حمو موسى الثاني[2] قد أسس مدرسة على ضريح والده يعقوب، سماها نسبة إليه بالمدرسة اليعقوبية، واستدعى الشريف التلمساني ليكون من بين مدرسي الطب بها[3].

بالقياس إلى الجهود التي بذلت في مجال الطب خلال القرنين الرابع و الخامس الهجري خاصة بإفريقية، فإن مركز الثقل تحول خلال القرن السادس الهجري إلى الشطر الغربي من المغرب الكبير الذي واصل تطوره حتى القرن الثامن الهجري [4]، حيث أولى الأمراء المرابطين و الخلفاء الموحدين عناية كبيرة للدراسات الطبية، وذلك بتشجيع القائمين عليها، و تأسيس البيمارستانات و تنظيم مهنة الطب، والحث على وضع المؤلفات في هذا المجال و اتخاذ التدابير الوقائية أيام الأوبئة وغير ذلك من الإجراءات[5].

و مما يؤكد لنا هذه العناية والاهتمام من طرف الموحدين وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية، ربما هو المسؤول الأول عن مهنة الطب و ما يتعلق بها من الأدوية والعقاقير[6]، كما كان يوسف بن عبد المؤمن زمن الموحدين ممن يهتمون بالطب إذ أقبل على دراسته حتى اعتبر من الأطباء[7].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 595.

[2] – **أبو حمو موسى الثاني:** بن أبي يعقوب يوسف أخ السلطان أبي سعيد عثمان الثاني، هو الذي أحيى دولة بني عبد الواد وأخرج بني مرين من تلمسان، دام حكمه 35 سنة من عام 715هـ/5314م إلى عام 745هـ/5384م. ينظر: محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 2011، ج1، ص 88.

[3] – مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية**، ج2، ص 271.

[4] – إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1، ص 408.

[5] – جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين، ص302.

[6] – عبد المنعم محمد حسين حميدي: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، (د، ب، ن)، 1997، 409.

[7] – عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، صص 361، 362.

كما تجدر الإشارة إلى أن المغرب و مدينة فاس على الخصوص قد استفادت في هذين العهدين من أطباء الأندلس في إطار التبادل الثقافي بين العدوتين، حيث كانت بلاد الأندلس خاضعة لسلطان مراكش، و بذلك تكونت جماعة من الأطباء التفت حول أمراء المرابطين و كذا الموحدين و قضوا بقية حياتهم في صنع العلاج و تدريس الطب مما ساعد على ازدهار هذا المجال أكثر[1].

كما واصل الزيانيون العناية بالطب مثل المرابطين والموحدين، حيث اهتموا بالأطباء وعملوا على استقبالهم من أقطار مختلفة لتدريس الطب، و قاموا ببناء المدارس حيث أسس أبو تاشفين الأول مدرسة بالقرب من الجامع العظيم، و التي عرفت فيما بعد باسمه[2]، إضافة إلى هذا لم يكتف طلاب العلم بتلمسان بالعلوم و المعارف المحلية بل كانوا يقومون بالرحلات العلمية إلى العواصم الكبرى كمراكش والقيروان، وفاس و...، مما ساعدهم في إثراء مكتسباتهم أكثر من خلال تبادل مختلف المعارف الطبية [3].

ولم يتأثر كثيرا أطباء المغرب الأوسط من المرنيين لأن الحركة العلمية عندهم في مجال الطب أصيبت بنوع من الركود، وأصبحت الجهود تدور حول القديم لتجميعه و يقتبس منه[4].

وإلى جانب وجود الأطباء من الرجال نجد النساء الطبيبات يتواجدن داخل مجتمع المغرب الأوسط، فكان من أسباب ظهور هذه المهنةهو إلحاح العرف الاجتماعي، لأن المرأة في المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا لا تكشف نفسها أمام الرجال حتى لو كان

---

[1] – جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين، ص 353.

[2] – عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2002، ص ص 81، 86.

[3]– الجيلالي شقرون: " تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الوسط "، مجلة الفقه والقانون، (د، ع)، سيدي بلعباس، (د، ت)، ص 5.

[4]– محمد بن أحمد بن شقرون: **مظاهر الثقافة المغربية: دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة (د، ط)، المغرب، 1985، ص 221.

حكيما أو طبيبا، فكان من الضرورات أن تتواجد فئة من النساء يمتهن مهنة الطب والتمريض والتوليد[1].

تعددت النساء الطبيبات في مجال طب النساء، فمن بين خدمات الطبيبة نجد مهنة التوليد وهي من المهن الشاملة التي تخص أحوال النساء الصحية الحاملة منهم كانت أو غير ذلك، وذلك أن المجتمع في المغرب الأوسط محافظ جدا بحيث لا يكشف عن المرأة من طرف رجل بتاتا اللهم إلا نادرا[2].

ويتباين نشاط المرأة الطبيبة من منطقة إلى أخرى، فنجد نسبة تواجدهن تقل كلما اتجهنا نحوى البوادي، وبالمقابل نجد عددهن يزداد كلما اقترنا من المدن، وهذا راجع لتعليم النساء في تلك المناطق[3].

**3- البيمارستانات (المستشفيات)**

أعطى أهل بجاية رعاية و اهتماما كبيرين بمجال الصحة، و تجلى ذلك في إقامة بيمارستان بمدينة بجاية التي تأسست في بداية النصف الثاني من القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي( 915هـ/5517 م)على يد الناصر بن علناس[4]، و أصبحت عاصمة لدولة بني حماد [5]، و التي كما قال عنها الشريف الادريسي:" و مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد"[6].

وعمل هؤلاء البجائيون على تجهيز بيمارستانهم بكل أنواع العلاج المتوفرة في ذلك العهد، و جلبوا إليه مجموعة من الأطباء للسهر على راحة و صحة المرضى، و ربما كان

---

[1] - نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص 396.

[2]- ابن خلدون: المقدمة، ص 392.

[3] - نفسه، ص 395.

[4]- **الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي:** أمير شجاع من بني حماد، كان من سكان قلعتهم، استنكر عنو قريبه بلكين بن محمد فقتله و تولى قلعة بني حماد بعده، لكنه كره الإقامة فيها، فبنى بالقرب منها قصوار سميت بعدة أسماء، و بايعه أهل القيروان، و توفي ببجاية . ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص 394.

[5]- الحميري: المصدر السابق، ص 85. ينظر أيضا: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 15.

[6]- الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص 45.

من بينهم ابن النباش أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن خالد البجائي[1]، الذي كان ذا عناية و معرفة جيدة بصناعة الطب مواضبا على علاج المرضى[2]

ونظرا لوجود بيمارستان مراكش الذي ذاع صيته في أقطار المغرب الإسلامي وحتى خارجه، وبما أن بجاية تعتبر حاضرة من حواضر المغرب فإنه لا محالة أن يكون أمراء هذه الحاضرة قد تأثروا بما شاهدوه في هذا البيمارستان من تنظيم، فاختاروا لبيمارستانهم أماكن جد مناسبة و جميلة، وأمروا له بالفرش النفيسة من أنواع الصوف و الكتان و غيرها، و أجروا له الأموال للإطعام الطعام وكل ما ينفق عليه، كما جلبوا إليه الأدوية و أقاموا فيه الصيادلة لعمل الأشربة و الدهان و الكحال للمرضى[3].

وربما قد يكونوا أيضا قد أعدوا فيه لنوم المرضى ثياب ليل و نهار باختلاف الفصول السنوية، و بلا شك أن بيمارستان بجاية كان مقسم هو الآخر بحسب جنس المريض إلى قسمين: قسم خاص بالرجال و قسم خاص بالنساء، احتوى أيضا على أقسام أخرى مثل: قسم مرض الجذام، قسم لذوي الأمراض العقلية، ... و كل قسم من هذه الأقسام مجهز بكل ما يحتاج إليه من آلات[4] و ممرضين و خدم و حراس، و غيرها... [5]

واستحوذت مدينة تلمسان على بناء البيمارستانات، حيث كان بها مجموعة من هذه المؤسسات الصحية على غرار المدن المغربية الأخرى، تقوم بتقديم خدماتها الصحية

---

[1] – **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن خالد البجائي:** يعرف بأبي العباس ابن كحيل. اشتغل بعلوم كثيرة، ولد سنة( 802 هـ/1400م) بتونس، وقرأ القرأن بها وسافر في طلب العلم إلى أماكن عديدة في المغرب الإسلامي. ينظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص 80.

[2]– محمد طمار: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 2010، ص 233.

[3] – مجهول: **كتاب الطب والجراحات**، ص ص ص 21-22-23، 894هـ/ 1489م، رقم 114، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، تيمي ولاية أدرار، الجزائر، 266 ورقة.

[4] – مجهول: كتاب **الطب والجراحات**، ص ص ص 21-22-23، 894هـ/ 1489م، رقم 114، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، تيمي ولاية أدرار، الجزائر، 266 ورقة.

[5]– محمد الشريف سيدي موسى: "الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببجاية من عصر الموحدين إلى الإحتلال الإسباني"، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط)، إشراف: عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م، ص 191.

للمرضى مجانا، وكانت تحت تصرف و رعاية الدولة الزيانية من حيث إدارتها و الإنفاق عليها[1]، بالإضافة إلى ما تدر به عليها الأحباس الموقوفة عليها[2].

و كانت هذه البيمارستانات على أنواع عدة منها: مارستانات مدنية التي يتم إنشاؤها بالمدن لتقديم الرعاية الصحية للعامة من الناس، ومنها بيمارستانات سلطانية التي تكون داخل البلاط السلطاني، و يختار لها أحسن الأطباء وأوثقهم[3]، حيث قال موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان في كتابه " واسطة السلوك في سياسة الملوك ":" و أختر لنفسك طبيبا ماهرا، عاقلا أريبا فاضلا ثقة محب ناصحا، و مع هذه الصفات لا تمكنه من نفسك، حتى لا يكون أعلم منك بنفسك، فإن اتخاذ الطبيب فيه قوة للقلب وراحة للنفس" [4].

ويجب أن يكون هؤلاء الأطباء من ذوي الكفاءات العالية، و خير مثال على ذلك ما نقله لنا ابن قنفذ أثناء ترجمته لطبيب يحي أبو بكر بن أبي زكريا[5] عن طبيب هذا الأخير

---

[1]– اميلي ساقاج سميث: **الطب من كتاب موسوعة تاريخ العلوم العربية: التقانة، الكيمياء، علوم الحياة، الهندسة المدنية والمكانيكا والجغرافيا الإنسانية، الفلاحة، الكيمياء، الطب**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2005، ج3، ص 1191.

[2]– الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص ص437، 481. ينظر أيضا: ابن الحاج: المصدر السابق، ص 170.

[3] – عبد الجليل قريان: **العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/ 1235-1554م)**، جامعة قسنطينة 2، (د، ط)، قسنطينة، الجزائر، 2017، ص 234.

[4] – أبو حمو موسى بن يوسف بن زيان: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، (د، ن)، (د، ط)، تونس، 1880، ص ص 20، 25.

[5]– **يحي أبو بكر بن أبي زكريا:** هو يحي أبو بكر بن أبي زكريا بن أبي إسحاق بن أبي محمد عبد الواحد، ولد وترعرع في مدينة قسنطينة، دخل، تعلم القرآن على يد الفقيه أبو علي الجبالي، توفي في رجب من عام(747هـ/ 1347م). ينظر: أبو العباس أحمد بن حسين بن على بن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية، (د، ط)، تونس، 1968، ص ص 160، 162.

أبو يعقوب بن الأندراس الذي وصفه بأنه ابن سينا[1] زمانه، مما يدل على مهارة هذا الطبيب في مجال تخصصه[2].

كما كان لابد على هؤلاء الأطباء أن يقيموا في مكان قريب من بلاط السلطان، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد تحسبا لطارئ، كما ألزموا بمرافقة السلطان أثناء رحلاته، وبصحبتهم كل ما تدعوا الحاجة إليه من أنواع الأدوية والأشربة والعقاقير[3].

أما عن النوع الأخير من البيمارستانات التي كانت متواجدة بمدينة تلمسان هي البيمارستانات العسكرية، التي كانت تهتم برعاية الشؤون الطبية للجند في الأستقرار والترحال، و في أثناء الحروب و المعارك[4].

وكان بيمارستان المنصورة[5] واحد من بين أهم هذه البيمارستانات التي شيدت بتلمسان[6]، وعمل بهذا المارستان الكثير من الأطباء على مداواة المرضى و التخفيف من آلامهم و السهر على راحتهم، و قد أجرى السلطان يوسف لهؤلاء مرتبات حسنة، فكان من بين الأطباء الذين عملوا على عهد هذا السلطان مثل الطبيب أحمد بن علي الملياني[7] الذي

---

[1]- **ابن سينا:** هو الحسن بن عبد الله بن على بن سينا، ولد في قرية أفشنة في بخارى، قدم نتاجا ضخما في الطب، حتى قيل ان الطب كان ناقصا فأكمله ابن سينا، توفي سنة 428هـ/1037م، لهمصنفات عدة منها: القانون في الطب، رسالة في الحكمة... ينظر: الحسن بن عبد الله بن على بن سينا(428هـ/1037م): **القانون في الطب**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999، ج1، ص ص 5-6.

[2]- ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، ص 163.

[3]- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (821هـ/ 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963، ج4، ص49.

[4]- عبد الجليل قريان: المرجعالسابق، 235.

[5] – **بيمارستان المنصورة:** شيد هذا البيمارستان قبل عهد أبي حمو موسى الثاني، لن السلاطين الذين سبقوه كانوا محبين وسباقين إلى عمل الخير وخدمة الرعية، مولعين بالبناء والتشييد وكان من بينهم يوسف بن يعقوب مؤسس هذا البيمارستان الذي عمل على تجهيزه بكل ما يحتاج إليه من الوسائل المادية والبشرية. ينظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 247. ينظر أيضا: إبراهيم حركات: المغرب، ص 137.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 243. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص 387.

[7] – **الطبيب أحمد بن علي الملياني:** يكنى بأبو العباس، كان كاتبا وشاعرا وكان له حظ في تعلم الطب توفي سنة 715هـ/ 1316م. ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (960- 1020هـ/ 1553- 1611م): **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة دار التراث، (د، ط)، القاهرة، 1970، ج1، ص 14.

نبغ واجتهد في الطب[1]، ووغيره من الأطباء[2]، كما كانت بهذا المارستان عدة غرف متخصصة للحمى و المجانين و المجذوبين [3]، وخصصت فيه أماكن للفقراء و المساكين و من لا مأوى لهم من الناس[4].

وبالرغم من ندرة المعلومات حول تنظيم العمل داخل البيمارستان التلمساني وتوضيح هيئة الموظفين الذين يعملون به، إلا أنه يمكن استخلاص ذلك بحكم علاقة التأثير و التأثر بين مدن و حواضر المغرب الإسلامي، حيث أو رد لنا حسن الوازن كما هو موضح سابقا، وجود موظفين و أطباء و حكماء بمستشفى فاس، و كذا الكتاب والممرضون والحراس والطباخون وغيرهم، و بحكم هذه العلاقة لا نستبعد ما كان موجودا ببيمارستان فاس في بيمارستان تلمسان باعتبارها واحدة من حواضر بلاد المغرب.

كما كانت طريقة العلاج تخضع للطريقة النفسية، و قد ألحق بالمارستان صيادلة لصناعة الشربة و الدهان و الكحال، و توجد بعض الصيدليات التي يملكها الأطباء في سوق العطارين تباع فيها المواد المتعلقة بالعطارة و الطب التي يهيئها الأطباء و الحكماء في منازلهم، و تباع للمرضى مقابل وصفات طبية [5].

**المبحث الثاني: المنهج المتبع في تعليم مهنة الطب**

تقوم منهجية تدريس الطب أساسا بالاعتماد على أحد الكتب المختصة بالطب بحيث يقوم أحد الطلبة بقراءة بعض الفقرات من الكتاب المعتمد ثم يتولى الأستاذ الطبيب شرحها و تفسيرها للطلبة، مع الاستعانة ببعض الأدوات الطبية إن اقتضت الحاجة لذلك كوسيلة تعليمية لإزالة الغموض و الالتباس عن أذهان طلبته [6].

---

[1]– ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 292. ينظر أيضا: المراكشي: الأعلام، ج1، ص 294.

[2] – من بين الأطباء نجد الطبيب عبد الحكيم الزواوي الملياني، والوزير الطبيب محمد بن الغليظ الاشبيلي، والوزير الطبيب عمار المكناسي. ينظر: ابن أبي الزرع: الأنيس المطرب، ص 376.

[3]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 297.

[4]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص578.

[5]– عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص ص298، 297.

[6]– عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 221.

ثم بعد ذلك يفتح المجال للمناقشة أين يقوم الطلبة بطرح الأسئلة على أستاذهم فيما أشكل عليهم فيه، وقد كان الشريف التلمساني[1] المثال الأعلى والقدوة الحسنة في استخدام أسلوب المناقشة و ترسيخه في مختلف الدروس التي ألقاها بالمدرسة اليعقوبية، وذلك لجعل الطلبة أكثر تفاعلا مع الأستاذ و أكثر استيعابا لشروحه [2].

## المبحث الثالث: جهود المرأة بين الطب والتطبيب

### 1-الطب التقليدي:

مارس هذا النوع من الطب بعض العجائز أللتي كسبنه من خبرتهن الطويلة في هذه المهنة مع النساء والأطفال، فكن يشخصن المرض ويصفن له أدوية من أعشاب وغيره وذلك من غير تعليم ولا إجازة، فقد حذر ابن عبدون من الطب التقليدي بقوله" يجب أن لا يترك أحد يمارس في شيء لا يحسنه، لا سيما صناعة الطب الذي فيه إتلاف المهج، وخطأ الطبيب التراب يستره" ويوقف كل أحد على صناعة لا يفقه فيها إلا بعلم لا سيما النساء، فالجهل والخطأ فيهن أكثر "[3].

وتحكمت العجائز في الطب التقليدي، وذلك من خلال الوسائل الخاصة في تحديد النسل وتنظيمه بما يجيزه الشرع الإسلامي، وذلك من خلال أن تجعل المرأة وقاية تبطل الإنجاب عند الحاجة لذلك وهو مؤقت فقط[4].

وهناك ممن يسمين بالعارفات وهن مثل العجائز في كسب المهنة بالخبرة ولكنهن أخذن هذه التجربة من الممارسة والملاحظة والتجربة في بيوت الطبيبات، فكن يداوين ممن تأخر

---

[1] - **الشريف التلمساني:** هو **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي التلمساني**، ولد سنة (710 هـ/ 1310 م) بقرية العلويين بتلمسان، وهو عالم من علماء المالكية بلاد المغرب الأوسط . ينظر: ابن مريم: البستان، ص 164.

[2]- ابن مريم: المصدر السابق، ص 554.

[3] - ثلاث رسائل أندلسية، ص 46.

[4] - الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 253.

عنها الإنجاب، فتداوهن وبالفعل أنجبنا، وبهذا فقد أثرن في مجتمع المغرب الأوسط من الناحية الطبية[1].

ويعتبر التوليد من الحرف المختصة بالنساء في الغالب الأمر بما أنهن ظاهرات على عورات بعض وتسمى منهن القابلة[2]، واختصت بها العجائز العارفات بالطب التقليدي والطبيبات المتخصصات، وقد وعرفها ابن خلدون بأنها صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه[3].

فتغلغلت مهنة القابلة فى نسيج مجتمع المغرب الإسلامي، لما لها من علاقة في ظهور إنسان جديد وما يعكسه ذلك من تجدد النسل الإنساني وإستمراريته، كما يحفظ دورها في الحفاظ على الأرواح ورعايتها، وكان تقييم عملها عند ابن خلدون داعما لأهمية دورها، وإن اقتصرت على دورها الأساسي وهو التوليد، فقد عد مهنتها ضمن الصنائع الشريفة[4].

ورغم هذا فقد حدى من مهمة القابلة في مجتمع المغرب الأوسط، بالرغم من أن مهمتها تعددت إلى حد التطبيب في الكثير من الأحيان والتمريض، وطبيبة أطفال أحيانا آخرى وخصوصا المواليد الجدد فترعاه بالأدوية إلى حين الفصال وهن أبصر به من أي طبيب ماهر[5]، والشهادة عند القضاء في أمور تستحق شهادة القابلة إن لزم الأمر، فتقوم القابلة بمهمة التوليد وما يتبعها من رعاية الأم الحامل قبل الولادة، طوال أشهر الحمل وأثناء

---

[1] – الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 253.

[2] – **القابلة:** وهي مؤنث قابل، هي المرأة التي تساعد الوالدة وتتلقى الولد عند الولادة، والجمع قوابل، وقوابل الأمر أوائل، ويقال أخذت الأمر بقوابله أي بأوائله. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري (ت 538هـ/ 1144م): **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (د، ط)، بيروت، 1998ج2، ص 226.

[3] – عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص392.

[4] – نفسه، ص392

[5] – عريب بن سعيد القرطبي (كان حيا زمن الخلافة الأموية بالأندلس): **كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين**، مخطوط، نسخة دير الاسكوريال، رقم 227، مكتبة الاسكندرية، ورقة 107أ. ينظر أيضا: ابن خلدون: المقدمة، ص 393.

الولادة ولنجاح هذه المهمة تتجهز بما يلزمها من آلات ووسائل تسهل عليها عملية الولادة[1]، و تحاول القابلة التصرف إزاء المواقف الحرجة[2].

وأوردت للقابلة عدة صفات في عديد كتب الفقهاء والأطباء فمن هذه الصفات نجدها ذو رقة ولطف وكلامها لين ذات حذاقة وفطنة وكياسة ودراسة في أمور النساء، وذات مهارة وتمكن في صنعتها[3]، ويجب أن تكون مسلمة وذات دين متين لأنها تتكشف على عورات النساء المسلمات وتكون من المثبتين والمدقيقين[4]، ولها خبرت كافية في أمور النساء والاجنة، ويجب أن تكون ذات طهارة ونظافة خصوصا أظافر يديها لأنهما تستقبلان بهما المولود[5].

ولهذا لزاما أن تكون القابلة كاتمة وآمنة على أسرار النساء من عيوب كانت أو محاسن وكانت القوابل ممن تتحكم في مصائر المواليد الجدد كتنبأهن بتقلد المولود منصبا دينيا مرموقا كالقضاء والفتي عندما يكبر، وذلك من خلال شهادتها بأنه قد ولد وهو ساجد ورافعا يده إلى السماء[6]، وذلك تيمنا بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وللأسف لم نجد ذكر لأسماء هؤلاء العجائز ممن امتهن مهنة الطب التقليدي، ونرجح ذلك بأنهن ممن توجب كتم أسمائهن كتكتم على أسماء نسائهم، ودعوتها بلقب مهنتها اشرف وادعى للاحترام من ذكر اسمها ( كالقابلة).

---

[1] – ينظر ملحق رقم 13، 14.

[2] – ابن خلدون: المقدمة، ص 393. ينظر أيضا: عريببن سعيد: المصدر السابق، ورقة 106أ.

[3] – ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية، ص 46.

[4] – الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص35.

[5]– عريب بن سعيد: المصدرا لسابق، ورقة رقم106–107أ.

[6] – لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب التلمساني (713– 776هـ/ 1314– 1375م): **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تح: أحمد مختار العبادي، مر: عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، (د، ط)، الدار البيضاء، (د، ت)، ص 204.

وتمكنت العجائز من التحكم في الطب الشعبي بواسطة الوسائل الخاصة في تحديد النسل بما يرضي الله، وذلك بأن تجعل المرأة وقاية تبطل الإنجاب عند الضرورة لذلك، وقد شرع الدين والعرف لها فعل ذلك[1].

وكانت العجائز ممن امتهن مهنة الطب الشعبي تساعد التجار في جعل الخدم لا ينجبون وذلك بسقيهم أدوية من صنعهن تمنع انتصاب ذكر الرجل فيبطل الحمل[2]، وكل هذا من خلال التجارب والممارسة الفعلية التي أكسبت القابلة خبرة لا يستهان بها.

**2- التأثيرات المتبادلة بين المرأة الطبيبة ومجتمع المغرب الوسط**

لم تحض نساء العامة بهذا العلم إلا في مجال الطب الشعبي أو التقليدي، فالملاحظ أن البيوتات العلمية أخرجت نساء مهتمات وبارعات بما فقهت فيها أسرتها، فأسرت الطبيب تخرج نساء طبيبات بما يجدنه متوفر من علوم تجريبية ونظرية متمثلة في كتب الطب مثل الطبيبة أم عمر التي تربت وترعرعت بين كتب أبيها الطبيب أبو مروان[3].نذكر منها كتاب التسيير في المداواة والتدبير، وكتاب الأغذية...[4].

وعلوم تجربية من خلال توافد المرضى على بيت الأسرة يجعل أمر الاحتكاك بهم أمر وارد جدا ومعاينة المرضى والأدوية بشكل ملموس، بعد معاينته بشكل محسوس بين دفتي الكتب الطبية، وهذه البيوتات الطبية أخرجت لنا طبيبات عارفات متخصصات مثل عائشة بنت الشيخ الجيار[5]، فهي نموذج المرأة الموسوعية الطبيب ونبوغها في معارف متعددة،

---

[1] - الونشريسي: المعيار، ج3، ص 264.

[2] - نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص 402.

[3]- **أبو مروان:** هو الطبيب عبد الطيب أبو بكر محمد الملقب بالحفيد( ت 596هـ/ 1199م )، ألف عدت كتب في الطب منها كتاب الأغذية وكتاب التيسير في المداواة والتدبير، وكتاب الاقتصاد في صلاح الأنفس والأجساد وتفضيل العسل على السكر. ينظر:

-Abdalmalik Farag: **Relations médicales Hispano-Maghrébines au XII siècles** ،Les ditions Véga ،Paris ،1935 ،p65.

[4]- ابن أبي أصيبع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3، ص ص 113، 117.

[5]- **عائشة بنت الشيخ الجيار:** طبيبة وصيدلانية بارعة، عاشت خلال فترة الدولة الحفصية، درست الطب على يد صهرها الشيخ أبو عبد الله الشريسي، ونبغت في الطب والعقاقير، وبصيرة بالماء وعلاماته، توفيت في سن السبعين. ينظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 430.

ولطالما أجازها الأمراء بالهدايا والتحف، هذا يعني بأن صيتها فاق مسقط رأسها ليبلغ دار الملك آنذاك الحاضرة فاس، ولما لا باقي حواضر المغرب المريني والزياني[1].

ونجد أيضا طبيبات بيت بني زهر[2]، فكان التأثير الأندلسي واضح في هذا المقام ونلمس هذا التأثير أيضا في مجال الطب التقليدي فمعظمهن أخذن هذه الصنعة من خلال تواجدهن داخل بيوت الأطباء والطبيبات فكان تأثير البيوت العلمية كبير جدا في هذا المجال.

ونجد الطبيبة صارة الحلبية[3] من أمهر طبيبات القرن السابع الهجري، جمعت بين الأدب والطب، وفدت من الشام إلى إفريقية زمن الدولة الحفصية، وجابت مناطق المغرب الإسلامي مرورا بالأندلس، بحثا ونشرا للأدب والطب، فأثرت في الكثير من طبيبات عصرها، وشجعتهن لترحال طلبا للعلم[4].

كما نجد بنات ابن زهر، استفدن من أسرهم في تعلم الطب، ومكنتهن مهارتهن من جهة ووسطهن الاجتماعي من جهة من الشهرة والنبوغ[5]، فهناك أطباء مشهورون استفادوا من خبرة النساء، نذكر منهم على سبيل المثال غلام الحرة زوجة المنضري حاكم مدينة شفشاون المغربية الذي تعلم الطب على يد قابلة، لم يحفظ اسمها، كانت عارفة كذلك بالحشائش والأدوية[6].

واعتمد الطبيب أبو القاسم الزهراوي هو نفسه على النساء في معالجة مرضاه من النساء، إذ كان يقف خلف ستار خفيف ويعطي للقابلات إرشاداته التي تناسب الحالات العسرة[7].

---

[1] – مجهول: **بلغة الأمنية**، المطبعة الملكية، (د، ط)، (د، ب)، 1404هـ/1984م، ص ص 94، 95.

[2] – ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص 113.

[3] – **صارة الحلبية:** جارية من بلاد الشام قدمت إلى إفريقية على عهد أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصي. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 75.

[4] – نفسه، ص ص 76، 77.

[5] – ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3، ص 113.

[6] – نفسه، ص 113.

[7] – خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي: **التصريف لمن عجز عن التأليف، في التداوي بالأعمال بالإيدي مع أشكال آلات الجراحة**، تحت إدارة المكنى بأبي الحسنات قطب الدين أحمد، (د، ط)، (د، ب)، 1326هـ/1908م، ج1، ص ص 332.

وبتنوع الأمراض المنتشرة في بلاد المغرب وأسبابها تنوعت معها طرق العلاج كثيرا إلا أن العلاج الطبيعي كان أكثر انتشارا و تداولا من طرف عامة المجتمع، وذلك لقلة تكلفته مقارنة مع العلاج عند الأطباء، فقامت النساء بالتصدي للأمراض ومعالجتها بمختلف الطرق و الأساليب، فمنها استخدام بعض الأعشاب الطبية، التي كانت تنمو في المناطق الجبلية خاصة[1].

حيث يذكر الادريسي أن جبل تاقربست ببلاد القلعة يحتوي على الكثير من النباتات الطبية مثل الفوليون، الذي كانوا يستعملونه لتحصن من لسع العقارب السود القاتلة[2]، وفي حالة الإصابة يذكر ابن الوردي أن قشر شجر النارنج إذا جفف وسحق وعجن بزيت الطيب، ووضع على لذغة العقرب سكن ألمها[3].

كما احتوى جبل ميسون شمال بجاية على الكثير من النباتات التي استخدمت في صناعة الطب مثل: شجر الحضض والسقولوفندوريون والبرباريس والقنطاريون الكبير والزاروند والقسطون والافسنتين أيضا [4]وآطريلال[5] الذي استعمل لعلاج البهق[6] أيضا

[1]– عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن الوردي: **منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين**، تح: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب، (د، ط)، دمشق، (د، ت)، ص 579.

[2]– الإدريسي: المصدر السابق، ص 81. ينظر أيضا: الحميري: المصدر السابق، ص 141.

[3]– ابن الوردي: منافع النبات، ص 579.

[4] – الإدريسي: المصدر السابق، ص 45. ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص ص 85، 85.

[5] – **آطريلال:** وهو نبات يشبه الشبت في ساقه وحمته وأصله، غير أن حمة الشبت زهرها أصفر، والآطريلال زهره أبيض ويعقد حبا على هيئة ما صغر من حب المقدونس، وعند ذوقه يحذي اللسان، وأول من اكتشف منفعة هذا الدواء أصله من قبيلة من البربر تعرف ببني أشعيب من بني وجهان بالمغرب الوسط.ينظر: ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، دار الكتب العلمية، (د، ط)، بيروت، 2001، ص 2.

[6]– **البهق:** بياض على الجلد دون البرص وربما يكونأسود. ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بنيوسف الخوارزمي (387هـ/ 997م): **مفاتيح العلوم**، دار المناهل، ط1، لبنان، 2008، ص 513.

الرجنقة[1] يخلط بالزبيب والعسل وبذلك يذهب اليرقان[2]، وحتى الحلفاء كانت تطحن وتستعمل لعلاج بعض الأمراض[3].

وستعمل النبق لعلاج داء الإسهال عند المغاربة، ويقصد به ثمرة السدر، وهي تنمو في مصر وغيرها من بلاد إفريقية الشمالية، مفيد جدا لأمراض كثيرة إلى جانب داء الإسهال منها: الحلق، ومهدئ ومكافح للسعال ومسكن للصفراء، ونافع للصدر وفوائده تماثل فوائد البلح والتين في مواضع عدة، كما يدبغ المعدة، و يغذ البدن و يشهي الطعام، وتصنع منه منقوعات للنزلات الصدرية و مطبوخات مرخية مدرة للبول و مسهلة، كما تستحضر منه خلاصة قابضة وعصارته تلطف حموضة الدم، وينفع في الربو ووجع المثانة و الكليتين [4].

كما كان حجر الاثمد أو الكحل السود ينفع العين ويقوي أعصابها ويمنع عنها الكثير من الآلام و الوجاع و ينقي أوساخ القروح الفاشية فيها سيما عند كبار السن، و ذلك عن طريق الاكتحال به[5].

وأهل السوس كانوا يستعملون زيت الهرجان– شجره يشبه الكمنثري وثمره مثل الإجاص– لمعالجة الكلى والبول[6].

كما اعتبروا أن لحم السلحفاة مفيد في مرض الجذام شريطة أن يتناوله المريض لمدة

---

[1]– **الرجقنة:** المعروف بالرجقين، دواء مألوف في طعمه يسير ح اررة يشبه طعم أصل الحرشف، وكذا يشبه النبات المعروف عند الشجارين بالرز في هيئته وأصله وورقه وزهره وطعمه، إلا أن ورق الرجقين يميل إلى البياض وهو أزغب، ومنه ماهو صغير غير مقطع الورق ومنها ماهو مقطع الورق مثل الرز إلا أنه أعرض منه بقليل. ابن بيطار: المصدر السابق، ص 53.

[2]– **اليرقان:** صفار، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه، لامتلاء م اررته واختلاط المرة الصفراء بدمه، يقال أرق الرجل فهو مأروق. ينظر: الخوارزمي: المصدر السابق، ص 511.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الوسط خلال القرنين 3و9هـ/4و5م**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، بن عكنون، (د، ت)، ص 11.

[4] – ابن الوردي: منافع النبات، ص 579.

[5] – نفسه، ص 214. ينظر أيضا: مجهول: **الأغذية والأدوية عند مؤرخي الغرب الإسلامي**، تح: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ط5، بيروت، (د، ت)، ص918.

[6]– البكري: المصدر السابق، ص512.

سبعة أيام متتالية و أن لا يتعدى عمر السلحفاة سبع سنوات [1].

كما كان المغاربة يعالجون النزيف بمسحوق اليقطين ودقيق الفول، أو باستعمال الثلج أو الماء البارد[2]، و لتضميد القروح استعملوا الزيت الغليان أو القطران الساخن و الحناء والفحم وصمغ الصنوبر لاستئصال جراثيم التعفن[3]، وعالجوا أمراض الأذن بالجاوي والزعفران و الزيت وعصير ناب الذيب [4].

أما القروح التي تصيبها غالبا ما كانت تداوى بالعمليات الجراحية [5]، وبالنسبة للأسنان المسوسة فقد كانوا يستعملون لها مزيج من الثوم و الملح والحريف – وهو الفيجل الوحشي– ثم بعد ذلك تملأ بجذر جوز الريان بعد أن يغمس في اللبن ثم تغطى بالصمغ[6]، أيضا صنعوا من ماء الورد و البنفسج والقرنفل مختلف أنواع المراهم.

والمساحيق استعملت في علاج أمراض عديدة، حيث نجد أن دهن الورد يسكن أوجاع الدماغ مصروبا بالخل، وينفع من أورام الدماغ الحارة و الباردة – إذا ضرب بالخل وغمست فيه – حرق ووضع عليها [7].

كما أن دهن البنفسج يبرد و يرطب و ينوم ويعدل الحرارة ويعمل لطوخا لمن به فالج باسترخاء، وكذلك يستعمل للنساء، دهنه ينفع من الخدر والرعشة و ينفع العصب، إذا سحق بالعسل بالماء نفع من التشنج العارض في الوجه و السعفة، منشف للبلغم الذي في الرأس، قاطع للزكام[8].

---

[1]– ما رمول كربخال: المصدر السابق، ص83.

[2]– محمد بن أحمد بن شقرون: **مظاهر الثقافة المغربية: دارسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، (د، ط)، المغرب، (د، ت)، ص223.

[3]– عبد العزيز بن عبد الله: الطب الإسلامي، المرجع السابق، ص75.

[4]– ابن شقرون: المرجع السابق، ص 223.

[5]– عبد العزيز بن عبد الله: المرجعالسابق، ص 75.

[6]– نفسه، ص 75.

[7]– محمد الشريف سيدي موسى: **مدينة بجاية الناصرية: دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية**، دار كرم الله للتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2011، ص 283.

[8]– مجهول: الأغذية والأدوية، المصدر السابق، ص912. ينظر: ابن شقرون: المرجع السابق، ص223.

وعانت النساء من العقم فعالجنه بأدوية مقوية وتساعد على الإنجاب[1]، وعانين من داء النساء( بوزلوم)، والرطب بسبب جلوسهن على الأرض بدون ارتداء أي نوع من السراويل[2].

ومن بين الأمراض التي تصيب النساء أيضا الخراج الذي يعرض في الرحم كالقروح والورم المتحجر والأكلة والبواسير والنواسير والثواليل فتعالج بآلة خاصة مع دهن الورد أو زيت أخضر[3] يوضع في فتيلة من الصوف النقي، وتجعل من الماء والعسل حقنن لتعقيم الجروح بدل التعقيم بالحديد[4].

إلى جانب العلاج بالأعشاب تداوت نساء المغرب الأوسط بالعلاجات الطبيعية داخل الحمامات و العيون المنتشرة في بلاد المغرب، لنجاعة مياهها في شفاء بعض الأمراض كالفالج، الجذام، الحمى و الخذر أيضا تطهير الأبدان[5]، وفي مدينة ميلة[6] " بها عين تعرف بعين الحمى يرش بها عن المريض فيبرأ ببركتها و شدة بردها"[7].

ولم يقف اعتقاد سكان بعض مناطق المغرب عند نجاعة مياه العيون في شفاء الأمراض فقط، بل تعدى لتطير بها مثل واد السلاحف في تلمسان كما ذكرنا سابقا.

**3-أدوار أخرى لنساء الطبيبات**

كان لتأثير الحضاري والاجتماعي والسياسي مخرجاته فعلى قدر الاحتياج للنساء تنشأ الأدوار فعلى سبيل المثال الدور القضائي لنساء، مارست فيه المرأة دور السجانة والسجينة، والباحثة عن الحقيقة في قضايا تخص المرأة دون سواها، فزج بالمرأة القابلة داخل بيت القضاء، لتفصل فيه، فكان تأثير المرأة في القضاء تأثيرا قاطعا حازما، وذلك في الإدلاء بالأحكام القضائية، ومن هنا نذكر بعض من أوجه تأثير المرأة في القضاء.

---

[1] - مجهول: الاستبصار، ص254.

[2] حسن الوزان: المصدر السابق، ص 83.

[3] - مجهول: كتاب الطب والجراحات، ص ص 01-02.

[4] - نفسه، ص 03.

[5] - علي الجزنائي: جنى زهر الآس، ص ص 39، 31.

[6] - **ميلة**: مدينة على أربع م ارحل من قلعة حماد، عامرة آهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر، كثيرة السواق والمتاجر، وفي وسط مدينتها عين حارة عذبة معروفة بعين أبي السباع.ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص 114.

[7] - نفسه، ص114.

فنجد أنها تبحث عن الحقيقة لمساعدة القضاء للوصول إلى الحكم العادل، وقد ساعدها في ذلك الفقه والأعراف الاجتماعية سمحت لها بالتواجد في مجتمع النساء، تطلع عليهن وتقر حالتهن، فاستأثرت به وحدها وقامت مقام الرجال في الشهادة والقرار والتحقق وهو ما عرفه الفقهاء بالشهادة على البدن، وذلك للضرورة الفقهية، فتجلى دورها في إثبات حمل المرأة من عدمه، ونسب الأولاد لأبائهم[1].

وأول تقاطع بين القضاء وعمل القابلات، حيث سئل أبو عبد الله العبدوسي عن امرأة توفي زوجها وذكرت أنها حامل وأرادت الزواج ورفع الأمر إلى القاضي فأمر القاضي قابلات فتحسسن بطنها ولم يجدوا شيء فشهدوا القوابل بالشهادة وتزوجت [2].

وهناك نازلة تتحدث عن القوابل فيها شاهدة على حمل امرأة بعد عن تخلى زوجها وأنكر هذه الخلوة ونسبت حملها إلى رجل أخر[3]، فنجد بعض الناس من ينكر حمل زوجته ونسب ولده إليه كما وجدناها في نازلة " خلع رجل زوجته بعد مدة ظهر بها حمل وسأل لمن هذا الحمل"[4].

وفي بعض النوازل جاء إنكار من قبل الرجال لأولادهم من النساء الحوامل وقد كان هذا يؤدي إلى اختلاط الأنساب وتعريض الأطفال إلى الضياع النفسي وسئل في نازلة " عمن نفى ولده من زوجته وقد قدم من سفر فوجده مولودا فقيل له: أزنت أم لم تزني؟ فقال لا أعلم إن كانت زنت، وليس هذا الولد مني".[5]

---

1 – الونشريسي: المعيار، ج9، ص 227.

2 – نفسه، ج4، ص 54.

3– المازوني أبو زكريا يحيى بن موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي (ت883هـ/ 1479م): **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: مختار حساني، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون طبعة، 2009، ج2، ص 381.

4– نفسه، ج2، ص296.

5– نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص227.

ولتحقق من عذرية البنات كانت من بين مهام النساء العارفات وهن الطبيبات والقابلات[1] أن يتحققن من عذرية من شكوا في عذريتها إن كان جديد أو قديم فذكر الونشريسي ذلك في قوله" اختلف في ذلك، وأحب إلينا أن ينظر النساء اليها، فإن قلن القطع جديد لم يقبل منه، وإن قلن قديم فإن زوجها أبوها أو أخوها فعليه صداقها ويرجع به عليهما"[2].

كانت القابلة ومنزلها يلعبان دور السجانة والسجن للنساء الاتي يسجن في قضايا متعددة ومتنوعة[3]، منها قضايا العنف، وهذا ما نستشفه من نقول البرزلي حيث تخرج المرأة عن طور زوجها أثناء الخلافات الزوجية، فنجد في المغرب الأوسط أن رجلا ذهب إلى شيخه يشتكي إليه سُوْءَ صنيعِ زوجته التي لطمته وهي تعجنُ، وفي وجهه أثارُ العجين أشار شيخه إلى عنقه وقال " ضربتني زوجتي البارحة بالمقلاة فصارت قلادة في عنقي"[4].

فكان لا بد من وجود سجون خاصة بالنساء المتهمات في الجرائم المختلفة، وقد جوَّز الفقهاء حبس الرجل مع زوجته في قضايا الديون بشرط خلو السجن[5]، وفي حالة عدم وجود سجن خاص للنساء يعهد بالمرأة المتهمة إلى دار أمينة بالأجر يدفعه صاحب الدعوى[6]، وهذا من أجل تأديبها لا معاقبتها كما يعاقب الرجال داخل السجون وإنما تأديبها بلطف[7].

ونستشف هذا الاستنتاج من كون أهم صفات القابلة لطيفة حنونة لبقة في كلامها فمن غير المعقول أن تكون السجانة بهذه المواصفات، ومكان السجن هو منزل وليس سجن، وإن كانت داخل السجن يمكن حبس الزوج معها.

---

[1]– الونشريسي: المعيار، ج 3، ص 33. ينظر أيضا: علي بن يحي الجزيري (ت 525هـ/ 1189م): المقصد **المحمود في تلخيص العقود**، تح: اسونثيوم فريرس، سلسلة المصادر الاندلسية (23) المجلس الاعلى للأبحاث العلمية– الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1998، ص 29وما بعدها.

[2]– الونشريسي: المعيار، ج 3، ص 256.

[3] – ابن عبدون: **رسالة في القضاء والحسبة**، ص 19.

[4] – الوسياني: **سير الوسياني**، ص 433. ينظر أيضا: الدرجيني: طبقات المشايخ، ص 344

[5] – البرزلي: فتاوى البرزلي، ج 4، ص 345.

[6] – نفسه، ج4، ص 255.

[7]– نجلاء سامي النبراوي: القابلة في المغرب والأندلس، الدور الطبي، القضائي، والاجتماعي، **موقع الألوكة**، ص 17.

## الفصل الثالث: ممارسة المرأة للعلوم الروحانية وتفاعلها

### المبحث الأول: المرأة والعلوم الروحانية بين الدين والممارسة

#### 1- الإمتداد التاريخي للعلوم الروحانية (الشعوذة – السحر- التنجيم) في مجتمع المغرب الأوسط

يعد السحر[1] والعرافة[2] والتنجيم[3] أحد المعتقدات القديمة، حيث تفشت في ثقافات المجتمعات البدائية، فقد وجدت ضمن حفريات ما قبل التاريخ رسوم لحيوانات برية.[4]

حيث اعتقد إنسان الكهوف والمغارات أن نحت أشكالها على الجدران والصخور، قد يكبت طاقاتها على الإفلات من شراكه وأسلحته، ونجد في الثقافة الهندية والصينية القديمة طرائق السحر وكيفية تأثيره[5].

ووفق مقاربة تجمع بين الجوانب الاجتماعية والنفسية فكان هناك تدخل قوي لجوانب سياسية واقتصادية وفكرية التي جعلت السحر والشعوذة له شرائح من المجتمع قد تفاعلت مع

---

[1] – **السحر**: قال تعالى (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) سورة طه الآية 66، فأخبر الله تعالى أن عمل أولئك السحرة إنما كان تخيلا لا حقيقة، وقال عنه ابن خلدون بأن رياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين. ينظر: البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص 218. ينظر أيضا: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ/ 1064م): **المحلى**إدارة الطبعة المنيرية، 1975، ج1، ص 36. وينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 495.

[2]– **العرافة**: هي القضاء بالغيب وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث السابقة، على الحوادث الأتية لما بينها من التشابه، هي القضاء بالغيب بالضرب بالحصى مثلا. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 335. ينظر أيضا: أحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي (ت 1362هـ/ 1943م): **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، تح: عدد من المحققين، مؤسسة المعارف، (د، ط)، بيروت، (د، ت)، ج2، ص23.

[3] – **التنجيم**: هي من تمارس التنجيم، والنجم هو الطالع، والتنجيم نوع من الكهانة، وهو علم يقول اصحابه بأنهم يربطون حوادث الأرض بنجوم السماء وتنبأوا بالبلاء والغلاء والرخاء والموت وهبوب الريح وهطول المطر. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 117. ينظر أيضا: حسن زاجية عبد الرزاق: "عبادة العرب للقمر قبل الإسلام "، **مجلة آداب البصرة**، البصرة، العدد 46، سنة 2008، ص ص 154-155.

[4] – سيد قطب: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، (د، ط)، بيروت، 1991، ج3، ص 1348.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ص 499. ينظر أيضا: طه باقر: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، (د، ط)، بغداد، 1986، ج1، ص ص 308، 309.

هذه الظاهرة بشكل إجابي، فكانت النساء أكثر شرائح المجتمع تفاعلا مع هذه الظاهرة، فقد اتخذته بعض النساء كمهنة تقتات منها.[1]

وكان للتفاعل الحضاري بين المغرب الأوسط وباقي الشعوب أثره الواضح، فنجد مثلا مسلمة بن أحمد المجريطي[2] إمام أهل الأندلسجلب معه هذا العلم من المشرق عن جابر بن حيان[3] فاستخرج الصناعة من كتب الأولين من أهل بابل[4].

فغاص في زبدتها كما يقول ابن خلدون ولخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمعها في كتابه المسمى" غاية الحكيم" [5]ويؤكد ابن خلدون على أنه لم يكتب أحد في هذا العلم بعد المجريطي[6].

وبما أن هناك حركة ثقافية بين العدوتين بسبب حركة التجارة فتم نقل أهم العلوم من كتب وأفكار وعلماء إلى المغرب وخصوصا المراكز الثقافية مثل تلمسان وبجاية اللتان كانتا مفترق الطرق في العلوم ومهيمنتان على التبادل الفكري بين الأندلس والمغرب الأوسط وحتى المشرق[7]، فانتقل إلى المغرب من تأثر بهذا العلم ولم يذكر ابن خلدون اسمائهم بالرغم من

---

[1] – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 288.

[2]– **مسلمة بن أحمد المجريطي:** هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (338– 398هـ) ولد بمجريط(مدريد)، كان في زمن حكم المستنصر بالله، وهو أفضل الرياضيين والفلكيين في زمانه، أسس مدرسة لتعلم هذا العلم، من أشهر تلاميذه نذكر ابن الصفار، وأمية بن عبد العزيز، وأبو بكر الطرطوشي، كان المنجم الخاص بالحاجب المنصور الذي تنبأ بزوال ملكه، من مؤلفاته" غاية الحكيم، ورتبت الحكيم وكتاب الأحجار ورسالة في الأسطرلاب. ينظر:

KumarAlok. Salem. Semaàm. Said ibn Ahmad Andalusi: **Science in the medieval world book of the categories of nations ،University** ،taxasbqress ،1991 ،p 100.

[3] – **جابر بن حيان:** هو جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي برع في علوم الكيمياء والفلك والهندسة، وعلم المعادن ولد على الارجح سنة (101هـ/ 721م)، مارس الصيدلة مثل أبيه في الكوفة، من مؤلفاته كتاب السموم ودفع مضارها، وغيره الكثير، توفي سنة (815هـ/ 1413م). خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002 ,ج2، ص ص 90– 91.

[4] – **أهل بابل:** تواجد أهل بابل في بلاد ما بين النهرين ومنهم السريانيين والكلدانيين، عرفوا بانتشار علوم السحر والشعوذة فأذى الناس هذا العلم وتفننوا فيه. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 494.

[5]– ينظر الملحق رقم15.

[6] – ابن خلدون: المقدمة، ص 494.

[7] – بشير رمضان التليسي: **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي (خلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي)**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ص 234.

معاينته لأعمالهم بعينه، فكانوا ينتحلون الاعمال السحرية ويعرفون بالبعاجين لأنهم يشيرون على الغنم فيبعجون بطونها وبذلك يخاف الناس ويقدمون لهم من خيراتها، وكانت لهم صحيفة يتداولونها تسمى" الخنزيرية أو الخزيرية" يتدارسونها[1].

ومن هنا اهتم أهل المغرب بالتنجيم والكهانة، واعتقدوا أن للمنجمين قدرة خارقة على معرفة ما يصير إليه حال المرء خيره وشره، واعتمد بعض الأمراء والملوك في سياستهم واتخاذ قراراتهم على قراءة الطالع من قبل العرافات والعرافين والمنجمات والمنجمين[2]، فقدوم قبائل صنهاجة إلى المغرب كان بإعاز من أحد الكهنة العارفين بالطوالع، الذي اخبرهم بأنه سوف يدرك ولدهم بتلك البلاد ملك عظيم لم يتح لهم من قبل، وهذا بعد أن تغلب الاحباش على مضاربهم في اليمن[3].

ومن انواع العرافة علم يسمى بعلم الأكتاف وذكر الإدريسي بأن أهل زناتة أعرف الناس بهذا العلم الذي يتطلب معرفة وحذاقة وكياسة ويد جيدة في علم الكتف[4].

وعموما فعلم الاكتاف يعرف بأنه علم يبحث عن الخطوط والأشكال التي ترى في أكتاف الضأن والمعزالتي تظهر بعد تعرضه لشعاع الشمس، فيأخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمه ويلقى على الأرض ثم ينظر فيه، على أحوال العلم الأكبر من الحروف والخصب والجذب، والاستدلال به على الأحوال الجزئية لإنسان معين[5].

وذكر النويري في كتابه عن رجل من أهل زناتة سرقت متاعه عند عودته من الحج فستضافه مناد بن منقوش، فنظر على كتف الشاة التي ذبحة على شرفه، بأن امرأة مناد حامل وستلد ذكرا يملك بلاد المغرب، فكان ذلك فعلا مع ميلاد زيري بن مناد الصنهاجي[6].

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة، ص ص 497، 498.

[2] – مجهول: الحلل الموشية، ص ص 39- 40.

[3] – النويري: نهاية الأرب، ص 300 -301.

[4]- نزهة المشتاق، ص ص 88-89

[5]- حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون**، دار العلوم الحديثة، بيروت، (د، ت)، ج1، ص ص 140، 401.

[6]- النويري: المصدر السابق، ص 303.

**2-دور المرأة في المعالجة الاستشفائية بالسحر والشعوذة وأثرها على ذهنية مجتمع المغرب الأوسط**

تعددت طرق العلاج من علمية إلى تقليدية شعبية، واعتماد السحر والشعوذة للحيلولة دون فتك الأمراض والأوبئة بالناس، فجعلت العرافة والسحر والشعوذة كمهنة تأثر بها المرأة على ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، بتشجيع من العرف السائد في أوساط الأسر التي تلجأ إليهن عندما تتقطع بهم السبل.

ولهذه المهنة خصوصية وشروط يجب أن تتوفر في المرأة التي تفكر في امتهانها، فلا بد أن تكون ذو فراسة صحيحة، وصدق في الفأل الحسن، ومعرفتها بقيافة الأثر[1] مع قيافة البشر[2]، ذو دراية بصناعة التنجيم وعلم الفلك، وذو معرفة بمفاسد ومضار هذا العلم، ويجب أن تكون لها حدس قوي وتجربة ومعرفة مسبقة مما كان من تجارب لزميلاتها العرافات[3].

ومن هنا نقول أن العرافة هي التي تدعي معرفة الشيء المطلوب منه عن طريق دراسة مقدمات أسباب تستدل بها في تحليلها للإجابة عن الطلب,حيث قال ابن خلدون " نجد في النوع الإنساني أشخاص يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس.."[4].

---

[1]- **قيافة الأثر:** فهو علم تتبع الأثر (الأقدام والأخفافوحوافر الحيوانات..)، وبذلك تعرف الانعام الضالة والمسروقة. ينظر: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (ت 852هـ/ 1448م): **المستطرف في كل فن مستظرف**، عالم الكتب، (د، ط)، بيروت، 1998، ص 333. ينظر أيضا: محمد بن القاسم بن محمد الأنباري(ت 328هـ/ 940م): **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، (د، ط)، بيروت، 1992، ج1، ص ص 367-368.

[2]- **قيافة البشر:** فهو الاستدلال بصفات أعضاء الإنسان، وينسبون المولود لأبيه، كان العرب يستعملونه في تحقيق الأنساب وتميز القبائل. ينظر: الابشيهي: المصدر السابق، ص333. ينظر أيضا: مصطفى صادق عبد الرزاق الرفاعي: **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، (د، ط)، (د.ب.ن)، (د، ت) ج3، ص 23.

[3]-ابن خلدون: المقدمة، ص ص 538-539.

[4] – نفسه، ص 112.

وكانت للكاهنات أدوات يستعملنها لتداوي فمنها القراطيس والرمل والدقيق وهذا ما وضحه ابن خلدون في قوله:" فإذا أرادوا استخراج مغيب بزعمهم، عمدوا إلى قرطاس أو رمل أو دقيق..."[1].

وهناك بعض الأعضاء التي تستخرج من الحيوانات البرية والبحرية التي يستعملها بعض السحرة، مثل الجماجم والأنياب وجلود الغزلان( ورق غزال)، ومسك وزعفران والبخور ولبان والجاوي وأواني زجاجية، ولوح الرصاص وفص خاتم وخاتم فضة وزن درهمين ولبن ورأس ديك و زيت ودهن وراية، وحتى المياه أنواع حسب منابعها، فيكون استعمالها حسب الطلب مثل ماء الورد، وماء المطر، وماء البئر العذب، وماء زمزم [2]، واللوز، وإبرة من نحاس أ صفر، الثوم الأحمر...[3].

إن التطور الذي شهدته ظاهرة العمل بالسحر أفرز أبعادا اجتماعية مرتبطة بها، مثل الاعتقاد في بعض الحيوانات والأصناف النباتية أنها تذكي القوة الخفية للسحر أو تبطل مفعوله. ولذلك قلما خلت أسواق المغرب الإسلامي في بواديه وحواضره من باعة متجولين وقارين يعرضون بضائع لا يعلم وصفات استعمالها ودواعيه غير الملمين بصنعة السحر؛ فإلى جانب بعض المعادن والبخور مثل الفاسوخ والحرمل والشب اليماني، توصف نباتات من قبيل الفجل مع العسل وأوراق الدفلى، التي طالما نظر إليها العامة على أنها تبطل السحر وأذى العين[4].

كما يعرض العطارون أعضاء لبعض الحيوانات المحنطة وجلودها وريشها، مثل الضبع والقنفذ والحية والسحلية والهدهد، وروث بعض الثدييات مثل القردة والخنازير؛ بينما

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ص 118.

[2] – أبو العباس أحمد علي البوني(ت622هـ/ 1225م): **شمس المعارف الكبرى ولطائف الموارف**، المكتبة الشعبنية، ( د ط)، بيروت، لبنان، (د ت)، ج1، ورقة رقم 39.

[3] – نفسه، ج1، ورقة رقم 40.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع– الذهنيات– الأولياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص 115.

تعدّ البخور العطرية أكثر السلع رواجا[1]، ويعود ذلك إلى تسخيرها في طقوس تطابق الحالتين، مثل اللبان الجاوي[2]، والأجسام الشفافة والمرايا وطساس المياه.... [3].

وتواجدت في المغرب الأوسط ممن يضربن الرمل والحصى ويسمى الخط أو خط الرمل فهم يخبرون النساء بما سيكون في المستقبل[4]، فيرسمون على التراب أشكالا ويؤدي لهم عن كل رسم بحسب الموارد المتوفرة للشخص ويخبره عن طالعه فهذا الصنف الأول من العرافين[5]، وانتشرت هذه المهنة في المغرب وألفت فيها عدت كتب[6] مثل كتاب شمس المعارف الكبرى ولطائف الموارف للبوني الذي يصف لنا كيفية كتابة الحروز[7].

وكتاب غاية الحكيم[8] الذي يعتبر من الكتب التي تعنى بتعليم السحر والشعوذة، ولكن للأسف لم يذكر لنا ابن خلدون ولا حسن الوزان ولا صاحب الاستبصار ولا حتى البرزلي اسم واحد لنساء قد مارسنهذه المهنة، والملاحظ هنا نوع من التكتم حول هذه الظاهرة، حيث نجد بعض أسماء العرافين والسحرة والمشعوذين من الرجال مثل الساحر سيدي سينا[9] وابن تومرت الذيعرف ببراعته في خط الرمل حتى أن المراكشي وصفه بأنه" أوحد عصره في علم خط الرمل"[10].

ومن خلاله قد تعرف على هجاء أحرف اسم عبد المؤمن وصيفاته من قبل أن يراه وكانت(ع ب د م و م ن)، واسم المنطقة التي تكون مقامه ومدفنه وكان هجاء حروفها ( ت

---

1- ابن خلدون: المقدمة، ص 114.

2 - علي البوني: المصدر السابق، ج1، ورقة رقم 40 وما بعدها.

3 -ابن خلدون: المقدمة، ص 113. ينظر أيضا: حسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص ص 262 – 263.

4- البرزلي: المصدر السابق، ص ص 217 – 218. ينظر أيضا: ابن خلدون: المقدمة، ص 118. ينظر أيضا: حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 276.

5 - حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 262.

6- ابن خلدون: المقدمة، ص ص 118، 119.

7- ينظر ملحق رقم 16.

8 - ينظر ملحق رقم 15.

9- **سيدي سينا:** عمل بمهنة السحر، سكن مجرى لوادي ميني وسمي بوادي سينا والسهل سمي بسهل سينا. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 29.

10 - المراكشي: المعجب، ص 156.

ي ن م ل)[1]، وارتبط علم خط الرمل بمعرفة غلاء الأسعار أو رخصها أو بالجفاف وما ينجم عن ذلك من فتن وقتل[2]، وهي قضايا وظواهر برزت في أواخر العصر المرابطي وهذا مما يعكس ارتباط الفكر الغيبي بالأزمة، فيحدث تشوّش للأفكار والمعتقدات، فيطغى على الناس الخوف من الفناء، ومنه توالت إلى الازمنة التي تليها [3].

ومن العرافين نجد من جعل من الأجسام الشفافة والمرايا وقدور الماء اللامعة حيث يرمون فيها قطرة زيت فيصير شفافا ويزعمون أنهم يرون فيه كما يرون في المرآة ويطلبون من الشياطين مطالبهم وكان الناس ينفقون أموالا طائلة على هؤلاء[4].

وهناك علوم روحانية آخر أقرب منها إلى السحر والرياضيات من العرافة وهي حساب النيم وهي طريقة خصصها المنجمون من أجل معرفة الغالب والمغلوب بين المتحاربين من الملوك، وذلك بحساب الحروف التي في اسمهما [5]والزايرجة التي نسبت إلى أبي العباس سيدي أحمد السبتي[6] فهذه المهنة غريبة العمل فيها ألغاز ورموز وتعمل على كشف غامضه من الغيب[7].

وتحدث ابن خلدون عن حاميم المتنبي ببلاد غمارة، الذي كان يلقّب بالمفتري، وكانت أخته دبّو ساحرة كاهنة، وكانوا يستغيثون بها في الحروب والقحوط، وعلى الرغم من قتل هذا المتنبي المزعوم في حروب قبائل مصمودة بطنجة سنة( 315هـ/ 928م)، فقد استمر السحر في قومه بمنطقة غمارة إلى عهد ابن خلدون، حيث يقول" وما زالوا يفعلون السحر لهذا العهد، أخبرني المشيخة من أهل المغرب أن أكثر منتحلي السحر منهم النساء العواتق،

---

[1] – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص ص 47، 48.

[2] –البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص 218.

[3] – أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (ت 520هـ/ 1126م): **نوازل ابن رشد**، تق وتح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1987، ص 361.

[4] – حسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص ص 262–263. ينظر أيضا: ابن خلدون: المقدمة، ص ص 113، 114.

[5] – ابن خلدون: المقدمة، ص صص 119،1120، 121.

[6]– **أبو العباس سيدي أحمد السبتي:** من أعلام المتصوفة بالمغرب ظهر في عهد أبو يعقوب المنصور الموحدي في آخر المائة السادسة بمراكش. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 121.

[7]– علي البوني: شمس المعارف الكبرى، ج1، ورقة رقم 346 – 350. ابن خلدون: المقدمة، ص ص 121، 122، 123.

وقال: ولهم علم باستجلاب روحانية ما يشاؤونه من الكواكب، فإذا استولوا عليه وتكنّفوا بتلك الروحانية تصرّفوا منها في الأكوان بما شاؤوا والله أعلم"[1].

الأغلب أن هذه الظاهرة كانت في أغلب مناطق المغرب ولكنها بدرجات متفاوتة على ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون حول كلمة المغرب وقصدوا بها على الأرجح البيئة المشتركة بين قطاعاته الثلاثة في مثل هذه الظاهرة قصدوا بها العمومية وشمولية ظاهرة العرافة والتنجيم والدليل على ذلك أنه في بعض المناطق يذكر ويفصل في أحد أنواع العرافة في تلك المنطقة، ومنطقة أخرى يمر عليها ولم يذكر شيء عنها.

ويصف لنا حسن الوزان مشهدا من المشاهد العلاجية التي تحدث داخل دور الكاهنات حيث كنّ يوهمن العامة أنهن يرتبطن بصداقة مع الشياطين من أنواع مختلفة يسمين بعضهم بالشياطين السود والحمر والبيض، وهذا من أجل تخويفهن وبذلك يبتززنهنّ لدفع أجرتهن وعندما يطلب منهن التنبأ بشيء يقمن بالتطيب بعطور مختلفة الروائح فيدخل فيهن الشيطان، الذي دعونه حسب زعمهن، فيغيرن نبرة صوتهن ليوهمن أنه المتكلم عن طريق فمهن ويخبر الشخص الذي جاء من أجل طلب عن طلبه فيترك هدية للشيطان وينصرف إلى حال سبيله[2].

وكانت العرافات يمارسن السحاق[3] مع النساء الحسناوات[4] اللواتي يأتين لاستشارتهن وذلك بعد ادعائها بأن الشيطان هو الذي يرغب في ذلك، ولقد سقط الكثير من الأزواج في شراكهن حيث اقنعن زوج المرأة الحسناء بأنزوجته سكنها شيطان وأنه إذا كان خائف وحريص على صحة زوجته لابد من أن يسمح لها بالانتساب إلى طائفة العرفات، فيتركها الزوج الابله كما ذكرها الكاتب، لتعيش المغامرة، وهناك من الرجال الذين لا يسمحون بذلك

---

[1] - ابن خلدون: العبر، ج6، ص 288.

[2] - حسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص 263.

[3]- **السحاق:** بمعنى دقه أشد الدق فسحقه، وساحقت فلانة فلانة أي اشتهتها ومالت إليها، وهذا نوع من الشذوذ الجنسي. ينظر: أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008، ص 1042.

[4] - البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص 159.

فيضربون زوجاتهم بعصي قوية لإخراج الشيطان من اجسادهن أو يقوم الرجل بخداع العرافة كرد فعل فيدعي إصابته بمس من الشيطان مثل زوجته.[1]

وذكر البرزلي أن هناك من النساء والرجال يذهبون إلى العرافات والعرافين للاستشفاء وذلك من خلال التواصل مع الجن لمساعدتهن على مشاكلهن من أمراض التي تتعلق بالصرع أو بإعراض الزوج عنها فتكتب لها ما يسمى" بكتاب عطف الرجل لامرأته" أو كتاب لصبيان[2].

وكان الإقبال على السحرة والعرافين من طرف النساء والرجال على السوى، فقد لجأة المرأة إليهم من أجل عقد زوجها[3]، وتردد الرجال على السحرة والساحرات من أجل " حل من عقد على امرأته"[4].

والملاحظ هنا أن معظم المصادر التي تحدثت عن مهنة الكاهنة من عرافة وتنجيم وسحر نجد ذكر أسمائهن غير واردة ونرجح ذلك إلى تشدد ابن تومرت في بداية الدولة والتقليل من حرية المرأة لأنه حارب كل ما هو دخيل عن الإسلام ومن بينها ظاهرة الاختلاط التي كانت متفشية وشائعة في العهد المرابطي، ومع هذا تمتع المرأة بجزء ضئيل من الحرية في طبقة العامة عكس نساء الطبقة الراقية[5].

ولهذا لاحظ حسن الوزان وغيره وجود هذه الظاهرة في مجتمع المغرب الأوسط ولكن بشكل غير لافت، مثلما كان الحال في المغرب الأقصى، وذلك من خلال سرده ووصفه لأحوال ثلاث مناطق، قد طغت فيها ظاهرة الأستشفاء الروحاني، وهي منطقة وادي سينا ومنطقة الجبال بتلمسان، التي انتشر فيها الفكر الغيبي المتمثل في الجن، وهذه الأخيرة

[1] – حسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص 264.
[2] – البرزلي: المصدر السابق، ج1، ص 380.
[3]– نفسه، ج6، ص 230.
[4]– نفسه، ج1، ص 380.
[5] –إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 100.

ذكرها صاحب الاستبصار أيضا، ومنطقة قسنطينة ونساؤها المترددات على حمام السلاحف[1].

ويضع حسن الوزان علامة تعجب كبيرة حول هذا التضارب الفكري في نفس الزمان والمكان، وهذا ما يثبت على أن المغرب الأوسط كان نوعا ما بعيدا عن انتشار مثل هذه الظاهرة، لتواجدها في مناطق معينة فقط، ومع تقدم السنوات والاضطرابات السياسية وتدخل بعض المؤثرات الخارجية التي تأثر بها المجتمع، وخصوصا المرأة، وذلك بحكم التبادل الفكري والمعرفي والاحتكاك التجاري وتمازج المناطق الرعوية والوحدة السياسية والفكرية والاجتماعية والجغرافية، مع انتشار الجهل بين أوساط النساء، كلها زادت في انتشار الظاهرة في مجتمع المغرب الأوسط.

**3- ممارسة المرأة للكهانة وأسباب انتشارها في المغرب الأوسط**

إن الباحث المتفحص في ظاهرة الكهانة[2]، يجد أن كتب الفتوح تعكس لنا نظرة خاصة حول هذه الظاهرة، وتلمح للقارء على أن السحر والشعوذة متجذران في الموروث الفكري لمجتمع المغرب الأوسط، واعتماد السلطة الحاكمة وسياستها على هذا الفكر حيث مثلتها في شخص الكاهنة، التي حكمة قبيلة جراوة البترية بجبل أوراس[3].

فهذه النظرة تحتمل الصواب والخطأ فمن الممكن أن تكون الكاهنة ذات دهاء وفراسة وفطنة، مع تطلعها على علوم الأوائل من فلك وتنجيم وقيافة، التي كانت ضمن التركيبة

---

[1]- حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص 55.

[2] – **الكهانة:** إذا صار كاهنا، ورجل كاهن من قوم كهنة وكهان وحرفته الكهانة، وتكهن تكهنا بمعنى قضى له بالغيب، فهو كاهن، ويقال لها الحازي بمعنى الكاهن، والكهنة مجموعة من النساء لهن قدرة خفية خارقة، وأذهان حادة، يدعين علم الغيب، ولا تكون الكاهنة كاهنة إلا إذا كان معها شيطان تابع لها، وهناك أنواع من الكهنة فهناك كاهنات يعتمدن على فراستهن بالتنبؤ والإخبار بالغيبياتوكان البعض الآخر يعتمدن على توابعهن من الجن. ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ/): **لسان العرب**، دار صادر، ج13، بيروت، 1993، ص ص 362- 363. الزمخشري: **أساس البلاغة**، ج2، ص 149.ينظر أيضا: البرزلي: المصدر السابق، ج 6، ص221. وينظر: محمد بن حبيب (ت 245هـ): المحبر، تح: إليزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديد، بيروت، (د ت)، ص ص 389، 390.

[3]- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ص ص 37، 38.

الثقافية الفكرية لمجتمع بلاد العرب قبل الإسلام[1]، وهذا ما يوضح لناسبب اتفاق معظم كتب الفتوح على وضع شخصية الكاهنة في قالب واحد، ألا وهو السحر والشعوذة، بغض النظر إن كانت هذه الشخصية حقيقية أو خيال عربي لتبرير تصرفاته وإخفاقاته في المنطقة.

وتواجدت العرافات والمنجمات في مجتمع المغرب الأوسط واعتبرت من المهن التي امتهنتها النساء في تلك العصور بالرغم من عدم مشروعيتها من طرف عقلاء المجتمع، وظلت تحاربهم نصوص كتب الفقه والحسبة و منعت الارتياد عليهن، وهذا لما عرف عنهن من أفعال مشينة يفعلنها مع بعضهن البعض، ومع المترددات عليهن من النساء[2].

ويقال انهن ارتبطن بالشياطين السود والحمر والبيض، وادعين بقدرتهن على تحقيق الآمال ولا يستبعد حسن الوزان في الاستعانة بهن لحل المشكلات الصحية والاجتماعية والاقتصادية من قبل السلطة الحاكمة، وعلى الرغم من رفض العلماء والفقهاء وعامة الناس لهذه المهنة إلا انها ظلت متواجدة بالمجتمع المغربي والمغرب الاوسط خاصتا الذي عرف عنه الإيمان بالخرافات والغيبيات[3]، نجد على سبيل المثال تردد وتقاعس زيادة الله الثالث الأغلبي[4] عن محاربة الشيعة الاسماعيليين عندما علم من المنجمين أن نهاية ملكه تكون على أيديهم[5]، كما كان للفاطميين كتاب يعرف بالجفر وهذا الكتاب يهتم بعلم الحدثات وما يصير إليه أمرهم كله[6].

---

[1] – محمد بن عميرة: "موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، الجزائر، ع: 2، 1406هـ/ 1986م، ص ص 17– 18.

[2]– حسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص 264.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، ص 119.

[4]– **زيادة الله الثالث الأغلبي:** هو زيادة الله بن العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلبي التميمي، وهو ثالث من سمي بزيادة الله من امراء الاغالبة، ويعد الثاني عشر ممن ولوا إمارة إفريقية، وهو أخر ملوك الدولة الاغلبية توفي سنة (304هـ/ 916م). ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج3، ص 56.

[5]– القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، تونس، الجزائر، (د، ت)، ص 181.

[6]– **كتاب الجفر:** فيه علوم أهل البيت وسمي كتاب الجفر نسبة إلى جلد الثور الذي كتب عليه وهو يتضمن تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني المروية عن جعفر الصادق. ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ص 48. المراكشي: المعجب، ص 156. ينظر: أبو العباس أحمد علي البوني: المصدرالسابق، ج1، ص ص 343، 346.

ووجدت في المغرب نساء يوهمن العامة أنهن يرتبطن بصداقة مع شياطين من أنواع مختلفة، فيبتززن بذلك أموال السذج ,فقد كن يمارسن عادة شنيعة تسمى السحاق[1].

ويذكر حسن الوزان ساحرا في مدينة البطحاء[2] بتلمسان يسمى سيدي سينا[3]، فتبعه أهل البلاد، إلى درجة أن ملك الأعراب يخشاه، وأطلع حسن الوزان على كتب في السحر والكيمياء التي كان الشيخ يملكها وأسس لنفسه مكانة في المغرب كله وحتى خارج المغرب الاسلامي، والعجيب في الامر أنه كان يعلمهم اسماء الله الحسنى فقط[4].

والمرجح هنا أن سيدي سينا قد اطلع على كتاب البوني الذي خصص لأسماء الله الحسنى سبعة فصول كاملة بما يعادل أكثر من نصف الكتاب حول فضائل وبركات واسرا واوقات ذكرها...الخ وكانت النساء والرجال يأتون إليه من كل حدب وصوب.

ولطبائع الناس والمجتمعات أثر كبير في انتشار عمل السحرة والعرافات وخصوصا في أوساط النساء الجاهلات، فوصف عبد القادر بوتشيس سكان الجبال بالسذاجة وتصديقهم كل من يحمل فكرا غيبي[5]، ودليلنا على هذا ذكره صاحب الإستبصار أن في جبل قلقل[6] الخصب يوجد آثار عمائر كثيرة وبيوت محصنة، وقرى واسعةلا يسكنها الناس بتاتا، يقول عنها أهل المغرب الأوسط أن الجن أخلت تلك العمائر والبلاد من الإنس، ويرى في تلك الصحاري بالليل نيران الجن، ويسمع عزفهم وغنائهم، وكانوا كثيرا ما يختطفون الناس، وربما يفلت أحد الاشخاص من بين أيديهم فيرجع إلى أهله فيحدث بما رأى عندهم ويقال أن الجن يبدلون أولاد الإنس[7].

---

[1] – حسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص 263.

[2]– **مدينة البطحاء:** مدينة في إقليم تلمسان بناها الأفارقة في سهل فسيح ينبت القمح الكثير، نزل بها محمد ابن تومرت أثناء عودته من المشرق. ينظر: حسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص 27.

[3] –نفسه، ج2، ص 29.

[4]– حسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص ص 28، 29.

[5]– إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 112.

[6]– **جبل قلقل:** يقع في الجهة الغربية للمغرب الأوسط، ناحية بلاد مسوفة في الصحراء، وهو جبل عظيم، خصب كثير العيون والأنهار. ينظر: مجهول: الإستبصار، ص 179

[7]– مجهول: الإستبصار، ص 179.

والتجأ العامة في عهد المرابطين إلى الفكر الغيبي للتعبير عن طموحاتهم وتطلعاتهم، وتؤسس عالما خياليا تختزن فيه كل توجهاتها وتطلعاتها، حيث قال ابن خلدون " استعداد النفس لهذا الإدراك الغيبي"[1].

ونجد في عصر الموحدين ممارسات للسحر وذلك كرد فعل عن الفقر الذي تسببت فيه عدة عناصر، وهي الحالة الاقتصادية والاجتماعية والواقع السياسي، المتمثل في استبداد السلطة الحاكمة فكانت ظاهرة السحر والشعوذة والكهانة كمتنفس لترويح عن النفس والتمسك بالأمل، ويقول ابن خلدون " وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التأليف واشتهر فيها الأعلام من المتقدمين والمتأخرين، هي كما رأيت تحكم وهوى.."[2].

فكان ارتباط الفكر الغيبي دائما بالأزمة[3]، فاشتهرت المنجمات في وسط المجتمع المغربي مستغلة الوضع المتردي للأحوال الاقتصادية والصحية وكثرة الامراض والاوبئة التي نجدها قد ضربت مجتمع المغرب الأوسط على فترات ففي بجاية مثلا ضربت موجة مجاعة شديدة في سنة( 588هـ-1192م)[4]، وألحقت بالمجتمع كوارث كبيرة من وباء وامراض عجز عن تطبيبها الاطباء فعم الموتان على حد قول المراكشي، وعاودت المجاعة كرتها مرة ثانية في المجتمع البجائي سنة( 610هـ-1213م)[5].

وقد ذكر التنبكتي والغبريني على أن النصف الأول من القرن( 7هـ-13م) أصاب بجاية جفاف عظيم[6]، وهذا الجفاف يترتب عليه البلاء الكبير من قلة المواليد والزروع وتفشي الامراض الوبائية وغلاء اسعار الاقوات، وكل هذا يجعل من المجتمع يستنجد بالمنجمين والمنجمات والعرافين والعرافات لعلهم يجدون ضالتهم، ووقت جلاء بلائهم، وشفاء مرضاهم، ولم يكن البلاء مقتصرا على بجاية الموحدين فحسب بل كان لتلمسان نصيب

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ص 113.

[2] – نفسه، ص 119.

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 118.

[4] – ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب (جزءالموحدين)، ص 181.

[5] – الغبريني: عنوان الدراية، ص 135.

[6] – نفسه، ص 151. ينظر أيضا: التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الدباج، ص 320.

الأسد من هذه المجاعات ففي سنة( 688هـ– 1289م) أصاب تلمسان جفاف شديد وغلاء فاحش في أسعار الاقوات فهلك الناس بالجوع وذلك جراء حصار قد ضرب على اسوارها من سنة (698– 707هـ/ 1298– 1307م) [1].

واجتاحت المجاعة والغلاء مرة أخرى تلمسان سنة ( 842هـ/1438م)[2]، وكانت قسنطينة من ضمن مناطق المغرب الأوسط في هذا العهد قد عانت من حصار بني مرين منذ سنة (754هـ/ 1353م)[3]، ناهيك عن ضرب المجاعة المغرب برمته والمغرب الأوسط بمناطقه كلها حيث بلغ ارتفاع ملحوظ في عدد المجاعات التي ضربت المنطق.

فاستغلت العرافات ذهنية وطبائع سكان المغرب في الترويج لعملهن، حيث كان أهل عنابة متكبرون شرسون ومتعجرفون ذو سذاجة كبيرة، وذلك لأنهم يعظمون أقواما يسيرون في المدينة كالمجانين ويعتقدون أنهم من الأولياء الصالحين، ويحيطونهم بكل اعتبار وتقدير[4].

وهذه أرضية خصبة للعب بعقول نسائها ورجالها، وكان سكان ميلة شجعان لكنهم مغفلون[5]، وفي قسنطينة نجد طبيعة سكانها تغلب عليهم الشجاعة، فصناعهم مقاتلون، وهم مقتصدون في لباسهم ولكنهم متكبرون مغفلون[6]، لأن هناك بنايات عديدة قديمة خارج قسنطينة يرى منها قوس النصر، لكن عوامهم يظنون لحماقتهم أنه كان هناك قصر تسكنه الشياطين الذين طردهم المسلمون عند قدومهم إلى البلاد[7].

---

[1] – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 194. ينظر أيضا: ابن خلدون: العبر، ج7، ص ص 196، 197.

[2] – محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد الأنصاري التلمساني (ت 901هـ/ 1496م): **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تح ومر: يحي بوعزيز، (د، ط)، (د، ب، ن)، (د، ت)، ص ص 225، 226.

[3] – أحمد بن الحسن بن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/ 1408م): **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1968، ص 180.

[4] – حسن الوزان، ج2، ص ص 61–62.

[5] – نفسه، ج2، ص 60.

[6] – نفسه، ج2، ص 57.

[7] – نفسه، ج2، ص 58.

وليس هذا فحسب فيصور لنا حسن الوزان صورة واضحة للذهنية النسوية في تلك المنطقة فيقول" يوجد حمام مكون من عين ماء ساخن يتدفق بين حجار ضخمة، تعيش فيها السلاحف[1]، تعتقد النساء أنها شياطين وإذا اتفق أن أصيبت إحدى النساء بالحمى أو غيرها تقول أن سبب ذلك يرجع إلى السلاحف وللتخلص من الداء تذبح فورا دجاجة بيضاء تضعها في إناء بريشها الكامل ثم تربط حول الإناء شمعات وتحمله إلى العين حيث تتركه، وكم من الظرفاء تبعوا امرأة وهي تتوجه إلى العين حاملة معها الإناء والدجاجة وأخذوا الإناء بعد انصرافها ثم طبخوا الدجاجة وأكلوها.." [2].

وهذا دليل على استعداد المرأة في المغرب الأوسط على تصديق العرافات، وانتشار مهنتهن بكل سلاسة في أوساط النساء المغربيات والمجتمع المغربي بالرغم من كون هذه المهنة لا يستسيغها عاقل، ولكن الممهدات في تشكيل ذهنية المرأة المغربية وترسيخ الفكر الغيبي كثيرة جدا، فها هو ذا المهدي بن تومرت[3] مؤسس دولة الموحدين، قد استغل ذهنية سكان المغرب في الترويج لدعوته والتمهيد لتكوين دولته حيث نجده اتفق مع عبد الله الونشريسي[4] بأن يتظاهر على أنه رجل أمي عاجز وأبله، ويجب عليه أن يستر ما عنده من علوم وفصاحة، حتى يحين وقت الدعوة فيظهر حقيقته دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة ويستميل به قلوب من لم يدخل في طاعته[5].

ونجح المهدي فعلا وصدق الناس حيلته في قوله" فانقاد له كل صعب القياد عجبوا من حاله وحفظه القرآن"[6]، وأوهم العامة بوجود بئر تبعث منه أصوات ملائكة شهدت بصدق

---

[1] – حسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص 59.

[2] – نفسه، ج2، ص 59.

[3] – **المهدي بن تومرت:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، وهو من جبل السوس. ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص ص 45– 46 وما بعدها

[4] – الونشريسي: من تهذب وقرأ الفقه وكان جميلا فصيحا في لغة العرب وأهل المغرب، والونشريسي من ونشريس وهي بلدة بافريقية من أعمال بجاية . ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 48. ينظر أيضا: المراكشي: المعجب، ص 157.

[5] – ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 48.

[6] – نفسه، ج5، ص 52.

معجزة الونشريسي، ولما قتل هذا الأخير في إحدى المعارك مع المرابطين دفنه الخليفة عبد المؤمن بن علي سرا، وزعم أن الملائكة رفعته، فصدقه الناس[1].

واعتقد الناس بأن ابن تومرت إمام لا يأكل ولا يشرب[2] وهذا دليل على سذاجة عامة أهل المغرب الفكرية والذهنية، وخصوصا عند تدهور حال الدولة في أخر ايامها فيحدث نوع من التشويش الذهني عند عوام الناس، لأنه يكون عاجز عن محاربة ظروفه الاجتماعية والاقتصادية المحيطة به[3].

ووصل بابن تومرت الحال إلى حد زعمه تكليم الموتى حيث أخذ قوما من اتباعه فدفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم: إذا سألتكم فقولوا وجدنا ما وعد ربنا من مضاعفات الثواب على جهاد لمتونة، لكنه كان بعد ذلك يدفنهم أحياء في قبورهم[4]. وامتدت ظاهرة السحر والشعوذة من عصر المرابطين إلى عصر الموحدين ودليلي على ذلك هو أن هناك ساحر ماهر يدعى أبو كسية كان يقيم بجبال وجكسة في بلاد غمارة وله نفوذ واسع على الناس في زمن المرابطين، فستمر تأثيره ونفوذه إلى غاية زمن الموحدين وهذا ما ذكره صاحب الاستبصار الذي عاصر الموحدين في قوله" لبنيه اليوم وعقبه في تلك الناحية مزية وحظوظ على من سواهم"[5].

كما انتشرت في أوساط الناس في المغرب بعض العادات المعبرة عن التفاؤل والتطير ومثل ذلك كسر قدح مرة واحدة كل سنة على سبيل التفاؤل وهي عادة ظلت سائدة إلى وقت قريب[6]، وكان السحر عند أهل غمارة مستفيض مشهور[7]، وهذا ما نستدل به على أن هذه الشهرة المستفيضة قد بلغت بلاد المغرب الأوسط وخصوصا المناطق المتاخمة لمنطقة

---

[1] – النويري: المصدر السابق، ج24، ص ص ص 248– 285، 288.

[2] – البيذق: أخبار المهدي، ص 22.

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع– الذهنيات– الأولياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص 113.

[4] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، هامش ص 112.

[5] – مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 192.

[6] – بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 113.

[7] – مجهول: الاستبصار، ص 192.

المغرب الاقصى في عهد دولتين قد وحدتا المغرب الإسلامي في جميع مناحه واذابت الحدود الوهمية جغرافية كانتأو فكرية اجتماعيةأو اقتصادية على حد قول الدكتور علي عشي، وتعتبر هذه الظواهر من عرافة وسحر وتفاؤل وتطير قد سادة في المغرب والمشرق والأندلس، وهذا ما يؤكد مقولة سيولة التاريخ الإسلامي على حد قول الدكتور بوتشيش[1].

## المبحث الثاني: جهود المرأة المتصوفة بين إصلاح المجتمع وأزمات المجتمع الروحية

إن التصوف[2] كفكرة ومضمون، نشأ مع نشأة الإنسان الذي كان يتطلع إلى معرفة الغيب واستشراف عالم ما وراء الطبيعة، بل وإلى الاتصال بهذا العالم عن طريق الوسيلة الصحيحة لهذا الاتصال، وإذا نظرنا إلى ما كان يركن إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من العزلة والخلوة والتأمل، ووازنا بين هذه الحالة وأحوال الزهاد والعباد الذين ظهروا فيما بعد، وعرفوا باسم الصوفية، تبين لنا وجه الشبه بينهم .

وكان للمتصوفات عدة أدوار يؤثرن من خلالها على ذهنية المجتمع، ويتأثرن بدورهن منه.

### 1-الدور الإصلاحي للمرأة

يعد سبب ظهور التصوف كظاهرة عموما، هو ظهور المسائل والنوازل التي حلت بالمجتمع، وظهر بصورة ملموسة في أواخر القرن الثاني للهجرة، واستمر في الانتشار والتأثير في المجتمع [3].

وكان من أسباب ظهور التصوف النسائي، هو وجود اختلال في التوازن الاقتصادي الاجتماعي، حيث ظهرت الطبقية الاجتماعية بتفشي الترف والبذخ جراء الثراء عند فئة معينة من الناس، كالسلطة الحاكمة والتجار وأعيان كل منطقة؛ أما عامة الناس ففيهم الفئة

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 114

[2]– **التصوف:** وردت عدة تعريفات واشتقاقات لغوية لكلمة التصوف فورد عند ابن خلدون أن أصل الكلمة من الصوف، وسموا بالصوفية للبسهم الصوف، ويقال سمو صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص 462. ينظر ايضا: ابن منظور: **لسان العرب، مادة صوف**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، (د، س)، مج8، ص 306. ينظر أيضا: السهر وردي: **عوارف المعارف**، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1966، ص 84.

[3] – منال عبد المنعم جاد الله: **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، (د، ط)، الأسكندرية، 1997، ص 120 .121

الغالبة فقراء، وشوهد بوضوح في العديد من حواضر المغرب الأوسط إقبال الناس على الدنيا والانغماس في ملذاتها [1]، فنشأ نشاط معاكس تماما لهذه الظاهرة وهو التصوف[2]، ونجد نشاطا كبيرا للمتصوفات في طبنة[3] والمسيلة وقلعة بني حماد[4] وورجلان[5] .

ولكن استمرار هذه الظاهرة في نشاطاتها الاجتماعية الإصلاحية، لوحظ أثرها على مجتمع المغرب الأوسط حتى في زمن الموحدين وما بعده بقوة أكبر، حيث كانت حاضرة بجاية وتلمسان ممن احتضنت أكبر عدد من المتصوفين والمتصوفات، وذلك لكونهما طرق عبور تجارية وثقافية فكرية، فكان العامل الحضاري له التأثير الأكبر على المتصوفات ونشاطهن، وهذا ما يؤدي إلى دخول مجموعة من سلوكات وأنماط من المعاملات وبعض الأفكار التي انتقلت مع الوافدين إلى تلك الحواضر من طلبة العلم والرزق.

ولهذا ظهرت المتصوفات اللواتي جئن بأفكارهن الإصلاحية الداعية إلى رجوع النساء إلى البساطة في العيش والزهد في الدنيا وملذاتها من مال وشهوات. وانتهجت المتصوفات طريقا إلى كيفية انتزاع حب الدنيا من قلب الإنسان[6] إلى السمو الروحاني للإنسان، والاستقرار النفسي للذات البشرية بالتخلص من الخطايا والمعاصي للوصول إلى الأخلاق الفاضلة، وكسب السعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة[7].

---

[1] – ابن خلدون: المقدمة، ص463.

[2]– نفسه، ص 462.

[3] – **طبنة:** وهي مدينة الزاب، فتحها موسى بن نصير، تتمتع بكثرة المياه والزروع. ينظر: ياقوة الحموي: المصدر السابق، ج4، 21. ينظر أيضا: ابن حوقل: المصدر السابق 85. ينظر أيضا: الادريسي: المصدر السابق، 263.

[4] – **قلعة بني حماد:** أسسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، إلى الشمال من مدينة المسيلة سنة 398هـ/ 1007-1008م). ينظر: الإدريسي(ت560هـ/1165م): نزهة المشتاق، ص 109. ينظر أيضا: الغبريني: عنوان الدراية، ص 140.

[5] –**ورجلان:** تزهو وركلا بجامعها الكبير الذي كان مقرا للعلم والتشاور، ومولدا للعلماء والفقهاء، ولعب دورا كبيرا خلال العهد الإباضي الموحدي الذي كان ذا صلة بالأندلس من خلال تجارة الرقيق والذهب المجلوبين من السودان الغربي، ومن بين علمائها الفقيه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (500- 570هـ/ 1106- 1174م). انظر: أبا العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(670هـ/ 1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب،** تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج 2، ص 315. ينظر: الملحق رقم 6.

[6]– الغبريني: **عنوان الدراية،** ص ص ص80، 75، 60.

[7] – الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص 100.

ومن بين المتصوفات نذكر المتصوفة عائشة بنت الفقيه أحمد بن الحسن المديوني[1]التي كانت من الصالحات، ألفت مجموعة من الأدعية اختارتها[2]، ولها قوة في تفسير الرؤيا[3]، مما سمح لها بالتأثير على النساء اللائي يقصدنها، فتعظهن وترشدهن إلى طريق الصلاح والخلاص .

ونجد الصالحة فاطمة بنت العالم التاجر أبي زيد النجار وزوجة أبي عبد الله محمد بن مرزوق الجد الأكبر الخطيب[4]، والمتصوفة عائشة بنت الفقيه الأكحل، من خيار المثقفات[5]وبنت أبي عبد الله الكتاني كانت من الصالحات. زاهدة، ورعة، ملازمة للعبادة والصالحة زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي، أحد الصلحاء ومما عرف عن زينب أنها من بيت علم وجاه[6].

**1- الدور العلاجي للمرأة**

كان من أسباب ظهور المرأة المتصوفة المعالجة هو الإلحاح الاجتماعي الشديد الذي يقوده العرف والشرع، وذلك من خلال رفض بعض المتصوفة من الرجال علاج النساء المريضات مثل أبي مدين شعيب الأنصاري[7] وغيره، وممن عالجوهن كانوا يتلمسون صدور

---

[1] – **أحمد بن الحسن المديوني:** هو جد الإمام ابن مرزوق لأمه، وهو قاضي تلمسان، كان فقيها ومحدثا صالحا وقاضيا عادلا، وكان معمرا . توفي سنة ثمان وستين وسبعمائة للهجرة. ينظر: أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص 105.

[2] – أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الشريف المديوني التلمساني (ابن مريم): **المصدر السابق،** ص 212. ينظر أيضا: أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص140.

[3] – ابن مريم: المصدر السابق، ص ص 212، 213.

[4] – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص ص 8، 9. ولإطلاع أكثر ينظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص355.

[5] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص355.

[6]–ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص149.

[7] – **أبو مدين شعيب الأنصاري:** هو ولي صالح أصله من نواحي اشبيلية بالأندلس، سكن مدينة بجاية ثم استقر في مدينة تلمسان، واتبع طريق الزهد والتصوف، وتوفي بقرية العباد سنة ( 594هـ/1198م).ينظر: أبو مدين شعيب: **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان،** تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 1974، ص ص 24، 23.

النساء وبطونهن، ويتفلون عليهن، وهذا ما شوهد من طرف بعض الفقهاء المجاورين للمتصوف أبي يعزى يلنور [1].

فصور لنا عبد الكريم التميمي جلسات علاجية لنساء عليلات في حضور بعض الفقهاء، حيث قال: " وقالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى، نشاهده يلمس صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن فيبرأن، ونحن نرى أن لمسهن حرام، فإن نحن تكلمنا في هذا هلكنا، وإن سكتنا تحيرنا..."[2]، فلمس النساء الأجنبيات فيه شبهة ولو كن عليلات.

ولهذا كان لزاما على النساء المتصوفات أن يلبسن لباس التطبيب الروحاني[3]، وإن فشل كل من الطبيبة والكهانة في علاج بعض الأمراض النفسية والبدنية المستعصية آنذاك كانبسبب انتشار الأمراض والأوبئة القاتلة، التي عمت كامل أرجاء المدن بدون استثناء، ومست جميع أفراد المجتمع المغربي عوامه وأشرافه، والتي كانت لا تعالج وخاصة في البوادي[4] إلا بما توارثه الأبناء عن آبائهم وأجدادهم من أنواع تطبيب لا فائدة تذكر منه. فكان لزاما عليهم في هذه الحالة أن يتوجه المرضى والموبوؤون إلى الوليات والأولياء الصالحين[5] أمواتا كانوا أو أحياء، ليستشفوا ببركاتهم وبدعواتهم أو تراب قبورهم حفاظا منهم على سلامة أجسامهم وأرواحهم[6].

وفي هذا الصدد تقدم لنا كتب سير الصالحين صورا كثيرة على هذا النوع، يظهر من خلالها الولي بمثابة "الطبيب العام" لكل أنواع الأمراض من جروح وقروح والأوبئة والإصابات

---

[1] – **أبو يعزى يلنور: ولي**صالح، ولد سنة (488هـ/ 1095م)بأغمات، جنوب مراكش، عاش أكثر من مائة سنة، يتكلم البربرية أكثر من أي لهجة أخرى. ينظر: ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 214، 213.

[2] – أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي (603هـ أو 604هـ/ 1206 أو 1207 م ): **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تح: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، مطبعة طوب بريس، ط1، الرباط، 2002، القسم2، ص 37. وينظر: ابن الزيات (التادلي ): التشوف، ص323. وينظر أيضا: المرجع السابق، ج2، ص390.

[3] – نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص 402.

[4] – ابن رشد: **الكليات في الطب**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2008، ص ص 237، 238.

[5] – ابن الزيات: التشوف، ص ص 119، 202.

[6] – ابن قنفذ: انس الفقير وعز الحقير، ص 31.

مهما اختلفت أنواعها، غير أنه ونظرا لكثرة الأولياء وتنوع الأمراض، نشأ نوع من التخصص في قدرات الأولياء على الإتيان بكرامات من أنواع معينة[1].

ولم يقتصر الولي على إبراء العاهات الظاهرية، وإنما تعداها إلى ممارسة وظيفة الطبالنفسي(الروحاني)، في مجتمع عانى أهله كثيرا من الاضطراب السياسي من حروب وغيرها، واضطرابات طبيعية مثل الأمراض والأوبئة [2].

ولا عجب في أن الولي كان يتمتع بقدرة الخوارق على التحكم في جميع القوى الظاهرية، والولي من هذا المنظور لم تكن ثقة الناس به وبوصفاته الطبية غير ذي عبرة. إذ غالبا ما كان المريض يعقد النية مسبقا على أنه سيجد الشفاء عند الوليأو في ضريحه فيكون الشفاء[3].

وأورد ابن الزيات فقال" ... يابني لعل الناس إنما ينتفعون بحسن نياتهم، فكيف ينال العجب أحدا؟" [4]، وربما وجده فعلا مثل ضريح لالة رؤيا التي كانت تشفي داء الصرع عند الأطفال[5]، ولكن لكونها ذات ارتباط وثيق بالشعور الباطني لدى الإنسان، ذلك الشعور الذي ينمو كلما انعدمت الحيلة أمام المصاب أو الأهوال ... وهذا يعني أن المغربي هو الذي جعل من الولية طبيبة ومن الولي طبيبا، وجعل من أضرحتهم مارستانا، ولهذا لم يقتصر التصوف والزهد على الرجال أنفسهم، بل تعدى ذلك إلى بروز فئة من النساء المتصوفات.

وإن تفسير الرؤيا جانب مؤثر على نساء المغرب الأوسط، ومن خلال تفسير الرؤيا تتشكل بيئة خصبة وممهدة لتأثير المتصوفات على النساء، فيعظن ويوجهن ويعالجن حالات نفسية عديدة، مثل الولية الصالحة عائشة بنت الفقيه أحمد بن الحسن المديوني التي كانت

---

[1] – ابن الزيات: التشوف، ص 421.

[2] – ابن مرزوق المناقب المرزوقية، ص 248.

[3] – ابن الزيات: التشوف، ص 202.

[4] – نفسه، ص 202.

[5] – نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص ص 359، 358.

تفسر الرؤيا، وهذه المهارة اكتسبتها من كثرة مطالعة كتب الفن[1]، فكانت تبث أفكارها الداعية للزهد والرجوع إلى تعاليم الإسلام ببساطتها[2].

**2- الدور الثقافي للمتصوفة**

اعتبر انتشار التصوف كحد فاصل عن تأثير المعتقدات الوثنية على البربر، بالإضافة إلى ما شهده النسيج الاجتماعي من انحراف عن العقيدة الإسلامية[3]، وإتباع المرأة بالمغرب الأوسط طريق التصوف وتياراته ومناهجه، وهذا من تأثير مخرجات البيوتات العلمية، حيث يذكر لنا صاحب المناقب مجموعة من النساء الصالحات اللائي كن زوجات لوالد ابن مرزوق الخطيب، واعتمد في ذلك على المصاهرة دون ذكر أسمائهن[4].

فكان تأثير المتصوفة أو بمعنى أصح البيوتات على السياسة العامة للبلاد واضحا من خلال انتقال السلطة الحاكمة في دولة الموحدين إلى سياسة اللين ومحاولات الاحتواء، لأن ولاء المتصوفة للموحدين يعني بالضرورة ولاء العامة من الشعب، وهذا يؤدي إلى استقرار الوضع العام للدولة[5]، فالاضطرابات السياسية تؤدي إلى زيادة في انتشار التصوف، لأن الناس يدخل إلى قلوبهم اليأس ويعم الخوف والقلق، فيرتمون بين ذراعي المتصوفة ابتغاء السكينة والتخلص من الخوف، وبعث الأمل في نفوسهم[6].

---

[1] – ابن مريم: المصدر السابق، ص 212.

[2]– عبد المنعم القاسمي الحسني: **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط1، 2006، ص25.

[3]– الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص46.

[4]– ابن مرزوق: المصدر السابق، ص298.

[5] – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 53.

[6] – أبو عبد الرحمن السلمي: **الطبقات الصوفية**، تح: أحمد الشرباصي، ط2، مصر، 1998، ص 9.

## المبحث الثالث: دور المتصوفات في نشر الثقافة والعلوم

كانت النساء المتصوفات يجالسن الفقهاء والعلماء، ويرحلن في طلب العلم مثل مؤمنة التلمسانية التي سافرت إلى فاس، وجالست كبار الفقهاء، ووصلت إلى درجة مناقشتهم في عدة مسائل فقهية وشرعية[1].

روى لنا ابن قنفذ ما شاهده منها فقال: "ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية، وتبركت بها ومازالت على ماتقرر عندي، تخصني بالدعاء في ظهر الغيب، وكان قاضي الجماعة بفاس، أبو عبد الله المقري رحمه الله، يزورها ويسعى في قضاء حوائجها، وكانت على زهد وتقشف وعبادة وورع لا تخالط أحدا، وكان الشيخ الصالح علي بن عبد الوهاب يكتب لها لوحها يبادر به"[2]، ونزول جماعة من العجائز عند ابن مرزوق، فقام بضيافتهن وجالسهن وتحدث إليهن، وكن نساء صالحات[3]، والملاحظ على أن الأغلب كانت هذه الجلسات تدور مناقشاتها حول ما تعلمنه من علوم دينية ومعارف علمية، ومناقشة بعض القضايا الفقهية .

ونظرا للوحدة العقدية بين المغرب والمشرق، كان التواصل بينهم عن طريق الحج أو الرحلات العلمية، فدخلت مصنفات صوفية إلى المغرب الأوسط أثرت على أفكار المتصوفات وعلى الفكر العام لعامة الشعب، نذكر منها كتاب "قوت القلوب"لأبي طالب محمد بن علي المكي ( ت 3هـ/ 9هـ)، وكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ/ 1111م)، وكتاب الرعاية للحارث بن أسد المحاسبي(ت 254هـ/ 895م)[4].

وكان الفقهاء ينظرون إلى المرأة الصوفية بحذر واحتراز فيما يخص مجالس النساء وخروجها، وشهادة النساء التي تكون من خلال روايتين، ويتكون من خلالها الحكم على

---

[1] – ابن قنفذ: أنس الفقير، ص ص 81، 80.

[2] – نفسه، ص 80.

[3] – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص156.

[4] – حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون**، مؤسسة التاريخ العربي، (د، ط)، لبنان، (د، س، ن)، ج2، ص ص 907، 908.

بعض القضايا[1] مما عزز نظرة الشك من طرف المتصوفة، ومع هذا، نالت المرأة الصوفية تقديرا وسط الحقل الصوفي، لأنها كانت مصدر ثقة المتصوفة حتى يأخذوا روايات الأخبار عنها.

وكانت النساء المتصوفات يمثلن قدوة لمثيلاتهن من النساء، فكن يعملن ويكسبن قوت يومهن من عرق جبينهن، وذلك لتهذيب النفس والابتعاد عن التواكل، نذكر منهن زوجة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق، والتي كانت من الصالحات والغنيات وهذا ما ذكره ابن مرزوق حيث قال:أخبرني شيخها أبو العباس بن القطان أنها كانت ملازمة للعبادة مع زوجها مقتصرة على ما يقتصر عليه من القوت، متورعة على أكل طعام أبيها مباعدة لأهلها[2].

وعملت المؤمنة التلمسانية بغزل يديها[3]، والصالحة أم البنين جدة الفقيه أحمد بن أحمد البرزنسي المعروف بزروق الذي اهتم بطلب العلم، عمل بالتصوف والتوحيد، واشتغل في صناعة الخرز، كفلته أم البنين وكان لها الدور الكبير في تكوين حفيدها[4].

وورد في فتي بعض فقهاء الدولة الزيانية كالعقباني بعض الأفعال التي كانت تقوم بها النسوة حيث قال " قلت وأما ما يقع في بلدنا ووطننا من اجتماعهن على احتفال أو تزيين، فيحلقن دائرة على رجل غير محرم يغنيهن ويطربهن، فمحرم اتفاقا، أعاذنا الله مما يردي فاعله في النار"[5].

وكان لظاهرة المصاهرة بين البيوتات الصوفية ما زاد في ترسيخ هذا النوع من الظواهر، وعدم تغيير جو التعبد والورع والزهد الذي كانت تعيشه في بيت والدها، وهذا ما زاد

---

[1] –البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص62.

[2] – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 157.

[3] – ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 80.

[4] – عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص63.

[5] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (ت 871هـ/1467م): **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، ص 77، في: EXTRAIT DU BULLETIN. ORIENTALE DE L INSTITUT FRANçAIS DE DAMAS TOME XIX; 1967

من عددهن وتشبثهن بالتصوف كمنهج في الحياة، ونهج للنساء من العامة والخاصة، وتمسكت بمنظومتها الصوفية، والانتماء الروحي إلى الطريقة الصوفية التي عاشت وترعرعت عليها في بيت والدها[1]، أمثال الصالحة فاطمة بنت العالم أبي عبد لله محمد بن عبد العزيز، حفيدة العالم ابن صاحب الصلاة، وهي ممن أنجبتها البيوتات التلمسانية[2]، فعاشت البنت المتصوفة نفس الجو الروحاني الذي تركته عند أبيها، حيث نجد في مدينة تلمسان مصاهرة بيت بني النجار لبيت المرازقة، وبيت ابن صاحب الصلاة لبيت بني العزيز، وفي مدينة قسنطينة نجد مصاهرة بيت يعقوب بن يوسف الملاري لبيت ابن قنفذ[3].

ومن هنا أثرت البيوتات الصوفية على الحركة الصوفية من خلال كونها راعية وحافظة للطريقة الصوفية الخاصة بأسرتها، فكان ثبات الوضع الروحاني للمتصوفة يعزز ميولها في توطيد روابط الدم، وخصوصا بين البيوتات التي تحمل نفس الطريقة مثل الطريقة المدينية والقادرية[4] والشاذلية[5]، فتكون بذلك عصبية قبلية على حد تعبير الطاهر بونابي[6].

وبالرغم من الثقافة العالية لمتصوفات المغرب الأوسط، وتأثيرهن على عامة الناس وخواصهم، إلا أننا نلاحظ عدم وجود ولو مدرسة واحدة تحمل اسم متصوفة، بالرغم من أنهن مارسن عملية التدريس، ونهج ما تركه متصوفون رجال كعبد القادر الجيلاني وأبي الحسن

---

[1] – الطاهر بونابي: " ظاهرة التصوف النسائي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، **مجلة البحوث التاريخية**، المسيلة، الجزائر، ع: 1، مج: 1، 21مارس2017، ص 145.

[2] – ابن مرزوق: المناقب، ص8.

[3] – ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 50. ينظر أيضا: الطاهر بونابي: ظاهرة التصوف النسائي، ص 145.

[4] – **القادرية:** وهي طريقة من الطرق الصوفية في المغرب الأوسط، وهي أقدم الطرق الصوفية ظهورا، تأسست على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني نسبة إلى جيلان من بلاد فارس التي ولد بها سنة (470 هـ/ 1077م)، ألف عبد القادر الجيلاني عدة تآليف، منها: الفتح الرباني والغنيمة لطالبي الحق وغيرهما. ينظر: صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، (د، ط)، لبنان، بيروت، 2002، ج1، ص 143.

[5]– **الشاذلية:** طريقة من الطرق الصوفية، يعود تاريخ تأسيسها إلى النصف الأول من القرن (7هـ/ 13م)، مؤسسها الشيخ الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، المولود ببلدة غمارة بالمغرب الأقصى سنة (593هـ/ 1819م)، ومنه وصل صيتها ومريدوها إلى المغرب الأوسط. ينظر: صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ج1، ص 149

[6] – الطاهر بونابي: ظاهرة التصوف النسائي، ص 145.

الشاذلي وأبي مدين شعيب وغيرهم، وهذا راجع إلى أن من درسن وحضرن دروس المتصوفات كن من النساء عموما.

وكان اسم المرأة في ثقافة المغرب الأوسط عيبا ذكره ولو كانت ولية صالحة، فنظرة المجتمع للمتصوفات من وجهة النظر الفيسيولوجية والسيكولوجية لها نفس الممنوعات والمحظورات التي نص عليها الدين والعرف، ناهيك عن التعتيم التام في المصادر التاريخية عن ذكر صلتها بمعلّم أخذت عنه العلم، أو تلميذ تتلمذ عليها، عكس الحال مع المتصوفين الرجال، فلم تتمكن من تكوين مدرسة أو طريقة خاصة بها[1].

وعن الأثر الثقافي المكتوب، لا نجد أثرا موثقا مكتوبا لمتصوفة من صوفيات المغرب الأوسط، إلا مدونة الصالحة عائشة بنت الفقيه أحمد بن الحسن التي نظمت كتاب الأدعية الصوفية[2].

والمرجح هنا أن النساء المتصوفات لم تكن لهن بنية فكرية وسلوكية مستقلة خاصة بالتصوف النسائي، وذلك لتأثير الرجل الصوفي الذي كان أبا أو أخا أو زوجا[3] .

ومن خلال هذا انبثقت ظاهرة التبرك على أضرحة الوليات الصالحات، ومنه شاعت زيارة الأضرحة، في مجتمع المغرب الإسلامي، حيث تقوم بها النسوة على اختلاف طبقاتهن الاجتماعية التي تعتقد بمقدرة الولية الصالحة أو الولي الصالح على تحقيق طلباتها، واقتداء بالمثل القائل "زوروا تَنوروا"، فانتشرت صفة التبرك بالضريح[4]، ونجد على سبيل المثال بتلمسان زيارة النسوة لسيدنا أبي مدين، ومن معه في عباد تلمسان.[5]

وتحدث الكتاني بأن لزيارة الصالحين فائدة كبيرة، فقال: " إذا ذكر الصالحون، نزلت الرحمة، وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم، فلا شيء أنفع للقلوب والنفس من سماع أحوالهم

[1] – عزة جلال: "سيرة المتصوفات في التاريخ"، **جمعية دراسات المرأة والحضارة**، ع: 2، القاهرة، يونيو 2001، ص 84.

[2] – ابن مريم: البستان، ص 212. وينظر أيضا: أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ج2، ص 182.

[3] – الطاهر بونابي: ظاهرة التصوف النسائي، ص146.

[4] – نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص260.

[5] – ابن مرزوق: المسند، ص163.

ومطالعة أخبارهم[1]، وزيارة قبور الأولياء ترياق نافع للقلوب، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم".[2]

وذكر في الأثر أن امرأة شريفة قصدت أحد الأولياء، فشكت إليه حالها وحال بناتها، فقدم لها المال الذي كان ينوي الحج به[3].

ونجد الولية الصالحة لالة مغنية بضواحي مدينة فاس، تقصد الفتيات العوانس ضريحها لتيسير تزويجهن، أو النساء اللواتي لا تلدن (العاقر)[4]، ونفس الظاهرة موجودة بالمغرب الأوسط، ففي قمة جبل بتلمسان ترقد لالة سيتي داخل ضريحها، الذي تزوره الفتيات اعتقادا منهن أن زيارة الضريح تساعد على زواج من لم تجد زوجا بعد، وتفرض الزيارة على الفتاة العانس إظهار بعض من التضرع بعد عقد نية صافية لصاحبة الضريح[5].

ويلتجئ الناس بكثرة الخاصة منهم والعامة، على مسجد القرآن بتلمسان لوجود ضريح الصالحة العابدة السيدة غريبة للتبرك والاستشفاء بتراب قبرها، ونذكر أيضا الصالحة لالة رؤيا التي كان لها كرامات، فيروى في الأثر على أنها تمتلك قوى لا تخضع للقوانين الطبيعية، فوصفوها بأنها خارقة للعادة، ومن بينها قدرتها على شفاء المرضى خصوصا داء الصرع الذي كان منتشرا في أوساط الأطفال[6]، وهذا ما كرس فكرة التبرك بضريحها لشفاء أطفالهم، وغيرها الكثير من الكرامات التي لم تذكرها المصادر، ولكن تنتشر بين أوساط الناس، وهو قدرتها على التنبؤ بالمستقبل[7].

---

[1]- الكتاني: المصدر السابق، ص13.

[2]- نفسه، ص15.

[3]- أبو عبد الله محمد بن علي الصباغ القلعي (عاش في ق: 10هـ/ 16م): **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشيدي النسب والدار**، ورقة 26أ- 26ب، رقم 1707 و1708، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، 114 ورقة.

[4] – نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص266.

[5] – نفسه، ج1، ص265-266.

[6] – جمال الدين بوقلي حسن: **ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية وفي الواقع**، منشورات الوطنية، (د، ط)، الجزائر، 1997، ص ص 5، 6.

[7]- برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص 177.

ومن هنا تستمد المتصوفات نظرة الهيبة التي ترتكز تماما على نوع الكرامات التي حظين بها، فكن كما ذكرنا مستجابة الدعاء في حياتهن وبعد مماتهن، ويذكر في الأثر أيضا كرامة صعود النور من أضرحة البعض منهن كدلالة على الطهارة والصلاح.

وهنا نجد نوعا من التأثير النفسي على المجتمع من قبل المتصوفات في حياتهن، ويزداد هذا التأثير بعد مماتهن، لأن المتخيل يلعب دورا بارزا من خلال المرويات الشفوية، فتزداد رسوخها في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط، ويكون لها مرونة كبيرة في تطويع مريديها لتعليمهم وتربيتهم الروحية، إلى جانب تقديم دور بارز اجتماعيا وسياسيا أحيانا.

**صفوة القول:**

ومع كل هذا التفاعل بين المتصوفات من النساء والمجتمع، والنتائج المقبولة لهن في أوساط المجتمع، إلا أننا لم نعثر على مدرسة صوفية نسائية (طريقة) واحدة لا في المغرب الأوسط ولا حتى في المغرب الإسلامي كله على غرار ما تركه متصوفون رجال كعبد القادر الجيلاني وأبي الحسن الشاذلي وغيرهما.

وكانت جل الأخبار عن المتصوفات حول شخص المتصوفة دون ذكر صلتها بمعلّم أخذت عنه العلم أو تلميذ تتلمذ على يديها، عكس الحال مع المتصوفين الرجال. فنعتقد أن معظم من تتلمذ عند المتصوفات هن في الغالب الأعم من النساء، وهو ما يحول دون تشكيل مدرسة صوفية نسائية.

إن ظاهرة امتهان المرأة لمهنة التكهن والسحر والشعوذة كانت تنشط عبر تاريخ المغرب، بصفة خاصة في الفترات المضطربة، كالأزمات السياسية والأوبئة والمجاعات، أي في الفترات التي تتعرض فيها المجتمعات لهزات عنيفة وتشوّش في الأفكار والمعتقدات، واستبداد الخوف من الموت، نجدها في المغرب الأوسط لم تظهر بشكل كبير، ودليلنا في هذا هو حسن الوزان حيث يظهر لنا صورة واضحة على أن هذه الظاهرة لم تتفش في مجتمع المغرب الأوسط مثلما كان الحال في المغرب الأقصى، وذلك من خلال سرده ووصفه لأحوال مدن ومناطق المغرب الأوسط، فذكر أربع مناطق فقط قد ظهرت فيها هذه

الظاهرة، وهي منطقة سينا ومنطقة الجبال التي انتشر فيها الفكر الغيبي المتمثل في الجن. وهذه الأخيرة ذكرها صاحب الاستبصار أيضا.

إضافة إلى منطقة قسنطينة ونسائها المترددات على حمام السلاحف. وهنا نلاحظ المفارقة، حيث نجد من يستخف بهؤلاء النساء ويضع حسن الوزان علامة تعجب كبيرة حول هذا التضارب الفكري في نفس الزمان والمكان.

وهذا يدل على أن المغرب الأوسط كان نوعا ما بعيدا عن انتشار مثل هذه الظاهرة، اللهم إلا بعض المؤثرات الخارجية التي تأثر بها المجتمع وخصوصا نساؤه، وذلك بحكم التبادل الفكري المعرفي والاحتكاك التجاري وتمازج المناطق الرعوية والوحدة السياسية والفكرية والاجتماعية والجغرافية. فكان جانب التأثير أكبر من جانب التأثر لدى نساء المنطقة.

**خاتمة الباب الثاني:**

استطاعت المرأة نيل نصيب لا بأس به من التعليم في ظل تحكم السلطتين الدينية والسياسية في هذا الأمر، وكان هناك اختلاف واضح بين المرأة الحضرية والبدوية في ميدان التعليم. فالنساء الحضريات احتككن بالعلوم المختلفة، فتأثرن وأثرن على المجتمع الذي ييشن فيه.

فبرزت عدة عالمات كن نتاج بيوتات العلم الخاصة. ومن هنا انطلق التكوين الثقافية الفكري لنساء المغرب الأوسط، فلعبت المرأة دور التعليم، وكان للمؤدبات دور فعال في صناعة إنسان المغرب الأوسط.

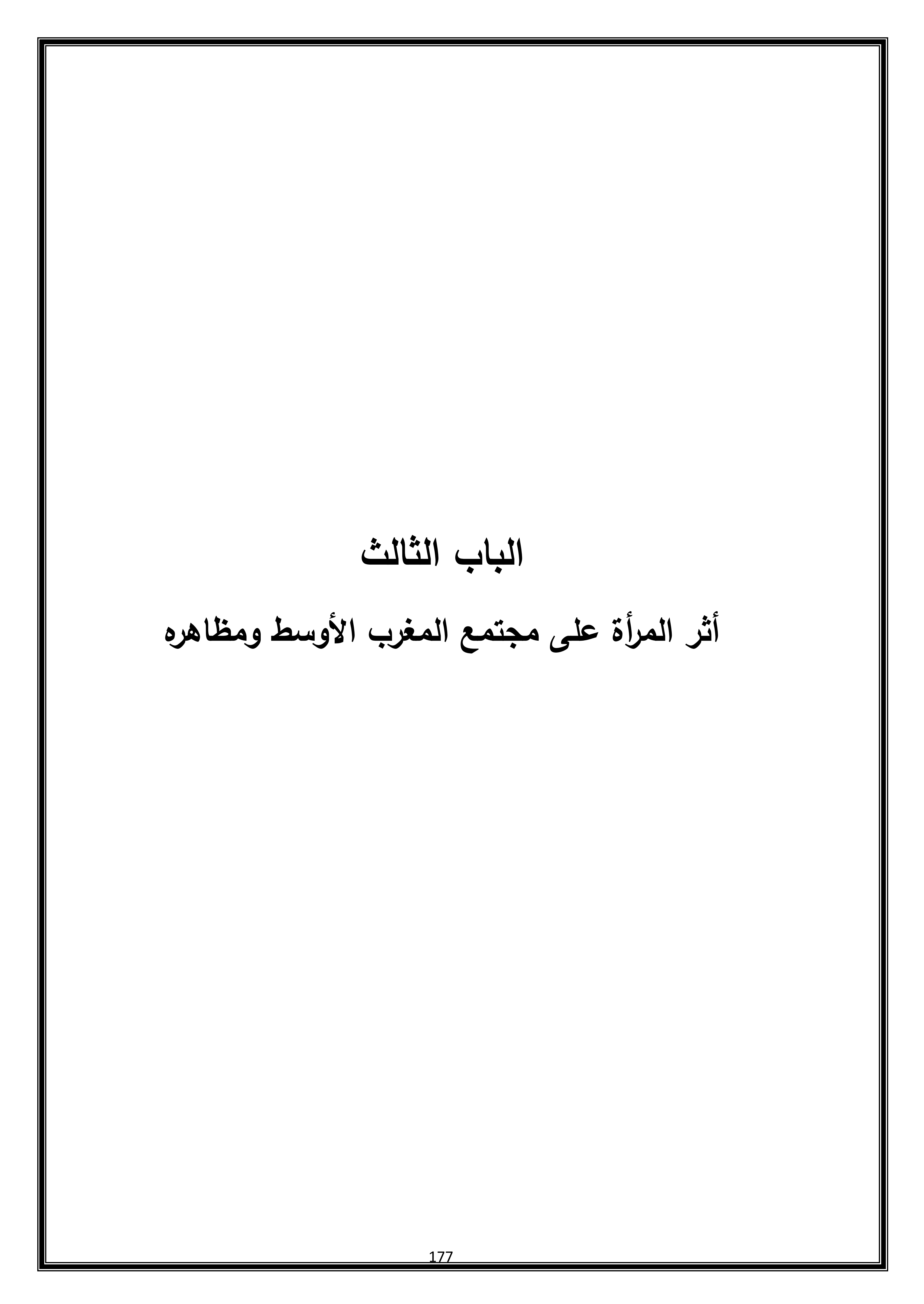
وللرحلة العلمية الأثر الأكبر في استطلاعها على العلوم الأخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

فأنتج تعليم المرأة طبيبات يكشفن على النساء دون حرج، وتعلمت الطبيبات داخل بيوت الأطباء أكثر من المرافق الأخرى. ونلاحظ انتشار الطب التقليدي أكبر، وتأثيره أعمق على نساء المغرب الأوسط فتأثرن بخبرات الأندلسيات واليهوديات وغيرهن ممن توافدن على المغرب الأوسط، وذلك في معالجة الأمراض التي تفشت بين أوساط النساء والأطفال، ولكن

دون تعلم، إنما اعتمدن على الخبرة والممارسة اللتين أكسباها مهارة وهيبة داخل أوساط المجتمع، ولهذا لم تلعب الطبيبة أو القابلة دور التطبيب فحسب، بل تعداه إلى كونها طبيبة شرعية بمصطلحنا المعاصر. فتشهد أمام القاضي، وتفصل في أمور قضائية تختص بالنساء، وإذا لزم الأمر، تسجن النساء المذنبات داخل بيت الطبيبة المتوسم فيها الأمانة والطهارة والصلاح. ومع هذا، لا نجد اسما واحدا لهؤلاء الطبيبات، إنما تذكرها بوظيفتها كقابلة دون ذكر لاسمها.

وللعلاج الروحاني بنوعيه تفاعل جد شديد بين المعالجات والمجتمع بجميع شرائحه الخاصة والعامة. فمع ظهور الكاهنات من ساحرات وعرافات ومنجمات، وزيادة في تفشيها داخل المجتمع، كان التأثير كبيرا، وخصوصا عند زيادة نسبة الجهل في أوساط النساء.

ومع ظهور التصوف النسائي بالمغرب الأوسط، عكفت المتصوفات على نهج طرق للتربية الروحية للمجتمع، والعلاج الروحاني من خلال نشر الثقافة الإسلامية، وتعريف المرأة أمور دينها ودنياها، فكانت المتصوفات الملاذ الأخير لهن في أوقات السلم والحرب. ومع هذا لم يكن لهن الدور الكبير في الحياة العلمية، والتأثير فيها بشكل بارز.



# الباب الثالث

# أثر المرأة على مجتمع المغرب الأوسط ومظاهره

**الفصل الأول: دور المرأة في الأسرة والمجتمع**

**المبحث الأول: المرأة والمجتمع بالمغرب الأوسط**

1-مكانة المرأة داخل الأسرة

2-خروج المرأة من بيتها بين الدين والعرف

أ- خروج المرأة إلى المساجد

ب- زيارة أولياء الله الصالحين والصالحات الأحياء منهم والأموات

جـ - خروج المرأة إلى الحمامات

د- خروج المرأة إلى الأسواق والمنتزهات

**المبحث الثاني: المرأة والحب والجسد في مجتمع المغرب الأوسط**

1- المرأة والحب في مجتمع بلاد المغرب الأوسط

2- المرأة والجسد في مجتمع بلاد المغرب الأوسط

3- أثر مفاتن الجسد وعيوبه عند نساء المغرب الأوسط

4- لباس الجسد وزينته عند النساء وأثره على مجتمع بلاد المغرب الأوسط

**الفصل الثاني: الحضور الاجتماعي للمرأة العاملة في المغرب الأوسط**

**المبحث الأول: نشاط المرأة في حقل التجميل بالمغرب الأوسط**

1- الماشطة

2- الواشمة

**المبحث الثاني: الحضور الإيجابي للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط**

1- المرأة الخادمة ودورها الاجتماعي

2- دور المرأة الحاضنة والمرضعة في مجتمع المغرب الأوسط

3- المرأة الغاسلة وأثر حضورها في مجتمع المغرب الأوسط

4- أثر الخاطبة في مجتمع المغرب الأوسط



## المبحث الثالث: الحضور السلبي للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط

1- المرأة المغنية في المغرب الأوسط

2- المرأة العاهرة في المغرب الأوسط

3- المرأة النائحة وتفاعلها مع مجتمع المغرب الأوسط

## الفصل الأول: دور المرأة في الأسرة والمجتمع

إن أهم مظاهر الحياة الاجتماعية هو ذلك التفاعل الحاصل بين عناصر المجتمع الذي يأخذ أشكالا متعددة، منها العلاقات بين الرجل والمرأة التي تظهر في الزواج والطلاق والأسرة، والروابط المتعددة بين عناصر المجتمع التي تتجلى في الدين والبيئة، والعادات والتقاليد، فينشأ صراع داخل المجتمع يأتي على رأسه قضايا المرأة.

### المبحث الأول: المرأة والمجتمع بالمغرب الأوسط

#### 1-مكانة المرأة داخل الأسرة

حفظ الإسلام مكانة المرأة وحقها داخل الأسرة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "[1]، وأوضح لها واجباتها نحو زوجها وأبنائها، وتجاه مجتمعها، وأزال الفروقات التي كانت بين النساء أنفسهنّ، كما بين أنه لا فرق بين الرجال والنساء إلا بالعمل الصالح والتقوى، وأوصى الرجال بالنساء خيرا، وبمعاشرتهن بالمعروف، وتركهن بالمعروف[2].

وحظيت المرأة في المجتمع الموحدي بمكانة محترمة رغم حريتها المحدودة مقارنة بالمرأة في العصر المرابطي[3]، وهذا دلالة على التزام الدولة بتطبيق الأحكام الشرعية، حيث أكرم عبد المؤمن بن علي المرأة حين أطلق أسرى نساء المرابطين اللائي وقعن في الأسر[4]. واشتهر المنصور الموحدي[5] بإنصافه المرأة حسبما ورد في قول ابن خلكان "...ويقف للمرأة

---

1 – سورة النساء (الآية 19).

2 – شاوش محمد رمضان: باقة السوسان، ص 387.

3 – حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 355.

4 – البيذق: أخبار المهدي، ص 88.

5– **المنصور الموحدي**: هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ولد سنة (580هـ/ 1185م) . دامت خلافته 14 سنة، ومن صفاته كان يحب الصالحين ويدني مجالسهم، وكان مقداما جشاعا، قاد معركة الآرك سنة (591هـ/ 1195م). ينظر: ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب (قسم الموحدين، ). ص169.

والضعيف، ويأخذ لهم بالحق..."[1]، وهذا دلالة على إنصاف الموحدين للمرأة، وإعطائها حقها داخل المجتمع، لكن بضوابط شرعية مقننة.

وعموما كان النظام السائد في الأسرة هو النظام الهرمي، بمعنى مركزية الأب ونفوذه المطلق على الزوجة والأبناء، وطاعتهم له واجبة، ولهذا اتسم المجتمع بالذكورية لأن الأب هو المسؤول الأول عن الأسرة[2].

ونلاحظ هذه السمة واضحة بكثرة في مجتمع البادية، لأن أسلوب تربية الطفل عندهم كان أسلوب العنف في مواطن كثيرة خلال مراحل التربية، وهذا مرده إلى تعالي سلطة الأب داخل الأسر القروية، فنجم عنه ضعف في تربية الأبناء نتيجة غياب الأب المتكرر والطويل الذي يرجع لطبيعة النمط المعيشي المتمثل في حضور أو غياب رب الأسرة بسبب انهماكه في العمل لكسب قوت يومه[3]، وتسليم مهام تربية الأبناء للأم التي يتعلق بكاهلها مهام أخرى وواجبات وأعمال كثيرة. وقد كان تأثير البيئة على المرأة في حتمية إنجاب عدد كبير من الأولاد بغية إعانة الأب والأسرة على أعباء الحياة من نفقة وأجر[4]، فإذا كان عدد الأطفال كثيرا، أصبح عدد العمال بالأجرة أقل.

وتراوح عدد الأولاد في الأسرة الحضرية من ثلاثة إلى أربعة أولاد، وقد يصل العدد أحيانا إلى خمسة أوستة أطفال [5]، بينما نجد الأسرة البدوية تتألف من عدد كبير من الأولاد فأسرة المهدي بن تومرت مثلا تتكون من خمسة إخوة وهو سادسهم[6]، مما ضاعف من الغبن الاجتماعي داخل الأسرة البدوية[7].

---

1- وفيات الأعيان، ج6، ص 10.

2- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 292.

3 - عبد الكريم بالصديق: "جوانب عن تربية الطفل في المغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/ 12-15م) "، **مجلة عصور، الجزائر**، ع: 24-25، جانفي- جوان 2005، ص ص 87، 88.

4 - إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص ص 33، 36.

5 - شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح وتع: مصطفى السقي وآخرون، مطبعة الأليف والترجمة والنشر، (د، ط)، القاهرة، 1942، ج2، ص102.

6 - ابن القطان: نظم الجمان، ص 74.

7- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 57.

وكان المجتمع العربي يفضل إنجاب الذكور على الإناث[1]، إذ يعتبر الذكر مكسبا للعائلة، أما الأنثى فهي عبأ ثقيل عليه، لذا اضطهدت المرأة في المجتمع، فتعرضت للطلاق والإهمال لإنجابها الإناث دون الذكور، أو تعيش ذليلة، في حين تحظى تلك التي أنجبت الذكور بالعديد من الميزات[2].

هنا كان للبيئة الحضرية التأثير الواضح على الحياة الزوجية للمرأة، فهي لا تستطيع التحكم في عدد الأولاد لعدة اعتبارات تفرضها البيئة الطبيعية والاجتماعية عليها، لأن المرأة ضعيفة بطبعها استنادا لفكرة أن النبوة والرسالة لم تكن إلاَّ في الرجال دون النساء لقول الله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحى إِلَيْهِمْ ﴾[3].

وانطلاقا من هذه المبادئ، كانت تسود المجتمع النظرة الدونية للمرأة، وأبرز الرسول الكريم ضعفهن في قوله" اللهم إني أُخرِّج حقَّ الضَّعيفين اليتيم والمرأة"[4]، وهذا المبدأ استند عليه الفقهاء في حماية المرأة المبالغ فيها أحيانا كثيرة، لكن هذا لم يمنعها من احتلال مكانة هامة في المجتمع، حيث تمتعت بالكثير من الحقوق كالتعليم الذي كان إلزاميّا على كل من الجنسين زمن الموحدين وبعدهم، وكان التعليم إجباريا وباللهجة البربرية.[5]

ولم تقتصر عناية المرأة بالمنزل والأسرة فحسب، بل سعت إلى التزود بالعلم والثقافة، وكان لها الحق في مناقشة زوجها حول طبيعة عمله، مثل أم ابن مرزوق عندما أرادت اختبار زوجها حين طلب السلطان أبو حمو موسى الثاني[6]أن يجلس الناس للعقد في قولها

---

1 – ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 357.

2– نفسه، ص 357.

3 – سورة النحل) الآية 43).

4 – حديث حسن رواه النسائي بإسناد حسن. ينظر: الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي (631– 676هـ/ 1234.–1278م): **رياض الصالحين**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، (د، ب)، 1993، ص 65.

5– محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، دار توبقال، دار البيضاء، ط1، المغرب، 1989، ص24.

6– ولد أبو حمو موسى الثاني في مدينة غرناطة سنة( 723هـ/ 1323م)، ونشأ بتلمسان درس على يد أشهر العلماء فيها، ثم انتقل إلى مدينة فاس طلبا للعلم قتل سنة (791هـ/ 1388م)، ألف كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك. ينظر: محمد الأمين بالغيث: **النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس**. المؤسسة الوطنية للكتاب، (د، ط)، الجزائر، 1989، ص 65.

له" والله ما كنت إلا معتبرة لك في قول"[1].

ولم يرد لدينا أن المرأة في العهد الموحدي قد تدخلت في السياسة في بداية قيام الدولة إلا في عهد الخلفاء الأواخر مع ضعفها وظهور بوادر اضطراب أمورها، فها نحن نشاهد زوجة المأمون تتدخل في الحكم، و كان لها دور في تولية ابنها الرشيد على عرش الدولة[2].

وبعد زوال دولة الموحدين وانقسامهم، اتبعت دولة بني عبد الوادي[3] نفس نهج الموحدين بخصوص تطبيق الشريعة الإسلامية في حفظ حق النساء اللواتيلم يكن يقع على عاتقها الاهتمام بأمور البيت فحسب، بل يتعلق برقبتها تكوين الإنسان أيضا، حيث نجد في أسرة العلماء أم البنين جدة الفقيه أحمد بن محمد الشهير بزروق التي كفلت وربت حفيدها وأدخلته لتعلم صنعة الخرز.[4]

وكانت نساء العامة تساعدن أزواجهن في كسب قوت الأبناء بشتى أنواع العمل في تلك الفترة، ولم يتوفر عندهم الخدم نظرالفقر الأسر وضعف مدخولها، وهذا ما جعل المرأة تحتل مكانة رفيعة في بيتها، وفي محيطها، وبخاصة في علاقتها بزوجها.[5]

فكانت النساء تسعى من أجل كسب حب زوجها ورفع مكانتها داخل الأسرة، فقدمت المساعدة المادية لزوجها خصوصا في الظروف الصعبة والحرجة، إما برهن غزلها يدها أو بيع أثاث منزلها.[6]

---

1 – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص ص 194، 252.

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: **تاريخ المغرب الإسلامي**، ص 100.

3– **دولة بني عبد الوادي**: وهي إمارة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط: (962–633هـ/1554–1235م) تنتسب دولة بني عبد الواد أو بني زيان إلى قبيلة بني عبد الواد احدى بطون زناتة، وكان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط، حيث بدأ أبو يحي يغمراسن مهامه كحاكم لإقليم تلمسان وجعل قاعدته مدينة تلمسان ومقر إدارته سنة(633هـ/ 1236م) . ينظر: عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص15–14.

4– ابن مريم: المصدر السابق، ص45.

5– نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص166.

6–ابن الزيات: التشوف، ص ص 177، 237.

ونجد ابن الحاج من جهة أخرى يشكك في نزاهة المرأة حتى في نواياها اتجاه الزوج في قوله" والمتعارف فيها يوسع النساء به على أزواجهن من أموالهن، إنما يردن بذلك استجلاب مودتهم واستدرار صحبتهم وجميل عشرتهم"[1].

وهنا نجد تحكم الظروف الاقتصادية في تشكيل العلاقة الزوجية بين الطرفين، واستمرار المحبة بينهما ولكن بنوع من التحايل من طرفهن من أجل تمتين العشرة الزوجية واستمرار تماسكها أطول مدة ممكنة، ونجد هذا عند العامة أكثر من الخاصة، وعموما فإنً السواد الأعظم من نساء العامة انحصر نشاطهن على أعمال المنزل من كنس وتنظيف وطهي، والسهر على راحة الأبناء وإرضاء الزوج[2].

**2-خروج المرأة من بيتها بين الدين والعرف**

أكدت كتب النوازل إلى أن خروج المرأة يجب أن يكون حسب الشريعة الإسلامية، وكان على المرأة التي تريد الخروج من بيتها أن تلتزم باللباس الشرعي والتصرف الحسن البعيد عن أي شبهة، وألا تختلط بالرجال وإن لزم الأمر، فعليها أن تتعامل مع الرجال الثقات، وهذا ما أحدث تفاعلا فقهيا واجتماعيا.وتتقهقر مكانة الأسرة برمتها إذا كان خروج المرأة من المنزل للعمل أو للتسوق مثلا. وهو ما يؤدي إلى وقوع الأسرة كلها، والرجل بالخصوص في حرج كبير، وإذا خرجت متبرجة، فإن فقهاء عصرها يحكمون على زوجها بعدم جواز إمامته ولا شهادته، ولا يعطى من الزكاة إذا كان في حالة ضنكة[3].

وذلك لأن المرأة في نظر الفقهاء والمجتمع مصدر الشرور والفتنة[4]، وتؤدي إلى اضطراب المجتمع وانهيار نظامه[5]، والسبب الرئيسي لهذه النظرة هو ربطهم المرأة بالجنس،

---

1 - نوازل ابن الحاج، ص 5.

2 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 192.

3 - محمد ياسر الهلالي: " نظرة المجتمع للمرأة في المغرب القرن( 8-9هـ/ 14-15م) ساهمة في تاريخ الذهنيات"، **مجلة أمل**، ع: 13-14، السنة 5، الدار البيضاء، 1998، ص 78.

4- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 173.

5- ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، ج 2، بيروت، (د، ت)، ص 319.

ولهذا منعت من الخروج لضبطها ويسر مراقبتها، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، بل هدد مكانة الأسرة والرجل على الخصوص.

فإذا تزوج من امرأة مشكوك في سلوكها، فهذا الزواج مجلبة للعار ويطعن في إمامته[1]، ويصبح منبوذا في مجتمعه، وورد في نازلة أن رجلا حلف على زوجته بالطلاق إن هي غادرت بيت الزوجية عند سفره[2].

ويقتصر الخوف المترتب عن خروج المرأة من بيتها على الحضر دون البوادي، لأن نساء البادية، كما هو معروف، يخرجن للاعتناء بالحيوانات والمزروعات، وجلب الحطب والماء للمنزل وغيرها من الأعمال التي تتطلب بالضرورة خروجها من منزلها بغرض مساعدة الرجل في أعباء الحياة[3].

إن نظرة المجتمع للنساء عموما هي عبارة عن تراكمات زمنية نتيجة ما تفعله بعض النساء في إطالة القعود عند التجار والحرفيين وغيرها من التصرفات التي تؤدي إلى الفساد والوقوع في المحظور[4]، واستقبال المرأة للحرفيين والباعة المتجولين في بيتها ينتج عنه الخلوة برجل أجنبي، وهذا منهي عنه شرعا.[5]

وحدد خروج المرأة بثلاث خرجات هي: خرجة لبيت زوجها، وخرجة عند موت أبويها، وخرجة لقبرها[6]، وهذا كله مخافة الوقوع في الفتنة وتراجع مكانة الأسرة، بالإضافة إلى خوف الرجل على نفسه داخل المجتمع بالنسبة للفئة الوسطى[7] والفئة العامة من الناس، أما نساء الحكام فهن بعيدات عن هذه النظرة الدونية، حيث شهدت حياة المرأة في البلاط الموحدي

---

1- الونشريسي: المعيار، ج 3، ص ص 122، 199.

2 - نفسه، ج4، ص 211.

3 - نفسه، ج4، ص 211.

4 - الونشريسي: المعيار، ج 5، ص ص 198، 200. ابن الحاج: المدخل، ج 1، ص 245. ينظر أيضا: أبو عبد الله بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني (فقيه توفي بتلمسان عام 871هـ/ 1467م): **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، (د، ن)، (د، ط)، (د، ب)، (د، ت)، ص 72، 78.

5 - الونشريسي: المعيار، ج 5، ص ص 197، 198.

6 - ابن الحاج: المدخل، ج 1، ص 246.

7 - الفئة الوسطى تشكلت من أصحاب الفكر والعلم وكبار التجار. ينظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج 1، ص 108.

والزياني دخولها في نظام الحريم[1] الذي كان عبارة عن ظاهرة اجتماعية من قبل، وأصبح ظاهرة سياسية فيما بعد[2].

ولهذا أفتى الفقهاء بجواز منع خروج المرأة إلا بشروط وقواعد محددة، ومالوا بدرجة كبيرة إلى المنع، وذلك للأضرار التي تحدثها المرأة لزوجها وأهلها ومخالطتها للأجانب، وهو ما يؤدي إلى حدوث الفتنة[3]، ونستند في هذا على كتب النوازل، فالمتأمل فيها يجد الكثير من الحالات التي تمنع خروج الزوجة من بيتها مثل: النازلة التالية:"امرأة كانت تتردد لزيارة أمها المريضة عدة مرات، فشق عليه وحلف إن خرجت ليطلقها بالثلاث"[4].

وهذا ما ذمه الفقهاء كالونشريسي والعقباني فهو سبب في الطلاق أو الخلع، وسرد لنا الونشريسي عدة نوازل توضح كيفية تطبيق العامة لفتوى الفقهاء بعدم جواز خروج المرأة من بيتها تطبيقا تعسفيا لا طائل منه إلا أنه يظلم الزوجة ويسلب حقها حتى في زيارة أبويها. فذكر أن من الرجال "... من حلف باللازمة على زوجته ألا تخرج حتى ينقضي العام"[5]، وفي نازلة أخرى "... حلف فيها الرجل باللازمة إن خرجت أن يرقدها في الدار شهرا"[6]، وهذا الأمر لا يجوز، ولكن المجتمع طبق فتوى الفقهاء، كل رجل يطبقها على حسب مستواه الفكري وطبعه.

ونجد أيضا في نازلة يذكر مشكلة خارجة عن إرادة الزوجة حيث أورد"...من علق طلاق امرأته على خروجها من الدار أثناء سفره، فأخرجها صاحب الدار"[7]، فهذا وجه الظلم

---

1 – **الحريم:** هو ما حرم مسه، وحرم الرجل نساؤه وما يحمي، وتحمل أيضا معنى الممنوع والمقدس، أي نساء المنزل، باعتبار هن الشيء المقدس المحرم على الغير الاقتراب منه، ويتألف نظام الحريم من زوجة أو أكثر بالإضافة إلى عدد من الجواري والعبيد البيض والسود. ينظر: ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 489.

2– نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص145.

3– العقباني: المصدر السابق، ص.74

4– المازوني: المصدر السابق، ج2، ص38.

5– الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص192.

6 – نفسه، ج4، ص193.

7 – نفسه، ص211.

إن هي امتثلت لأمر صاحب الدار فهي طالق من زوجها، وإن هي مكثت في بيتها، أخرجت بالقوة فهي طالق فكيف يعقل هذا؟.

وقد أورد صاحب كتاب المدخل أن على المرأة البقاء في البيت، فإن كانت لأهله حاجة فيتول ذلك بنفسه خشية خروجهن وجلوسهن عند البزازين والصواغين، فتناجيه وتباسطه، فربما يكون سببا في وقوع الفاحشة الكبرى[1].

**أ- خروج المرأة إلى المساجد**

وحتى خروج المرأة لتتعبد داخل بيت الله، جعل له الفقهاء والمجتمع ضوابط، حيث انتشرت بعض العادات السيئة داخل الدولة الزيانية خصوصا، مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي، متمثلة في بعض البدع الاجتماعية المخلة بالحياء، منها دأبها على الخروج إلى المساجد، مما يخل باحترام الجوامع، وخاصة منهن شواب النساء الممتلئات لحما، اللواتي تخشى منهن الفتنة من مساجد الجمع والجماعات[2].

وخلال خروج النساء لتأدية فريضة الصلاة في المساجد، اتصلت صفوف النساء بالرجال، فطلب البعض ببناء مقصورة في السقائف لستر النساء، فاعترض بعض الفقهاء على ذلك، [3] وذم البعض الإكثار من خروج المرأة إلى المسجد إلا بإذن زوجها. ووجه كراهية الإكثار من الخروج، ما خشي على الرجل من الفتنة بهن[4] في مخالطتهن الرجال وارتكاب ما قد حرم الله. وذلك منكر ظاهر ومدعاة للشر5 لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم ": ما تركت بعدي فتنةً أَضر على الرجالِ من النساءِ"[6].

1 – أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج: **المدخل إلى تهيئة الأعمال لتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحه**ا، مكتبة دار التراث، ج1، (د، ط) ، القاهرة، ( د، ت)، ص245.

2–العقباني: المصدر السابق، ص36.

3– عبد الرحمن بشير: المرجع السابق، ص124.

4 – العقباني: المصدر السابق، ص37.

5– نفسه، ص 78.

6– صحيح البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ج16، رقم: 4706، ص41. أنظر أيضا: صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، ج13، رقم: 4923، ص284.ينظر أيضا: الأمام النووي: رياض الصالحين، ص 68.

**ب- زيارة أولياء الله الصالحين والصالحات الأحياء منهم والأموات**

إن زيارة الأضرحة والمقابر كان شائعا في مجتمع المغرب الإسلامي، تقوم به النساء على اختلاف طبقاتهن الاجتماعية اللواتي تعتقدن بمقدرة الولي الصالح على تحقيق الرغبات والحاجات، وانتشرت بذلك صفة التبرك بالضريح. ولوحظ على سبيل المثال بتلمسان زيارة النسوة سيدنا أبا مدين ومن معه في عباد تلمسان[1] .

وأورد الكتاني بأن زيارة الصالحين لها فائدة كبيرة في قوله" ... إذا ذُكر الصالحون نزلت الرحمة، وإذا تعذّرت رؤيتهم ومصاحبتهم، فلا شيء أنفع للقلوب والنفس من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم، وزيارة قبور الأولياء ترياق نافع للقلوب. فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم..." [2].

وهكذا شدّت النساء الرحال لزيارة الأّضرحة. حيث ذكر أنّ امرأة شريفة قصدت أحد الأولياء، شكت إليه حالها وحال بناتها، فآثرها بالمال الذي كان ينوي الحج به[3].

وكانت بعض النسوة أثناء زيارتهن للأولياء، وخاصة الصالحات منهن، تقمن بالذكر في جماعة، فتعلو بذلك أصواتهن حتى يسمع البعيد منهم ضجّتهن، وهذا من جانب أن أصواتهن عورة، وهو ما يخلق الفتنة عند أصحاب النفوس الضعيفة [4].

ووجب على الفقهاء والمجتمع ردعهن، وبما أن المجتمع حكم على المرأة بأنها ناقصة عقل ودين، وجب على عاتقه أن يردع النساء لذهابهن إلى أضرحة الأولياء الصالحين، لأن النساء صاحبات بدع لما تفعله من تصرفات لا تليق عند زيارة تلك الأضرحة، أو تطلب كتابة حجاب من طرف الولي الصالح من أجل غاية في نفسها[5] مثلما فعلت زوجة يغمراسن

---

1- ابن مرزوق: المسند، ص163.

2- أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس(الكتاني): **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تح: محمد حزة بن علي الكتاني، مؤسسة مولاي عبد الله الشريف للدراسات والأبحاث العلمية، (د، ط)، فاس، (د، ت)، صص13، 15.

3- ابن الصباغ القلعي (حيا سنة 950هـ/1543م): **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار**، ورقة 26 أ.

4 – نفسه، ورقة رقم 32ب، وورقة رقم 20 ب.

5- الونشريسي: المعيار، ج11، ص 29.

بن زيان عندما طلبت من أحد الأولياء الصالحين كتابة حجاب، إيمانا بها في العلاج بالتمائم والسحر والشعوذة. فكتب لها الشيخ الحجاب وأرسله مع ابنها[1]، حيث كان العلاج بالتمائم ممنوعا لأنه متصل بأمور السحر. فقد جعلوا هذه الممارسات تابعة للرقية لما فيها من القرآن والدعاء[2]، فخلط هؤلاء بين السحر والدين والتصوف.

ونستنتج مما سبق أن هذه الذهنية لم تقتصر على الطبقة العامة من الناس، بل تعدتها حتى إلى الطبقة الحاكمة، حتى وإن كانت هذه التمائم صادرة من طرف أولياء الله الصالحين.

ومن العادات التي تميزت بها النساء بالمغرب الأوسط، خروجهن واجتماعهن في المقابر والمواضع التي يتخذ منها مجالس للتنزه، فيجعلن الرجال يلتهون بهن.[3]

وورد في نازلة عن امرأة مات زوجها أو ولدها وبعض قرابتها، فتخرج لتعاهد قبره كل يوم جمعة[4]، لهذا ذم الفقهاء اجتماع النساء وبكاءهن في دفن الميتويجب أن ينهى عن ذلك من شاهدهن يفعلن ذلك ويعاقبهن أيضا[5]فهذا من باب النهي عن المنكر، ويعمدن إلى نصب الأخبية (الخيم) على المقابر بهدف التستر لمن كانت تطيل الجلوس منهن على القبر، وذلك لصرف أعين الفساق وقلوبهن إلى من فيها.[6]

وهنا نجد أن النساء قد أحدثن هذه البدعة وهن متهمات في هذا المقام من طرف المجتمع أنهن صاحبات بدع وذلك لجهلهن بأمور الشريعة الإسلامية، ولهذا ذكر الونشريسي بأن النساء لا يخرجن للمقبرة للترحم على الأولاد والأزواج أصلا[7]، ونرجح هنا قول أبي

---

1- ابن الصباغ القلعي: المصدر السابق، ورقة رقم 20 أ.

2- الونشريسي: المعيار، ج11، ص 29.

3-العقباني: المصدر السابق، ص77.

4 - الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص420.

5نفسه، ج6، ص419.

6- العقباني: المصدر السابق، ص77.

7- الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص420-419.

الحاج بأن المرأة ضعيفة لاسيما في بعض مواقف الحياة العامة مثل احتضار زوج أو ابن وغيرهما [1].

وحتى ذهابها للمقبرة ظلم للحالة النفسية للمرأة لأنها ضعيفة بطبعها ومرهفة الإحساس ومن جانب آخر نلاحظ تلميح صريح للعقباني وترسيخ نظرة الشك بأنها مصدر لكل الشرور، وذلك أن المرأة ولو كانت في ظروف قاسية وحزن شديد كموت الزوج أو الابن، فإن قلبها ميال للمحرمات، ولهذا يجب سترها ولو كانت في حالة حزن[2].

**ج – خروج المرأة إلى الحمامات**

تعتبر الحمامات من أهم المرافق والمظاهر التي انتشرت في المغرب، وهي دليل على ازدهار الدولة وانتشار ظاهرة الترف. إذ أنشئت لخدمة العامة من السكان وللنظافة والتطهير وانقسمت الحمامات إلى قسمين: حمامات للخاصة و حمامات للعامة[3].

وتوجد بتلمسان عدة حمامات نظيفة[4]، وأحسنها وأوسعها وأشهرها هو حمام العالية الذي لم يكن له نظير[5]، لكنه غير مجهزة بوسائل الراحة مقارنة بحمامات فاس[6].

وكانت النسوة تتردّدن على الحمامات في أغلب المناسبات كالأعياد والأفراح، ومدحه الثعالبي في قوله: " نعم البيت بيت الحمام، ينقي الأقذار، ويذكر النار"7، ونفهم من هذا أن الحمامات لعبت دورا أساسيا في المغرب الأوسط في تجميل أجساد النساء، وكانت بمثابة

1- ابن الحاج: المدخل، ج 3، ص 4،

2-العقباني: المصدر السابق، ص77.

3- الحبيب الجنحاني: **المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ)**، دار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1978، ص186.

4- تعتبر الحمامات من المرافق الحضارية، ووسائل الراحة الخاصة والعامة لتنظيف البدن، البعض منها يحوي على المياه الطبيعية الساخنة. ينظر: مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص298.

5- ابن الحاج: المدخل، ص28.

6- مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص298.

7 -عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ/ 1038م): **كتاب اللطائف والظرائف**، دار المناهل، ط1، بيروت، 1992، ص83.

دور التجميل في زماننا هذا، لأننا نجد داخل الحمام عدة مهن للمرأة، ضليعة فيها كالماشطة[1] والواشمة[2] والكياسة وغيرها من المهن الأخرى.

وكان للحمام الدور الهام في الحياة الاجتماعية، فكان بمثابة النادي الاجتماعي والملتقى الخاص للنساء، يتباحثن فيه عن مجموعة من الموضوعات في عدة ميادين كالمشاكل العائلية والتجميلية، ومسائل الزواج والمرحلة الأولى من الخطبة، وحتى بعض الأعمال التجارية التي تقام داخل الحمام، وقد ذمه الثعالبي في هذا الموضع في قوله: " وإن الحمام من بيوت الشيطان"[3].

ولم تقتصر مهمة الحمامات على النظافة والتطهير والتجميل والاجتماعات فقط، وإنما كانت لها غاية شفائية من بعض الأمراض، فكان يقصدها الرجال والنساء من مختلف شرائح المجتمع[4].

ويذكر ابن الحاج أن دخول الحمام فيه أشياء مستهجنة في الشرع، ودخوله بغير ضرورة شرعية معصية. وتشدد الفقهاء في دخول النساء الحمام بين الإباحة والتحريم[5] فيقول العقباني:" ... وأما دخولهن الحمام فأصله الإباحة، لأنه من نعومات الأبدان، فإن سترت نفسها، فلا ضير في ذلك، لأن المرأة عورة، ولا يجب أن تبدي محاسنها للنساء" [6] وهو وجه الصواب .

---

1 – **الماشطة:** امتشطت المرأة، أمرأة تحسن مشط الشعر وتتخذه حرفة. ينظر: إبراهيم مدكور: **المعجم الوجيز**، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، 1994، ص583.

2 –**الواشمة:** هو امتهان المرأة للوشم الذي هو رسم أشكال ورموز على جلد وجه المرأة، أو ظهر يديها أو على معصمها أو على كعب القدم، بواسطة إبرة مع ذر مواد كالكحل أو الحناء أو مزيج من الأعشاب أو من بعض المعادن أو دخان الشحم لجعل الوشم ذا لون أخضر قصد التزيين الدائم. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج 12، ص 638. وينظر أيضا: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج4، ص 188.

3 – كتاب اللطائف والظرائف، ص 85.

4 – جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448/ 1056م_ 668هـ/ 1269م)**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر، 2002، ص173.

5– ابن الحاج: المصدر السابق، ج1، ص282.

6– العقباني: المصدر السابق، ص83.

وأوضح الفقيه العقباني وجه التحريم في أنّ نساء تلمسان لا يستترن عند دخولهن الحمام إلا قليلاً، وفي ذلك فتنة، وكانت النسوة تدخلنه بمختلف أجناسهن، وهو محرم شرعا[1]، والجائز أن لا ترى اليهودية والنصرانية بدن الحرة المسلمة. والأصح للمرأة الغسل في البيت، وفيه ستر حصين، وسد لباب الذريعة من المفاسد[2].

ومن عادتهن دخولهن إلى الحمام بأفخر الثياب والحلي، وتلبسه حين فراغها من الحمام[3] حتى يراها غيرها، فتقع المفاخرة والمباهاة، وما إلى ذلك من دخولها في المفاسد والفتنة[4]، وهذه النظرة التي يكرسها الفقهاء ويصدقها المجتمع تزيد من القيود والضغوط على المرأة داخل بيئة يتحكم الرجل فيها، فقيها كان أو أميّا. وحين تكثر حالات تذمر الرجال بالنساء، فكان رد الفقهاء أنهم يقصرون دخول الحمام على المريضة أو النفساء فقط، لأن الحمام يكشف عن العورة ويذهب الحياء، هذا بالنسبة للحواضر[5].

أما في البوادي والأرياف فالأمر يختلف باختلاف البيئة التي تعيش فيها المرأة. حيث لا تتوفر الحمامات فتلجأ النساء إلى الروائغ في الوديان للطهر أو الوضوء وهذا لا حرج فيه مع توخي الحذر[6].

**د- خروج المرأة إلى الأسواق والمنتزهات**

ومن العادات التي انتشرت أيضا، خروج النسوة للتنزه بالحدائق، فيلبسن ويتحلّين في بيوتهن أحلى حلة ويجُلن بها، وذلك ما ذمّه الفقهاء، لأنه يؤدي ببعض الناس إلى اختلاس النظر، وشغف بعض الشباب قد يؤدي إلى وقوع الفاحشة الكبرى[7].

---

1- العقباني: المصدر السابق، ص 73.

2- ابن الحاج: المصدر السابق، ج2، ص182.

3- انظر: Georges Marçais: **Tlemcen**، édition librairie Renouard -H- laureus، Editeur; Paris، 1950، p. 39.

4. ابن الحاج: المصدر السابق، ج2، ص 183.

5 - الثعالبي: اللطائف والظرائف، ص85.

6- عبد الرحمن بشير: المرجع السابق، ص132.

7- ابن الحاج: المدخل، ج1، ص249.

وينبغي على مالكي البساتين أن يمنعهنّ من التجول، لأن في ذلك كشفا لهنّ، فيحدث اجتماع الرجال والنساء، وما يجري هناك من موضع الفرجة وهي عادة ذميمة[1].

كما كانت نساء تلمسان تتردد على الحدائق، والشلالات[2]، فكانت تسمع ضحكات وأغاني الفتيات الشابات، بالإضافة إلى خروجهنّ إلى السوق متزينات بأنواع الزينة البادية عليهنّفي مشيهنّ وطيبهنّ، وما يثيره ذلك من الفتن الكبيرة، وكذا الإطالة في الوقوف عند الصنّاعين وحوانيت الباعة، [3] إضافة إلى اجتماعهن بمجالس التضامن الحرفي، أو ما يسمى بمجمع التويزة[4]، وحضورهنّ بسوق الغزل، ومخالطة الرجال وسفلة السماسرة ومحادثتهم وما يقع ذلك من مدعاة المنكر، وارتكاب لمحارم الله[5].

ونجد في النصوص المصدرية الأندلسية أن من بين العادات المترسّخة في المجتمع ولع النساء بارتياد مواقع التنزّه والراحة والاستجمام، وذلك للترويح عن النفس وترقية للذوق فيلجأن إلى الطبيعة في ذلك ويعتنين بالحدائق والمنتزهات[6].

وتأثرت نساء المغرب الأوسط ونساء المغرب الإسلامي عموما بهذه الظاهرة، وذلك بعد هجرة المورسكيين، فقد لاحظ حسن الوزان أن عادة التنزه والترفيه عن النفس بالخروج إلى الطبيعة، كانت لا تخص فئة النساء فقط، بل شملت جميع فئات المجتمع وشرائحه[7] وحد صاحب كتاب إفريقيا فترة الخروج إلى البساتين والتنزه إلى الفترة الممتدة ما بين شهري أبريل وشتنير[8].

---

1– ابن الحاج: المدخل، ج1، ص ص282–281.

2 – كشلال الوريط، ووادي الصفصيف وكدية العشاق بتلمسان.

3– ابن الحاج: المدخل، ج1، ص78.

4– سعيد بن حمادة: " جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية بالغرب الإسلامي من خلال تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر للقاضي العقباني التلمساني (871هـ – 1467م)"، **مجلة عصور الجديدة**، ع: 5، جامعة وهران، 2012، ص76.

5 – العقباني: المصدر السابق، ص78.

6 – ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص 117.

7 – وصف إفريقيا، ج1، 197.

8 – مرمول كربخال: إفريقيا، ج 2، ص 161.

ولا نستبعد تأثير ذهنية الفقهاء في تشكيل هذه النظرة حول ظاهرة الحد من خروج المرأة، أمثال البرزلي، حيث وصف خروج النساء بالعادة الذميمة، وأقر بأنّ اجتماع النساء ببعضهن البعض لا يخلو من شر، إما لتأليب بعضهنّ على معصية الزوج، أو من أجل إقامة علاقات غير شرعية[1]، وبذلك تشكّلت نظرة الشك حول المرأة، وأنها مصدر للبدع والغواية، فوجد المجتمع دعامة شرعية تطلق العنان ليد المجتمع للحد من حرية المرأة تحت غطاء السلطة الشرعية.

**المبحث الثاني: المرأة والحب والجسد في مجتمع المغرب الأوسط**

ارتبطت المرأة دائما بالجمال الروحي والجسدي، ونلاحظ نظرة الجسد تتكرّس في الشعر الذي يفضح بدوره مكنونات الفكر الاجتماعي حول المرأة، ويجسّدها المجتمع فعليا من خلال ممارساته اليومية على المرأة، كما تم توضيحه سالفا من خلال تشدد الخروج من البيت وغيرها، ونجد المجتمع أيضا يطبقها من خلال ممارستها في طقوس الزواج، فهل المرأة تتزوج غاية في جسدها أو لفكرها؟ وهل كانت المرأة تتزوج على أساس الحب، أم هو واجب شرعي من أجل الكتم الجنسي للرجل، ووسيلة لحفظ النسل البشري؟

**1–المرأة والحب في مجتمع بلاد المغرب الأوسط**

إذا ذكرت الرغبة والحب يتبادر إلى ذهن الإنسان مباشرة أول تصور له هو النساء وذلك لربطها دائما بالعار وقلة كبت جماحها العاطفي، ولهذا ظهر في بلاد المغرب الأوسط على غرار بلاد الغرب الإسلامي، عدة أنواع من الزيجات، ففي مقدمتها نجد زواج الأقارب الذي شاع في أوساط العامة والخاصة، فتختلط الأهداف هنا بين الحب لذات الفتاة، وبين مصلحة العائلة إذا دخل الأمر في الميراث. وهذا الزواج لا يخلو من كونه يحمل بذور الغاية الذاتية للفتاة، وخاصة من تزوجنّ بأبناء العمومة مثل زواج زينب الموحدية[2] من ابن عمها

---

1 ـ البرزلي: فتاوى البرزلي، ج3، ص 589.

2 – **زينب الموحدية:** وهي بنت الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ابن علي، ولدت بالأندلس، أخذت العلم على عن القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، برزت في أصول الفقه والعلوم الفلسفية وكانت عالمة صائبة الرأي. ينظر: ابن الآبار: التكملة، ص 747. ينظر: عبد الهادي التازي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**، نشر الفنك بمساهمة مؤسسة فريدريك ايبرت، (د، ط)، الدار البيضاء، 1992، ص 53.

في المغرب الأدنى، التي كانت تهدف إلى توطيد العلاقات الأسرية والإقليمية بين الأندلس والمغرب الأدنى[1].

ونجد ذكرا في نازلة " أن إحدى النساء أرادت تزويج ابنها من قرابتها، وبالتحديد من بنات إخوتها، استمرارا للرابطة بين العائلتين"[2]، فكانت العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة هنا علاقة سيطرة واستغلال.

ونلاحظ من خلال نصوص النوازل، تفشي ظاهرة زواج التبادل أو البدل، والذي لا يكون للحب مكان فيه، ويقوم هذا الزواج على أن تتبادل جماعتان أو عائلتان امرأتين أو أكثر، فتتزوج كل واحدة منهنّ، رجل أو امرأة، من العائلة الأخرى، شرط أن تتساوى الفتاتان من حيث الإرث والعمل والقدرة على الإنجاب. فإذا كانت عاقرا تعوض زوجها بامرأة ولود[3].

وهنا يتدخل العرف والتقاليد في هذا الزواج المجحف في حق المرأة والرجل معا وتظهر المرأة كأنها بضاعة، فإذا ظهر فيها عيب، استبدلت، وتظهر لنا النصوص المصدرية عن ظاهرة أشد قسوة على المرأة عند إهمال العرف كل عواطفها من يوم وفاة زوجها، لأن هذه الأرملة تصير زوجة لأقرب الناس إلى المتوفّى، وهو الأخ أو قريب آخر من أقارب المتوفّى، وجرت العادة على أن يبيت مع الأرملة، وهذا الدخول يجعلونه إعلانا على أن لا ينكحها أحد غيره[4]، وذلك بهدف أن لا يخرج الميراث خارج العائلة بالدرجة الأولى[5].

وكان زواج الفتيات الصغيرات في السن من الصور الشائعة في بلاد المغرب الأوسط.فكان في عرف وعادات الأسر في المغرب الأوسط، خطبة البنت وعمرها عشر سنين، وتزويجها في عمر ثلاث عشرة سنة[6] وذلك قبل تفطنها للحب، وقبل معرفتها لحقوقها وواجباتها، فتفتح عينيها على رجل يستغلها كوسيلة للإنجاب فحسب، وهناك من الأباء من

---

1 – المراكشي: الذيل والتكملة، ج1، ص 27.

2 – الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 400.

3- عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص186.

4 – المازوني: الدرر المكنون، ج 2، ص 649.

5- عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص 188.

6- البرزلي: فتاوى البرزلي، ج4، ص257.

يزوج ابنته ممن يريده هو، فكلما جاء خاطب، يرد عليه بأنها متزوجة من فلان، حتى أصبح تقليدا وعادة متعارفا عليها، ولم يكن للبنت أي رأي في الموضوع[1].

وذكرت نازلة في هذا الصدد أن رجلا زوّج ابنة أخيه من رجل قبل بلوغها[2]، وحجتهم في هذا النوع من الزواج، هو خوفهم من جلبها العار لعائلتها إما هربا أو اختطافا، كما ذكرنا سابقا أنّ هروب النساء أو اختطافهنّ وارد بصفة جدية في مجتمع بلاد المغرب الإسلامي بغرض الزواج، هنا نجد ملمحا للحب الذي تبحث عنه كل فتاة لتأسيس عائلة متماسكة وقوية حتى تجابه كل المشاكل الزوجية في ظل دخولها معترك الحياة، فحملت لنا النصوص التاريخية هذه الصورة، فقد أوردت أحد النوازل أنّ رجلا هرب بامرأة وبقيت معه حتى ولدت منه[3].

وفي نازلة أخرى أن رجلا هرب بصبيّة يتيمة وتزوج بها، فادّعت الصبية إكراهها على ذلك[4]، وذكر في أخرى أن أحدهم أراد تزويج ابنته، وهي بسن عشرة أعوام فرارا من الفرض لإسقاط حضانة أمها[5]، إلا أن النساء هنا كنّ يتزوجن برضاهن، ويحرصن على كسب حب أزواجهن حتى بعد الخصام، وذلك حسبما ورد في نازلة عن امرأة أرادت الطلاق من زوجها الغائب الذي لم يترك لها نفقة، وحلفت في الجامع[6]، ولم تكن مجبرة على القيام بالأعمال المنزلية، فكانت توكلها إلى الجواري[7] نظرا لمكانتها الرفيعة، فلم يسمح لها بالخروج. فكان همّ المرأة الوحيد إذا تزوجت، هو كسب قلب زوجها، وجعله لا يرى في الدنيا سواها.[8]

---

1 – المازوني: الدرر المكنون، ج 2، ص 615.

2– الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص96.

3– المازوني: المصدر السابق، ج2، ص176.

4– الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص82.

5– نفسه، ج3، ص195.

6– نفسه، ج4، ص114.

7 – **الجواري**: جمع جارية، مهم لقب أطلق على النساء غير الحرائر وتعرف أيضا بالإماء، والجواري تورث وتباع مع التركات والممتلكات، وكانوا يباعون مع طبقة العبيد في سوق النخاسة، ويرافقون أسيادهم في سفرهم لخدمتهم. ينظر: ابن مرزوق: المصدر السابق، ص489. ينظر أيضا: السقطي: آداب الحسبة، ص 49.

8– نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص147.

وهذه الزيجات تبنى على أساس الاستغلال العاطفي والجنسي، كالخوف من تشويه اسم العائلة بالعار الذي تجلبه لها إن كان بإراداتها، أو مغلوب على أمرها كالخطف مثلا، وفي كلتا الحالتين المرأة المعيوبة جنسيا لا يرغب فيها معظم الرجال، لأن الرجل عند عامة الناس في هذا المقام، تتحكم فيه الرغبة والمتعة. فخط العرف الاجتماعي أول وأهم شرط من شروط القبول، هو خلو المرأة من العيوب الجسدية والجنسية. وكان الحب إن وجد شرط ثانوي مهمل في كثير من الأحيان أمام الشرط الأول.

ونجد في المغرب الأوسط أيضا زواج المصلحة، أو كما يطلق عليه المؤرخون الزواج السياسي الذي يقوم على أساس مصالح ثنائية للدول لتأمين حدودها ضمان الاستقرارها[1]، فغلبت المصلحة على الحب في هذا الزواج.

ونلاحظ هذا النوع من الزيجات ضمن الطبقة الحاكمة، فنجد مصاهرة بين الزيانيين والحفصيين[2] عندما تزوج عثمان بن يغمراسن[3] لتعزيز العلاقات بين الدولتين[4]، وبهذا عادت المياه إلى مجاريها، وأصبح الزيانيون تابعين للحفصيين إلى أن غزا يوسف بن يعقوب المريني[5] تلمسان عام( 698هـ/1299م)[6].

1- ابن خلدون: العبر، ج6، ص497.

2- حاج عبد القر يخلف: " العلاقات الخارجية للدولة الزيانية"، **مجلة عصور الجديدة**، ع: 2، جامعة وهران، 2011، ص 144.

3- **عثمان بن يغمراسن:** هو عثمان بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، يرجع نسبه إلى بني عبد الواد، وهو الملك الثاني للدولة الزيانية، تولى الحكم بعد وفاة أبيه يغمراسنبن زيان سنة (681هـ/ 1283م )، توفي بتلمسان سنة (703هـ/ 1304م). ينظر: ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 95.

4- روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص115.

5-**يوسف بن يعقوب المريني:** ولديوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة(638هـ/1241م)، حكم من سنة (685. 706هـ/ 1286. 1307م)، وهو سادس الأمراء المرينيين، قاد الحصار الكبير على تلمسان الذي دام 8 سنوات. ينظر: أبو العباس الناصري: الاستقصا، ج3، ص66.

6- يحي بوعزيز: " المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (633هـ/1236م) "، **مجلة الأصالة**، ع: 26، جويلية، أوت 1975، ص15.

وأراد يغمراسن من هذا الزواج أن يحمي دولته، وخاصة بعد ازدياد هيبة الأمير أبي زكرياء الحفصي[1]، وفي عهد السلطان أبي تاشفين، كانت مصاهرة بين أبي حمو الثاني مع الدولة الحفصية بإحدى بنات أبي يحي الحفصي[2].[3]

وتزوجت ابنة أبي حمو موسى الثاني صاحب تلمسان بالسلطان أبيعبد الله الحفصي[4] صاحب بجاية، وكانت عنده بتلمسان[5]، كما شهد زواج ابنة أبي عبد الله بن أبي زيان للأمير أبي زكرياء يحي بن المسعود[6].

فالزواج السياسي الذي اشتهر بين أوساط الفئة الحاكمة التي كانت غايتها الأسمى بعيدة كل البعد عن الهوى والحب، بل كانت الغاية منه ربط العلاقة بين الأسر الحاكمة في المغرب الإسلامي.

ونجد نوعا آخر من زواج المصالح – إن صحّ التعبير– انتشر بين فئة العلماء، فحبذوا أن تكون أسرة الزوجة أو الزوج ممّن تماثلهم في العلم والجاه، فكانت معايير الزوجة المثالية ممّن حملت ثلاث خصال تعكس بالضرورة الجمال الروحي للفتاة، وكانت أول الخصال الأصل الطيب المنبت، وثانيها حسن الخلق، وثالثها كمال الدين[7]، حيث دخلت في هذا الزواج أسر عريقة من العلماء، مثل زواج بين أسرتي المقري والمرازقة، حيث جاء في

---

1– روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص116.

2– **أبو يحي الحفصي:** آخر سلاطين بني حفص، عين وليا للعهد، وكان يحتل ثقة ورعاية، ومكانة مرموقة في أجهزة الدولة، وقع خلاف في ولاية العهد بينه وبين عمه أبي العباس، انتهى بالقبض على عمه، وتولية أبي فارس في الحكم. ينظر: روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص214.

3– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص218.

4– **أبو عبد الله الحفصي:** هوأبو عبد الله الحفصي بن أبي زكرياء بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص، بويع بعد وفاة والده سنة (647هـ / 1250م)، وعمره 22 سنة. ينظر: أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (المعروف بابن أبي دينار): **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، تونس، 1869، ص127.

5– عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي: **رحلة بن خلدون**، تر: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص97.

6– روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص306.

7 – المراكشي: الذيل والتكملة، ج8، ص 395.

كتاب نفح الطيب أن ابن مرزوق الكفيف[1] يهدف من زواج ابنته بأحد تلاميذه عندما يدرك أنه يتحلى بصفات أخلاقية تخوله خوف الله في زوجته، وأنّ له مستقبلا زاهرا وبالمثل، فالطالب كان يهدف زواجه من ابنة مؤدبه للتقرب منه حتى يتسنّى له الارتقاء في العلم، ونيل المراتب العليا في المناصب.[2]

ونحن هنا لا نعمم هذا الحكم على كل الزيجات من هذا النوع، وإنما النسبة الغالبة منه. ولا يخلو الأمر من طيب نفس البنت في قبول الزواج، لأنها هي بدورها تحتاج ممن يضاهيها علما أو يفوقها فتنافس الرجال على المرأة العالمة النبيهة الذكية[3].

ونجد زواج أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق ابنة الفقيه أبي عبد الله الكتاني[4].

كما تزوج أحمد (الأول) بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق، أبو العباس بخديجة بنت أبي الحسن التنسي الذي ينتسب إلى عائلة أخرى كبيرة بتلمسان[5].

وتزوّج الأديب إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني، الشاعر نزيل سبتة، بأخت مالك بن المرحل، وهي أم بنيه[6].

ونلاحظ أن النسوة في المغرب الأوسط لم تحظ في علاقتهن العاطفية بكثير من الحب، إلا نادرا كما وضّحنا آنفا، فكان تدخل المجتمع باسم العرف والتقاليد يغلب بتأثيره على المرأة، ورغبتها في الزواج بمن تحب وتريد، إما بتزويجها قبل البلوغ، أو بخطفها أو بإرغامها على الزواج من أجل مصلحة الدولة أو العائلة، أو مساواتها كبضاعة تباع وتشترى

---

1- **ابن مرزوق الكفيف:** وهو والد أم جد المقري الذي هو أحمد بن محمد بن أحمد، فوالدة الجد أحمد بنت الكفيف الذي هو محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب الرئيس أبي عبد الله بن مرزوق، وهوشيخعلم والمؤدب. ينظر: المقري: المصدر السابق، ج5، ص419.

2- نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص193.

3 - أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (627- 708 هـ/ 1230- 1308 م): صلة **الصلة، قسم: الغرباء**، تح: بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، (د، ط)، الرباط، 1938، ص 131.

4- ابن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، ص149.

5- ابن مرزوق: المسند، المصدر السابق، ص19.

6- أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، (د، ط)، الجزائر، 1906، ج1، ص10.

تحت غطاء المهر[1]، ولم يقتصر المهر على الدراهم فقط، بل تعداه إلى ذلك من الموازين الفضية والملابس والمواشي[2].

وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى البادية؛ إذ كانت المواشي تشكل الجزء الهام من المهر، وكانت العائلات الغنية تقدم قطعة من الأرض أو بستانا كهدية للعروس عند زفافها.فقد أورد الونشريسي أن رجلا زوج ابنته واشترط على زوجها مع الصداق هدية تمثلت في كبش وثور، فذبح الكبش وأبقى على الثور[3]، وهذا دليل على استغلال مهر ابنته في زيادة رزقه، وهي تفضح نوايا المجتمع في تزويج البنت قبل بلوغها.

وكثيرا ما كانت تحدث مشاكل بين الزوجين جراء هاته التصرفات الاستغلالية بقصد أو بغير قصد، فتمتد أحيانا إلى مشاكل بين الزوج ووالد الفتاة حول قيمة الصداق والتفويض وبينة العقد، فيحدث ادعاء بأن الصداق إما هو أقل أو أن التفويض لا يكون بتقدير من الزوج.[4]

وربما يصل الأمر إلى تصرفات عنف كردة فعل فطرية على المجتمع الذي يتحكم بتصرفاته العرف السائد والتقاليد المتعارف عليها، وارتكازه على الفقهاء في إضفاء الشرعية الدينية لمعظم الممارسات التي تمارس على المرأة، وفي بعض الأحيان تخرج الزوجة عن طورها أثناء الخلافات الزوجية. هنا نجد فقيه أبي صالح جنون[5] يروي أنه ذهب عند شيخه

---

1 –**المهر:** وتعني الصداق، وهو من أركان الزواج في الشريعة الإسلامية لكنه يتماشى مع مستوى الشخص من الناحية الاجتماعية. ينظر: شوقي ضيف وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، ص 890. ينظر أيضا: مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص201.

2 – الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 46.

3– نفسه، ج2، ص46.

4 –المازوني: المصدر السابق، ج2، ص144، 380.

5 –**أبو صالح جنون:** هو أبو صالح جنون بن يمريان، أصله من سدراته إيزوزام، أخذ العم على يد الشيخ يوسف يعقوب، وقد صنفه الدرجيني ضمن الطبقة السابعة. ينظر: الوسياني: سير الوسياني، ج1، ص274. ينظر: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(670 هـ/ 1272م) : **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاى، مطبعة البعث، (د، ط )، قسنطينة، الجزائر، (د، ت)، ص ص 341– 342.

أبي يوسف يعقوب[1] ليشتكي إليه سوء ما صنعت به زوجته التي أقدمت على لطمه بعد أن أسمعها كلاما لا يعجبها، وكانت في ذلك الوقت تعجن، وكان دليله على اللطمة وجود أثر العجين على خدّه، فكان رد شيخه أن كشف عن عنقه، وقال" ضربتني زوجتي البارحة بالمقلاة فصارت طوقا في عنقي"[2]، ولهذا نجد ردة فعل العوام من الرجال بأن يحلف بتركها ويسافر، أو يطلقها تأديبا لها[3].

وقد يحلف الزوج بعدم تكليم زوجته مدة من الزمن لخلاف قد وقع بينهما[4]، وكان من بين أنواع التأديب أيضا هجران فراش الزوجية وعدم النفقة عليها[5]، فكان التأديب النفسي من الوسائل الناجحة التي تؤثر في الزوجة التي تبحث في الكثير من الأحيان عن ربط علاقة قوية وطويلة مع زوجها، وذكر صاحب المعيار في نازلة " أنّ رجلا غاب عن زوجته، فقامت المرأة وادعت أنه لم يترك لها شيء وأرادت الفراق فوجب لها"[6].

فهذه المشاحنات والردود القوية من طرف الأزواج، تدل على أن علاقة الحب في هذا المقام مفقودة، إلا في قصة الشيخ أبي يوسف يعقوب التي تنم على تغلغل علاقة الحب بينه وبين زوجته، وحلمه عليها بما يفرضه عليه الدين الحنيف والسنة المحمدية بالرفق عليهن في قوله – صلى الله عليه وسلم–" ...رفقا بالقوارير" [7].

ولهذا أعطى الإسلام الحق للمرأة في الخلع[8] بتطليق نفسها مثلها مثل الرجل[9]، إذا ما

---

1 – **أبو يوسف يعقوب:** هو الشيخ أبو يوسف يعقوب السدراتي المعروف بأطرفي الورجلاني، وكان شيخا ذا رأي ناصح. ينظر الوسياني: سير الوسياني، ج1، ص 428.

2 – نفسه، ج1، ص 433. ينظر أيضا: الدرجيني: طبقات المشايخ، ص ص 344– 345.

3 – البرزلي: فتاوى البرزلي، ج 2، ص 55.

4 – نفس المصدر، ج2، ص 53.

5– المازوني: المصدر السابق، ج2، ص405.

6– نفسه، ص19.

7 – رواه البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المعاريض مندوحة عن الكذب، رقم الحديث 5857.

8 – **الخلع:** الغة هو من خلعالشيء، كنزعه، ولكن في الخلع مهلة، وقد جعل البعض الخلع والنزع شيء واحد، وخلع النعل والثوب والرداء يخلعه خلعا جرده. ينظر ابن منظور: المصدر السابق، مج2، ج15، ص 132.

9 – المازوني: المصدر السابق، ج2، ص 9.

رأت أمورا من زوجها كضربها أو الإساءة لها، وقد أوردت كتب النوازل[1] ذلك بعدة نصوص كالنازلة التي سئل عنها أبو عثمان العقباني "عمن خالع زوجته على أن تتحمّل له هي وأمّها مؤونة ابنته ما دامت عندها"[2]، وهنا تخلى عن نفقة ابنته ما دامت عند أمها، ولم يقتصر الخلع على الرجل فقط، فإن لم يرض الرجل بالخلع، كان للمرأة الحق في أن ترفع أمرها إلى القاضي ليحسن عشرتها أو يفرق بينهما[3]، وفي هذا الموضوع سئل أبو الفضل عن رجل قام بضرب زوجته فأذاها، فتمشي إلى دار أوليائها فيردونها بعد أن يتوب عن فعلته، لكنه يكرر فعلته ويضربها ويسبها، فرفعت أمرها إلى القاضي لكثرة أذيته لها[4].

وكانت المرأة إذا أرغمت على الزواج بمن لم تحب، اضطرت إلى الهروب من بيت الزوجية[5] إذا تم الزواج، فكانت نساء جبل قسنطينة يهربن إلى الجبل إذا لم يرضين بالزوج، وأحيانا تترك وراءها أطفالها إما للالتحاق بمن تحب فتتزوج منه، أو خلاصا من زوجها، وهنا أثرت المرأة على العلاقات الاجتماعية بين الزوج وأهله وبين المحبوب، وقد تصل إلى نشوب الحروب حول هذا الموضوع، وكان حلها في الغالب تزويج بنت أو أخت الرجل الذي احتفظ بالهاربة من الزوج[6].

وتفاقمت هذه الظاهرة كثيرا، وكان لنساء المغرب الأقصى نفس ذهنية نسوة المغرب الأوسط، حيث كنّ يهربن إلى جبل مرنسية، وقد تعوّدن على فعل هذا الأمر لمجرد أن يشعرن بالإهانة من أزواجهن ولو كانت ضئيلة[7]، وهنا نجد التمازج الذهني والحضاري بين المغرب الإسلامي ومناطقه حتى في انتشار بعض الظواهر الاجتماعية كهروب الفتيات مثلا، وهذا جراء اضطهاد المجتمع للمرأة في تزويجها بمن لا تحب، وتجاهل مشاعرها.

1- الونشريسي: المصدر السابق، ج4، ص118-110.
2- نفسه، ج4، ص9.
3- الونشريسي: المعيار، ج4، ص 201.
4 - نفسه، ج4، ص292.
5 - ابن رشد: نوازل ابن رشد، ص 56.
6 - حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 103.
7 - حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص ص260.

وإذا افترضنا وجود علاقة الحب بين الجنسين، فهي في الغالب ما تكون مستترة بسبب القيود الاجتماعية التي تحتّم على المرأة التكتّم وعدم الجهر به، ودليل ذلك أن معظم كتب مصادر المرحلة تتجاوز هذه الفكرة، وكتمتها هي بدورها عن التاريخ، فهناك دلالات نستنتج من خلالها وجود الحب بين الزوجين من عدمه، حيث هربت الزوجة من بيت الزوجية. ويعتبر الرضا بالزواج كتصريح واضح للارتياح والميل للطرف الآخر، فيتم على أساسه البناء على الفتاة.

**2-المرأة والجسد في مجتمع بلاد المغرب الأوسط**

**أ- أثر مفاتن الجسد وعيوبه عند نساء المغرب الأوسط**

كانت عامة المجتمع تهتم بالدرجة الأولى بالجمال الظاهري[1] من البدن، وما يحمله من جمال الثياب، وما تخفيه من مفاتن الجسد، وبين هذا وذاك نجد أن من شروط اختيار الزوجة أن تكون المرأة طويلة القامة والأطراف، والشعر والعنق، ويستحب أن يكون لسانها قصيرا، وألاّ تكثر الخروج وألاّ تبذر المال، ويستحسنون فيها بياض اللون والثغر والعينين.[2]

ولخصها أهل اللغة في قولهم: " ...الحلاوة في العينين والملاحة في الفم، والجمال في الأنف، والظرف في اللسان"[3]، ونجد حتى كتب المصادر التي تجرأت وذكرت المرأة ضمن كتاباتها نجدها تصف في مفاتنها الجسدية أكثر من الصفات الروحانية، أمثال حسن الوزان في قوله: " ... والنساء جميلات بيض البشرة سود الشعر اللامع..."[4].

وفضح الشعر مكنونات المجتمع اتجاه جسد المرأة، والرغبة في تملكه كاملا دون نقصان، وبحثه الدؤوب عن النساء المثاليات اللواتي يتنزهن عن الصورة التي رسمها لها

---

1 - أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (617- 694هـ/ 1220- 1295 م): **ري الأورام (أمثال العوام في الأندلس)**، تح: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس بمساعدة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، القسم الأول، فاس، 1975، ص34.

2- شهاب الدين أحمد المغربي التلمساني ابن أبي حجلة: **ديوان الصبابة**، تح وتق: سعد زغلول، منشأة المعارف، ( د، ط)، الإسكندرية، مصر، (د، ت)، ص32.

3- ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص32.

4 - حسن الوزان: وصف إفريقا، ج2، ص 53.

المجتمع من أنها ناقصة عقل ودين، وهي مصدر كل البدع وشر يلحق بالرجل، فكان يبحث عن نموذج نساء الحور العين اللائي تتواجدن في جنة السماء، فحاول رجل المغرب الأوسط البحث عن هذا النموذج في جنة الأرض[1].

وصوَّر الشعراء الزيانيون صورة متكاملة للمرأة من خلال وصف ملامحها الجسدية ودلّوا على أن زينة النساء في أجسادهن ودلّوا على إعجابهم بالنساء الطوال، أما القصيرة الغليظة من النساء، فهو نوع مذموم[2]، فقوام المرأة من الجمال ما يغري، ومن الحسن ما يفتن لأن المرأة مهما حرصت على إخفاء مفاتنها، فإنها لا تستطيع أن تخفي ذلك في قوامها، ومن الذين أُعجبوا بطول المرأة وجمالها الشاعر، ابن الخلوف القسنطيني[3] في ديوانه.

ونجد أن النساء البدينات مرغوبات[4]، حيث كان الوالد عند تزويج ابنته، وهي صغيرة يشترط بقاءها في منزله لتسمينها[5]، لأن من مقاسات الجمال في زمن الدراسة، المرأة البدينة حيث أشاد شعراء تلك الفترة بالمرأة ذات الأرداف الضخمة والصدر الكبير[6]، أمثال الشاعر ابن خميس التلمساني[7] والعفيف التلمساني[8]، وأطنب هذا الأخير في وصف خدود النساء[1]، فكان

---

1 – محمد ياسر الهلالي: المرجع السابق، ص90.

2 – ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص66.

3– **ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين**، تح، العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، (د، ط)، الجزائر، 2004، ص136.

4 – الزجالي: ري الأورام، ج2، ص 34.

5– البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص ص 272، 273.

6– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص112. ينظر أيضا: أبو عبيد البكري (ت487هـ/ 1094م): **المغرب في ذكر افريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، (د، ط)، القاهرة، (د، ت)، ص 158. ينظر أيضا: أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد التجاني (ت 717هـ/ 1317م): **تحفة العروس وزينة النفوس**، تح: جليل العطية، مؤسسة رياض الريس للكتب النشر، (د، ط)، لندن، قبرص، 1992، ص 111.

7– **ابن خميس التلمساني:** هو محمد عمر بن محمد بن عمر الحجري الرعيني، أبو عبد الله الشهير بابن خميس التلمساني (نحو 708–645هـ /1309–1247م)، شاعر فحل، ولد بتلمسان، ولي في ديوان الإنشاء في عهد أبو سعيد يغمراسن وأمان سره، قتل في مستهل شوال. ينظر: عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص135.

8– **العفيف التلمساني:** هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني عفيف الدين: (690–610هـ /1291–1213م) المشهور بالعفيف التلمساني، من الشعراء الأدباء من قبيلة كومة، رحل إلى المشرق ودخل القاهرة،

تسمين الفتاة علامة من علامات الاعتناء بجمالها، وكان الأهل يفطرون بناتهم في شهر رمضان خيفة على حدوث تغير أجسامهن من الحسن ونقص وزن أبدانهن[2]، ما فيه مخالفة الدين في هذه الظاهرة بتشجيع من المجتمع، لأن المرأة البدينة أكثر حظّا في الزواج من النحيفة[3]، ولم يتورّعن عن أكل مرارة الأدميّ، حيث شاع في تلك الفترة أنّ من أكلها، تزداد شهيته في الأكل، وقلّ أن يشبع من طعام فيزداد أكلها سمنة[4].

وذكر الفقهاء موضوع العيب الجسدي الذي يعتبر من أسباب رد الزوجة وتطليقها، فإذا وجد الرجل عيبا جسديا، من حقه أن يطلق خاصة عندما لا يرضى بالعيب، سواء كان العيب قبل الزواج مخفيا، وكشفه بعده، أو طرأ العيب بعد ذلك وعندماعلم، هنا يجوز طلب التفريق[5].

وهناك عيب جسدي آخر لا يتنازل عنه الرجل، وهو من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في المرأة وهي البكارة[6]، لأنها تعد الدليل الوحيد على عفتها[7] أمام المجتمع والقاضي، الذي يمثل السلطة التشريعية والدينية، فحبب لهم نكاح الأبكار من النساء، فنجد مسألة عيب البكارة وهي أن يتزوج رجل امرأة على أنها بكر[8]، فإذا هي ثيب[9]، فيختار مفارقتها ولا يدفع من

---

وتنقل إلى بلاد الروم، ثم سكن دمشق، كان له مقام عند السلطان، توفي بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية، من آثاره، ديوان شعر "شرح المواقف للنفزي وغيرها. ينظر: عادل نويهض: المرجع السابق، ص235.

1 – سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي المشهور بالعفيف التلمساني: **ديوان الشاب الظريف**، تح: محمد قنينش، موفم للنشر، (د، ط)، الجزائر (د، ت)، ص ص 113، 118.

2 – الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 487– 488. ينظر أيضا: العقباني: تحفة الناظر، ص 98.

3– برنشفيك: تاريخ إفريقيا، ج2، ص 178.

4 – العقباني: تحفة الناظر، ص 100. للاطلاع أكثر ينظر أيضا: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج1، ص 226.

5– الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 139.

6 – تقي الدين النبهاني: **النظام الاجتماعي في الإسلام**، دار الأمة، ط4، بيروت، 2003، ص 111. ينظر أيضا: حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص ص 199، 200.

7 – الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 133.

8– **أبكارا:** بكر بكورا، خرج أول النهار قبل طلوع الشمس، المرأة ولدت ولدا أول ما ولدت، والبكر، أول كل شيء، وأول ولد للأبوين، ذكرا أو أنثى. ينظر: شوقي ضيف وآخرون: المعجم الوسيط، ص67.

9– **ثيب:** ثيبت المرأة أي صارت ثيبا فهي مثيب، والثيب هو غير البكر. ينظر: نفس المرجع، ص67.

الصداق شيئا[1]، وأشار الونشريسي إلى مشاكل تعلقت بهذا العيب منها " ... من تزوج بكرا فدخل بها وادعى أنه وجدها ثيبا..." وهنا لا يجوز له الطلاق ويسقط عنه، بناء عن النازلة[2].

ولهذا نجد الرجال يتحجّجون بهذا العيب الجسدي لقطع هذه العلاقة المقدسة، لكسب المال بإرجاع الزوجة للصداق وتعويض الضرر، أو لطعن في شرفها إن كان مدعيا[3]، وفي هذا كلام كثير ووجهة نظر، ومع هذا سكت عنها المؤرخون في العصر الوسيط، ونحن نستتشفّ مصادر المعلومة من النوازل مالها وما عليها من قضايا وأحكام تدور داخل المجتمع، وللفقهاء مفاتيح حلها من القرآن والسنة أحيانا، ومن العرف السائد والتقاليد المعمول بها أحيانا أخرى.

فنجد البرزلي يبرز أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– يكره أن يزوج الرجل ابنته من القبيح الذميم أو الشيخ الكبير[4] نظرا لمعاناة الفتاة من هذا الزواج، خاصة إذا كانت صغيرة وزوجها طاعن في السن، وهو ما تشير إليه ظاهرة تفشي زواج الفتيات الصغيرات في السن زمن الدراسة، لهذا أقدمت بعض الفتيات بفض غشاء بكارتها بنفسها لعدم رضا الفتاة بالزوج[5]، وهو إعلان منها بعدم ربط أي علاقة عاطفية من أجل جسدها، بل يجب أن تكون العلاقة العاطفية والوجدانية كالحب والرغبة فيه، هو أساس قبولها و اختيار الرجال لها.

كما أن في العصر الوسيط شهد المغرب الأوسط العديد من الأمراض والأوبئة[6]، فقد أثرت سنوات المجاعة التي اجتاحت الدولة الزيانية[7] على سلوك المرضى، وظهرت العيوب الجسدية أكثر، وخصوصا ما تعلق بالمرضى، إذ يذكر المازوني في نازلة عن رجل تزوج

---

1- الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص130.

2- نفسه، ج3، ص166.

3 - نفسه، ج3، ص 139.

4- البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص176.

5 - الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 130، ينظر أيضا: ابن الحاج: نوازل ابن الحاج، ص73.

6 - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب (الموحدين)، ص181. ينظر أيضا الغبريني: عنوان الدراية، 135، 151. ينظر أيضا: التنبكتي: نيل الابتهاج، ص320، ينظر أيضا ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 194.وينظر أيضا: أبو يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ/ 1479): **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح: مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، ج2، ط1، الجزائر، 2004، ص ص 27، 41.

7 - ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، ص 149. ينظر أيضا: يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص ص 325- 326. محمد بن سعيد ابن صعد الأندلسي: روضة النسرين، ص ص 225- 226.

امرأة فظهر بها جذام بعد بنائه بها بحوالي ثمانية أعوام، فهل يحق له هجرها أم لا؟ فأفتى الفقهاء بجواز التفريق بين الزوجين إذا كان المرض خطيرا[1]، ويسأل العقباني في نازلة عن امرأة مرضت مرضا شديدا، فتعذر على الزوج معاشرتها، فهل تسقط عليه نفقتها بعد أن وعدها أن لا يتزوج عليها[2].

ومن هنا نجد علاقة الرجل مع المرأة يتحكم في دوامها وصلابتها جمال جسد المرأة وكماله دون عيب أو نقصان، وذهنية المجتمع المبنية على الدين والعرف السائد وتقاليد الأسلاف الغابرة.

**ب – لباس الجسد وزينته عند النساء وأثره على مجتمع بلاد المغرب الأوسط**

تميزت الألبسة عند نساء المغرب الأوسط حسب وضعية الفئات الاجتماعية، وكان لتأثير المناخ وطبيعة العيش السائدة كلمته الفاصلة في الموضوع، ناهيك عن الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها المرأة.

فنساء الحضر لبسن الألبسة المصنوعة من الصوف والكتان، والقطن، أما الألبسة الحريرية فكانت حكرا على النساء الغنيات من ذوات المال والجاه بسبب ثمنها المرتفع، وبما أن منطقة المغرب الأوسط منطقة تتوفر فيها مادة الصوف ورخص ثمنه[3]، وبالمقابل كثر النساجون والخياطون حتى من عامة الناس[4]، لهذا لبست نساء العائلات الميسورة ماديا الألبسة المصنوعة من الصوف والكتان، بينما نساء البوادي لبسن الخشن منه[5]، مثل الجبة التي تحاك من الصوف والكتان الغليظ والقطن.[6]

---

1–المازوني: الدرر المكنون، ج1، ص 263.

2– نفسه، ج1، ص 464.

3 – بلغ ثمن خرقة من الصوف 30 درهما في مدينة بجاية خلال القرن 7هـ /13م. ينظر: الغبريني: عنوان الدراية، ص 161.

4– عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص ص 221، 223.

5– عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص382–381. ينظر أيضا: مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص269.

6– عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص136.

كما ارتدت النساء لباس الكساء[1] الذي كان شائعا في بلاد المغرب الأوسط، خاصة في المناطق الريفية، بالإضافة إلى اللحاف[2] والبرقع[3].

ونجد نساء تلمسان، كغيرهن من نساء المغرب الإسلامي، لبسن السفساري (اللحاف)، والشاشية السلطانية المطرزة بخيط الذهب[4]، بالإضافة إلى الكنبوش أو كمبوش[5]، كما وجدت بتلمسان ثياب تعرف بالتلمساني[6].

وارتدت المرأة قمصانا من قماش القطن وإزارا[7] من الحرير عند النساء الغنيات، أو من كتان وصوف لدى عوام النساء[8].

وشاع لبس السراويل عند نساء المغرب الأوسط الحضريات منذ العهد المرابطي، حيث جعل قاضي فاس محمد بن عبد الرحمن الكتامي الرجال والنساء يلبسونه، واستمرت هذه العادة لعدة قرون[9]، ولبسن السراويل عند خروجهن من البيت فقط، وتركن التسرول داخل

---

1- أبو بكر الزهري: كتاب الجغرافية، ص113. ينظر الملحق رقم 17.

2 - ويكون اللحاف عريضا يلف على أجسادهن ويشد بحزام على الخصر، واللثام يوضع على الوجه ويربط إلى الوراء حول الرقبة. ينظر: عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص134. ينظر الملحق رقم 16.

3 -**البرقع:** هو ما يغطي به الوجه. ينظر: عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص 135.

4- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص269.

5-**الكنبوش(كمبوش):** اختلفت فيه التعريفات، فمنها أنه ثوب تضعه المرأة على رأسها وتختلف طريقة استعماله بين نساء المدن والبوادي. ينظر: عبد الحق الباديسي: **المقصد الشريف**، تح: ذاعراب، (د، ط)، الرباط، 1993، ص 135. ينظر أيضا: الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 100. ينظر الزجالي: المصدر السابق، ص 96.

6 - **التلمساني:** وهو نسيج من الحرير والصوف وقد أشتهرت به مدينة تلمسان فنسبة إليها. ينظر: سعدون عباس نصر الله: دولة **الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (172- 223هـ/ 788. 835م)**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1987، ص 141. ينظر أيضا: مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية الأوضاع الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، ج3، (د، ط)، الجزائر، 2009، ص 123.

7- **إزار:** وهو عبارة عن قطعة قماش مصنوعة من الحرير للنساء الميسورات الحال، ومصنوعة من الكتان والصوف للأقل غنى، فتلفه النساء جسدها به، ويكون فضفاضا تغطي ملابسها كلية، وكانت المرأة المسلمة تلبسه بلون أبيض، أما نساء أهل الذمة فيلبسنه ملونا، حيث كانت ملابس المسيحيات تحمل اللون الأزرق، واليهوديات يلبسنه ذو لون أصفر. ينظر عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص ص 269، 302.

8 - ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 112.

9 - حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص197.

البيوت، ولبسن ثيابا رفيعة وضيقة[1]، حتى أمر ابن الحاج بلبس السراويل حتى داخل البيوت، والسبب هو ما يفعله بعض النسوة من لبس الثياب القصيرة دون سراويل، مع الوقوف في باب الريح على السطوح وغيرها، حتى أن من رفع رأسه أو التفت رأى عورتها[2] بالرغم من أنّ الشرع فرض على المرأة أن تستتر، وكانت نساء البوادي لا يلبسن السروال لا داخل البيت ولا خارجه[3].

وتسبب الجلوس على الأرض مع عدم لبس السروال إلى حدوث ألم النسا والركبة[4]، مع لباس النساء للضيق والقصير من الثياب زاد من حدة المرض من جهة، ومن جهة أخرى فقد كرس نظرة الشك اتجاه المرأة، لأن هذا اللباس يجعلها أكثر إثارة وفتنة للرجل، ولهذا نُصح الخياط بتجنب تفصيل أو خياطة الملابس الضيقة والقصيرة[5]، لأن ذلك إعانة على الزنا[6] ومنه النساء بملابسها تؤثر على الفتوى وذلك بإحداث نوع من الضغط الاجتماعي لترجيح العرف السائد في المنطقة، واعتبروا المرأة أنها مصدر للفتنة، وتساعد الرجل على فعل المحرمات كالزنا وغيره.

ووصف الحسن الوزان النساء من فئة الصناع أن لباسهن أحسن أحيانا من لباس أهل فاس، فكان أكثر أناقة وسخاء[7]، وذكر العقباني أن الإماء كن يخرجن ملتحفات كالحرائر، أو مكشوفات الرأس غير متحجبات، ولا تُلقي على رأسها جلبابا حتى يميز الناس الأمَة من الحرة[8].

1 – ابن الحاج: المدخل، ج1، ص 242،
2 – نفسه، ج1، ص 244.
3 – إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج3، ص 476.
4 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 83.
5 – ابن الحاج: المدخل، ج1، ص 45.
6 – نفسه، ج1، ص 46.
7– حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص21.
8– العقباني: المصدر السابق، ص80– 79.

ويروي مارمول عن النساء فيقول:" لباس التلمسانيين أكثر أناقة مما هو عليه بفاس والنساء جميلات وزيهن كزي نساء مراكش"[1]، وكانت نساء المغرب الأوسط يصنعن ملابسهن بأنفسهن من الصوف والكتان والحرير والجلود التي صنعت منها الحقائب وغيرها[2]. وكانت هذه الصناعات وافدة على أرض المغرب، حيث تعلمت المرأة هذه الصناعات من الأندلسيين، فأتقنتها بسرعة، وكانت جودة ما صنعت أناملهن تفوق جودة البضائع الأندلسية ومع مرور الزمن، أصبحت هذه المنتجات مغربية أصيلة، خاصة صناعة الجلود ودباغتها والزرابي المغربية، والأحذية الفاسية والصناعة المعدنية والنقش عليها[3].

هنا نرى التمازج الحضاري بين النساء الأندلسيات والمراكشيات ونساء حواضر المغرب الأوسط، خصوصا تلمسان، وهذا ما يثبت على أن المد الحضاري بين حواضر المغرب الإسلامي لا تعوقه الحدود الجغرافية الوهمية في تلك المرحلة، ونجد من بين أسباب انتشار الملابس الأندلسية بالدولة الزيانية خصوصا، قربها من الموانئ كميناء كهنين[4] والميرية[5].

كما نجد أيضا الملابس المشرقية بتلمسان، بالإضافة إلى الملابس الأوروبية[6]، وقد ذم المازوني لبس النساء للباس الأوربي دون غسله، لأنها صناعة قوم لا يعرفون الذكاة، وقيل: كره أكل طعام أهل الكتاب وذبائحهم وما يصنع منه دون غسل[7].

1- مارمول كربخال: المصدر السابق، ج2، ص300.

2 - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص ص 221، 223.

3 - حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي العصر الحديث**، (د، ن)، ط1، لبنان، 1982، ج1، ص 417.

4- **هنين:** مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، لها ميناء صغير محروس ببرجين، تتدفق فيها السفن وتحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان، يعتبر ثاني ميناء رئيسي لبني زيان. ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص15.

5- **الميرية:** مدينة كبيرة بالأندلس، يركب فيها التجار، وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن، وهي قريبة من البحر حيث يضرب ماء البحر صورها. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص119.

6- مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص116.

7- المازوني: الدرر المكنون، ج1، ص135-133.

وكانت المرأة تلبس الأحذية المصنوعة من الجلود، وتفنّنت النساء في ارتداء ما يناسبهن من الأحذية المصنوعة من الجلد الناعم، والمطرز بالحرير والذهب[1]، وتنوعت الأحذية بتنوع الأذواق ورقي مكانتها الاجتماعية، وتعدد المناسبات الاجتماعية التي بدورها تحتم على المرأة ارتداء ملابس مختلفة، ومن هذه الأحذية ما يعرف بالنعل والخف[2] والقبقاب[3]، الذي جلبه الأندلسيون إلى المغرب الأوسط، ولبسته النساء متأثرات بالأندلسيات[4].

ونهى المهدي بن تومرت والفقهاء من ارتداء الأخفاف الصرارة التي تحدث صوتا عند المشي[5]، ونهى أيضا الخرازون عن صنعها، لأن النساء يستعملنها عامدات ويمشين بهنّ في الأسواق ومجامع الناس[6]، بالإضافة إلى البلغة، والسندالة، والخف، التي كانت تطرز بخيوط الذهب[7]، وهذا ما يثير الشبهة، والتزين في الطرقات يكون مجلبة للأذى، لأن المرأة بالنسبة للتركيبة الذهنية للمجتمع والفقهاء، تعتبر مصدر شرور للرجل بسبب مكرها وشدة حيلتها التي تؤدي إلى إتلاف نفسه وماله وحتى عقله[8].

---

1 – حسن الوزان: المصدر السابق، ص 198.

2 – **الخف:** وهو ما يلبس في القدمين إلى الكعبين، وقد يصل إلى نصف الساق طولا، واحيانا آخرى يصل حتى الركبيتن، وقد لبسته النساء بكثرة، ويصنع من الجلد أو الصوف أو الكتان وغيره. ينظر: ابن أبي زيد: **متن الرسالة**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، (د، ط)، المحمدية، 1984، ص 137.

3– **القبقاب:** هو نعل من الخشب علوه بين 8، 10 و3، 24 سنتمتر، أخذ اسمه من الضجة الصوتية التي يحدثها أثناء السير، مغطى بجلد مطرز بالحرير مصنوع من خشب الليمون، والأكثر صلابة مصنوع من خشب التوت. ينظر: عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص136. ينظر الملحق رقم 08، ص125.

4 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 243.

5 – محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تح: عبد الوهاب بن منصور، (د، ن)، ط2، الرباط، 1969، ص 77.

6– الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص420.

7– حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 254. وللإطلاع أكثر حول أنواع ألبسة القدم. ينظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص268.

8– ابن الحاج: المدخل، ج3، ص ص51– 52.

ودعا الرسول– صلى الله عليه وسلم– الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر[1]، فالزينة تزيد في المرأة لمسة سحرية تتلخص في الجمال والإثارة، واللذة من خلال الأزياء التي تلبسها، وهذا ما كانت عليه نساء المغرب الأوسط[2].

كما تزينت نساء المغرب الأوسط بالسّوار والعقد اللذين يصنعان من الذهب[3] لدى الطبقة الغنية، ومن الفضة أو الحديد أو النحاس لنساء العامة[4]، إضافة إلى الخلاخيل[5] والأقراط والخواتم[6].

ويصنع لنساء طبقة الأغنياء ليلة البناء حليّ[7] وثياب فاخر من الشرط الذي يقدمه[8] لهن أزواجهن في اليوم الثاني من البناء، ويسمى" إتحاف العروس"[9]، وما تجعله المرأة من تزيين نفسها[10]، يعطيها رونقا خاصا وجمالاً يغري[11] .

وصنعت المرأة حليا خاصا لشد الكساء الطويل أو الملحفة جهة الأكتاف، يسمى بالأبازيم التي تصنع من الذهب أو الفضة، أو من المعدن حسب الحالة الاجتماعية للأسرة[12].

والملاحظ أن صناعة اللباس والزينة لا تمتثل لظروف الأسرة الاقتصادية من فقر كان أو غنى، بل كانت حاجة اجتماعية تمليها رغبة وذهنية إنسان المغرب في الظهور بزي حسن

---

1– ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص33.

2– نفسه، ص65.

3– لسان الدين الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 139. ينظر أيضا: بوزيان الدراجي: **أدباء وشعراء من تلمسان**، دار الأمل للدراسات، ج3، (د، ط)، تلمسان، 2011، ص22

4 – حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص ص 110، 252.

5 –**الخلاخيل:** لفظة عامة لكل ما يلبس منه حلي في الساق. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 221. ينظر أيضا: حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص 252.

6– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص269.

7– ينظر ملحق رقم 18.

8– كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 16

9 –ابن الزيات: التشوف، ص 100.

10– ينظر ملحق رقم 19.

11– ابن أبي حجلة: المصدر السابق، ص31.

12– الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص 16.

وبمظهر أنيق، خاصة في الأعياد والاحتفالات والمناسبات المختلفة، فالمجتمع المغربي يعتبر اللباس وما يتبعه من زينة من أهم مظاهر المكانة الاجتماعية لمرتديه[1].

وكان إسراف المرأة في اللباس والتزيّن من أسباب تزعزع كيان الأسرة، حيث كانت مطالبهن فوق طاقة بعض الأزواج. وطلبت زوجة " كسوة تحضر بها عرس أخيها"[2]، فوصل بها الأمر إلى تفكك الأسرة بالطلاق وهذا نتاج تأثر نساء المغرب الأوسط بالأندلسيات [3]، لأن الأندلسيات بالغن في التفنن في الزينة والمظاهر لدرجة التنافس في اللباس وفي التزين بالحلي الذهبية المختلفة الأشكال، والأحجار النفيسة كالياقوت وغيره من نفيس الجوهر[4].

ويتضح من خلال ما سبق، أن اللباس والزينة في المغرب الأوسط لا يختلفان كثيرا عن مثيلتهما في باقي مناطق الغرب الإسلامي، ولم يكن للامتداد الجغرافي أي تأثير عليه. فقد تسببت المرأة في بروز بعض الفتاوى التي تهذب من لباسها وزينتها، وتحدد أماكنها ومناسباتها مما جعلها تنصاع لبعضها وفي الغالب، لم ترضخ لتلك الفتاوى بل كان العرف هو سيد الموقف.

**صفوة القول:**

إن المرأة حظيت بمكانة اجتماعية محترمة داخل مجتمع المغرب الأوسط، إلا أننا نلاحظ تباينها بين نساء بلاط الحكم ونساء العامة، فلكل فئة تأثير على المجتمع الذي يحيط بها، وتؤثر فيه بشكل إيجابي أو سلبي. ولكن هناك عامل مشترك في ذلك وهو الجسد الذي كان محط كل اهتمام من كلا الفئتين، وكان حظ المرأة عموما هو نفسه، لأنها تزوج لمصلحة سياسية وقبلية، أو للحفاظ عليها من الهروب والخطف.

---

1 – سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 141.

2 –ابن الزيات: التشوف، ص 230.

3 – الزجالي: المصدر السابق، ج1، ص 242.

4 – ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م): اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص 66.

## الفصل الثاني: الحضور الاجتماعي للمرأة العاملة في المغرب الأوسط

### المبحث الأول: نشاط المرأة في حقل التجميل بالمغرب الأوسط

كان لزاما على النساء تجميل أجسادهن بمختلف أنواع الزينة المتاحة في بلاد المغرب الأوسط، وذلك لكسب حب زوجها وإرضائه، أو بهدف إغواء الرجال، ويعتبر ذلك كسلاح حريري بيد النساء يستعملنه في كل وقت، وهذا على أساس قول المتصوفة والأولياء الصالحين الذين يعتبرون أن لا أضر شيء في الدنيا على الرجل من النساء[1]، لأنهن كيان مزعج ورمز للغواية والشر[2].

وتزينت المرأة لزوجها بأنواع الزينة لباسا وحليّا وحناء[3]، ولهذا كان اهتمام جميع النساء على اختلاف طبقاتهن بالتجميل والتزين والكساء بأنواعه بمناسبة أو بدونها، فنجدها في بعض الحالات تبدي زينتها لغير زوجها[4]، فانتشرت ظاهرة التزين والتزيين في أوساط نساء المغرب الأوسط، وبرعت بعض النساء في حرفة التجميل، فجعلنها مهنة تقتات منها.

#### 1-الماشطة

انتشرت مهنة الماشطة في المغرب الأوسط مع انتشار الحمامات وقدوم الأندلسيات إلى المغرب بعد أن كانت حكرا على المريضة والنفساء والعروس التي تحرص على تجميل وتزيين نفسها ليلة الزفاف، والماشطة تتولّى مهمة تجميلها نظير أجر معين[5]، وهذا استنادا للنازلة التي تقول" ... من تزوّج ماشطة وشرطت عليه في عقد النكاح أن لا يمنعها صنعتها"، أفتى الفقهاء بوجوب الصنعة[6].

---

1 – عبد الله عبد القادر التليدي: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، دار الأعيان، ط3، الرباط، 2000، ص 57.

2 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 46.

3 – ابن الزيات: التشوف، ص ص 100، 173، 237.

4 – نفسه، ص 258.

5 – كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص16.

6 – الونشريسي: المعيار، ج3، ص ص278– 279.

وليس للماشطة مكانا مخصصا للعمل. فهي تذهب للنساء في بيوتهن، وتطرق الأبواب بصفة يومية تعرض خدماتها لهن، وتصفف شعر النساء وتصبغه بالأصباغ[1] داخل الحمام أو خارجه، لأن الرجل يعشق المرأة الشقراء[2] لتأثره بالذهنية الأندلسية والنساء الروميات. ولهذا شاع بيع الظفائر المصبغة بين النساء[3]، وتسرح شعرها بالنضوح المصنوع من التمر والزبيب والبيض[4]، وتجعل المرأة في أبهى حلة[5].

واهتمت جميع النساء بجمال جسدهن، وخاصة شعرهن باختلاف فئاتهن[6]، ومشطت شعرها بمشط الفضة، الأمر الذي ذمه الفقهاء.[7]

وللحفاظ على جمالهن وإخفاء العيوب الجسدية، استعملت النسوة العديد من وسائل التجميل كدهن جسدها ببعض الطيب والأصباغ التي تظهر جمالها[8]، وتستعمل في حمامها الغسل بالعسل واللبن والنخالة والعدس، ويدها بالأرز[9].

وصنعن المساحيق التجميلية[10] على بشرتهن لكسب بياض أكثر، ولخدودهن اللون الوردي[11] ولإزالة الآثار غير المرغوب فيها. وقد تطلي العروس جسدها ووجهها، ويطلبمنها

---

1 – صبغت النساء شعورهن باللون الأسود وبالحناء لإخفاءعيوبه، ودهن بدهن الأعلى ودهن قشرة الجوز الرطب ودهن الشقائق، وبطيخ الأملج. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 54.

2 – الزجالي: المصدر السابق، ج3، ص 34.

3 – البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 258.

4. نفس المصدر، ج1، ص 207.

5 – الونشريسي: المصدر السابق، ص 278.

6 – الزجالي: المصدر السابق، ج2، ص 502.

7– ولكن الفقيه ابن عرفة قد أجازه للتداوي به فقط، حيث وجد عنده بعد وفاته مرود نصفه من الذهب والنصف الآخر فضة. ينظر: الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص167.

8 – أبو عبد الله محمد بن إدريس الإدريسي (ت 560هـ/ 1162): **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ( د، ط)، الجزائر، 1984، ص ص 131، 134.

9. البرزلي: المصدر السابق، ج3، ص 252.

10 – Lévi Provençal: Histoire **de L'Espagne Musulmane**، Tome 03 Maison neure et Larose، Paris، France، 1999، P428.

11 – للاطلاع أكثر على مواد التجميل المستعملة في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط. ينظر: ابن رشد الجد: المصدر السابق، ج11، ص 145. وإبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 54 وما بعدها.

عدم غسله مدة أربع ساعات، أو أكثر لتصيير بشرتها ذهبية[1]، وبذلك تتخلى عن صلاتها، وهذا لا يصدر من مسلمات قد انتمين إلى الإسلام في قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " بين العبد المؤمن وبين الكافر ترك الصلاة". ومن ترك صلاة واحدة حتى خروج وقتها، حل سفك دمه، والزواج على هذا النحو، لا تكون فيه البركة[2].

وتزيّنت النساء بالكحل[3] المصنوع من الأثمد[4] لزيادة جمال عيونهن. وقد أقرّ الرسول – صلى الله عليه وسلم– التكحّل، وحفّز المسلمين على استعماله في قوله" عليكم بالأثمد فإنه يجلو البصر"[5]، فانتشرت ظاهرة التكحل عند النساء والرجال اقتداء بالرسول –صلى الله عليه وسلم–[6]، فاستندت النساء على الدين في تزيين العين بالكحل، وهنا اتفاق عام حول هذه الظاهرة.

واستعملت أيضا الكحل للعينين باستعمال المرود، واستاكت بالسواك[7]، وتعطرت بأنواع المسك والعنبر والبخور، وماء الورد والياسمين وغيره.[8]

وأجاز ابن تومرت التطيب بالطيب للرجال والنساء[9]، ولم تنصع نساء المغرب إلى بعض الفتاوى التي تحد من خروجها إلى أسواق العطارين لاقتناء العطور، وهذا يدل على

---

1 – أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي: **آداب الحسبة**، نشر كولان وليفي بروفنسال، مكتبة إرنست لورو Emest Leroux، (د، ط)، باريس، 1931، ص ص 50، 51.

2 – الونشريسي: المعيار، ج3، ص 252.

3– عبد الجبار بن حمديس (ت 527هـ/ 1132م): **ديوان شعر عبد الجبار بن حمديس**، تصحيح وتح: إحسان عباس، دار صادر، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1960، ص 544.

4 –**الأثمد:** هو حجر أسود يسحق قبل استخدامه. ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت 817هـ/ 1414م): **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان، 2005، ج1، ص 290.

5 – البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الإثمد والكحل من الرمد، ص 167.

6 – ابن القطان: نظم الجمان، ص 93. ينظر أيضا: ابن عذارى: البيان المغرب، ص 322.

7– **السواك:** يستخرج السواك من قشور جذور أشجار الجوز المنتشرة في بلاد المغرب الإسلامي، وخصوصا بغابة مدينة تبسة. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 64. ينظر أيضا: عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص151.

8– عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص269.

9 – مجهول: الحلل الموشية، ص 28. وينظر أيضا: البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص 13. وينظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 26.

اهتمام المرأة بجمالها وطيب رائحتها، وذوقها الراقي، واهتمامها الفائق بجمالها، وهذا ما أدى إلى زيادة في رواج المهن والصناعات التجميلية في العصر الوسيط، وهو ما نستشفّه من كلام صاحب التشوف عندما أورد أن بعض الأزمات والمشاكل في العلاقة الزوجية بسبب كثرة مطالب الزوجة، ومنها اقتناء لوازم الزينة المتوفرة في الأسواق وعند الماشطات[1].

ووصل الأمر بالمرأة أن تتناسى وتتحايل على الدين من أجل المحافظة على جمالها، مرجحة العرف على الدين، فكل ما سبق فهو تدليس وتمويه لخلق الله، بداية بالضفائر المسبلة التي تباع من أجل تطويل شعر المرأة على غير العادة، ناهيك عن تطرية الجلد وتبييض البشرة وغيرها، ووصل بها الحال إلى الإفطار في شهر رمضان مخافة نقص وزنها، لأن المجتمع كان يفضل الارتباط بالمرأة البدينة أكثر من ارتباطه بالمرأة النحيفة[2].

وهو ما يعتبر مقياس الجمال في تلك الفترة[3]، وغيرها من الأمور التي تستدعي تدخل فقهاء تلك الفترة أمثال العقباني[4]، وذلك لسن القوانين المستمدة من ديننا الإسلامي للحد من التدليس، ونجد من النساء من يتعطّرن ويتزيّن ويخرجن للأسواق، فيثرن الفتنة في أوساط الرجال، ولهذا أفتى الفقهاء بعدم خروج النساء المتطيبات إلى الأسواق[5].

وهنا نلاحظ وجود صراع محتدم بين العناصر المتفاعلة مثل: العرف، والدين، والمرأة مع البيئة والعنصر الأندلسي المستجد في المنطقة، فكان تأثير العرف والبيئة أكثر تأثيرا على المرأة من الدين، وخصوصا في جزء حساس جدا في المرأة، وهو جمال جسدها، ونعتقد أن المجتمع وطبائع الرجال هما من زادا في تهميش الدين وتغليب العرف في هذه الظاهرة وزاد في نشاط الماشطات داخل مجتمع المغرب الأوسط.

1 – ابن الزيات: المصدر السابق، ص 173.

2– برنشفيك: تاريخ إفريقيا، ج2، ص 178.

3 – العقباني: تحفة الناظر، ص 100. ينظر أيضا: الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج1، ص 226.

4 – تحفة الناظر، ص 98.

5 – ابن رشد الجد: مسائل أبو الوليد بن رشد، مج2، 145.

## 2-الواشمة

تعددت أشكال الزينة التي تتزين بها المرأة لإرضاء زوجها أو لحضور الأعراس وغيرها من المناسبات الاحتفالية، ومنها الرسم على الجسم بالحرقوص[1]، وقد جعلتها النساء مهنة تقتات منها، فأثار الفقهاء مشكلة فقهية حوله، وهو أن مادة الحرقوص تمنع تعميم ماء الوضوء على العضو المغسول، مما يترك في الجسم لُمُعة غير مغسولة، وهو أمر غير جائز عند بعض الفقهاء، وهو جائز عند آخرين مثل الإمام ابن عرفة[2]، ورغم المنع في استعمال الحرقوص، إلا أن النساء وخصوصا الحضريات، لم يمتثلن للنهي[3]، بل واصلن استعماله إلى يومنا هذا بعدة رسومات تترجم لثقافات المنطقة، ومبرزتا كل ما تؤمن به المرأة من عقائد[4].

كما استعملت المرأة في المغرب الأوسط الحناء لصبغ شعرها، ونقش رجليها ويديها وتخضيبيهما[5]، بل رسمت أشكالا تماثل ورقة الزيتون فوق الحاجب وعلى الذقن بخضّاب خاص، وكان بعضهن يصبغن الحاجب[6] زيادة في التزيّن لجلب حب زوجها، أو زيادة في حظوظ الزواج.

واحترفت الواشمة هذه المهنة، حيث صارت توشم وجوه النساء[7] زيادة في التزين[8] على الرغم من نهي الشريعة من هذا الفعل لقول النبي – صلّى الله عليه وسلّم–: ( لعن اللهُ الواشماتِ والمُستوشماتِ، والنامصاتِ والمُتنمِّصاتِ، والمُتفلّجاتِ للحُسنِ المُغيِّراتِ خلقَ اللهِ)[9]

1 –**الحرقوص:** مادة سوداء تستخرج من غدة نباتية مدقوقة وممزوجة مع قليل من سواد دخان أغصان الدفلة والزيت، وهو د يشبه المداد الصيني. ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج1، ص 615. ينظر ملحق رقم19.

2 – أبو الفضل القاسم عيسى بن ناجي (ت 839هـ/ 1438م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ( د، ن)، (د، ط)، تونس، 1990، ج4، ص 133.

3 – ابن الزيات: التشوف، ص 237.

4 – ينظر ملحق رقم 20.

5 – ابن الزيات: التشوف، ص 237.

6 – مليكة حميدي: المرجع السابق، ص 165.

7– ينظر ملحق رقم 21.

8 – ابن رشد الجد: المصدر السابق، ج 11، ص 145.

9 – رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عبد الله بن مسعود، الصفحة أو الرقم: 2125، صحيح.

ولكن هذه الظاهرة قد انتشرت بشكل كبير بين أوساط نساء المغرب الأوسط إما نتاج جهلهن، أو أن المجتمع فرض على المرأة تحسين ظاهر جسدها مهما كانت العواقب حتى وإن خالفت الشرع الإسلامي.

**المبحث الثاني: الحضور الإيجابي للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط**

**1-المرأة الخادمة ودورها الاجتماعي**

كانت ظاهرة استخدام خادمة تهتم بالأعمال المنزلية أمرا شائعا داخل الأسرة، وأوردت المصادر على أن الأسر الغنية تملك الخدم والجواري للخدمة إما شراء أو استئجارا[1]، ولا نستبعد أيضا أنه كان من عامة الناس من يملك الخدم، وهذا نتاج تأثير الحالة السياسية للدولة، حيث نجد بعد توسع الموحدين سنة( 577هـ/ 1181م)[2]، قد تم سبي أربعمائة من النساء بين كبيرة وصغيرة، ومائة وعشرين من الرجال. يقول ابن عذارى:" فكثر عند الناس الخدم وامتدت النعم"[3].

وعمّ الخير داخل مجتمع الأندلس كلما زادت الانتصارات وكثر السبيّ. وهو الأمر الذي ينطبق على المغرب الإسلامي برمته. فقد ملك عامة الناس الخادمات من الجواري للتدبير المنزلي، وكان الرقيق عنصرا أساسيا في تيسير سبل العيش.

وخدمت الجواري والنساء الأحرار لدى الأسر من غسل الثياب والأفرشة والطبخ والعجن والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء والغزل والنسيج، وغيرها من الأعمال المنزلية في الداخل والخارج[4] وذلك عن طريق الإيجار[5]، وأجازته الآراء الفقهية مثل ابن حزم الذي اشترط ذكر مدة الاستئجار ليعرف المستأجر حقه[6].

---

1- الشماخي: المصدر السابق، ص 179، أيضا: الوسياني: المصدر السابق، ورقة 33. وأيضا ابن الزيات: المصدر السابق، ص 219 وغيرهم.

2 - وهو هجوم على حصن قليج في الأندلس. ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 144.

3 _ ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 145.

4 - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 219. عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص495.

5 - المازوني: الدرر المكنون، ج1، ص 361.

6 - ابن حزم الأندلسي: المحلى، ج8، ص 190.

ومنع المذهب الحنفي استئجار الخدم لأنه منع قرض الإنسان[1]؛ أما الفقيه ابن الحاج فلم يجز الاستئجار وخاصة استئجار الأمة[2]، مخافة وطئها من المستأجر بدون عقد نكاح ولا ملك[3].

حيث ذكر لنا في نازلة أنّ امرأة ادعى عليها رجل أنه تزوجها، فأنكرت وقالت أنه اغتصبها، وأنكرت التزويج، وزعمت أنها كانت عنده أجيرة فغلبها على نفسها[4]، إذن هناك من يعارض ظاهرة الاستئجار، ومنهم من يجيزه بشروط، ولهذا يحرر عقد يثبت ذلك، فكنّ يستأجرن لعشرة أو خمسة أعوام[5]، وطالما تقوم بهذه المهنة الجواري، وخاصة السوداوات حيث أن بعضهن يقمن بغسل رزمة من الثياب، والتقت إحداهن بالشيخ أبي زكرياء[6] وأسمعته قصة ضياع رزمة ثياب الغسيل. فرد عليها قائلا: أنت ما تغسلين ثياب الفقراء؟ لو غسلت ثياب الفقراء، ما ضاعت لك الرزمة[7].

وهذا دليل على أن النساء كن يغسلن ثياب الأغنياء فقط بالأجرة، والأقدر على الدفع لها هي الأسر الميسورة الحال، ولهذا اشترط عليها الشيخ أبو زكرياء غسل ثياب الفقراء مقابل أن يعتقها[8]، وهذا المقابل كان لفائدتها أحسن من مقابل عمل لا تستفيد منه، لأنها جارية مملوكة. فالأجرة يقبضها من يملكها ولا عائد لها من عمل يدها[9].

---

1 – برونشفيك: المرجع السابق، ص 27. ينظر أيضا: عبد الإله بن مليح: **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص 386.

2 – المدخل، ص 35

3 – نفسه، ص 35.

4 – ابن الحاج: المدخل، ج1، ص 230.

5 – عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ص495، 496.

6– **الشيخ أبو زكرياء:** هو الولي الصالح أبو زكرياء المرجاني الموصلي فقيه وعابدوزاهد، توفي خلال القرن 7 هـ الموافق للقرن13 للميلاد، كان يقدم المساعدة لفئة العبيد، ويعاملهم معاملة ربانية. ينظر: – أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية، ص ص 178، 179.

7– الغبريني: عنوان الدراية، ص178.

8– نفسه، ص179.

9– عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ص495، 496.

وكان لاستئجار الخادمات شروط قد وضحها الفقهاء، ومن بينها " ...لا يجوز أن يستأجر الرجل المرأة الحرة أو المملوكة للخدمة إذا كان عزبا، وإنما يجوز ذلك له إذا كان معه أهل زوج أو خدم وكان مأمونا على ذلك"[1]، ويجب على المستأجر النفقة على الخادمة وكسوتها ومؤونتها في مدة الاستئجار المتفق عليها[2].

وكانت حالة الجواري الخادمات مزرية بالرغم من خدمتهن الشاقة، وكن لا يستفدن من عملهن في تحسين وضعهن المادي والاجتماعي، لأن الجارية لا تملك مالها، ويمكن لسيدها أن ينتزعه منها لأنه محجور عليها[3].

وكانت بعقود الاستئجار نوع من التعسف للجواري والعبيد، ولم تكن هناك شروط للعائد المادي من عمل يدها، وقد شارك الفقهاء في هذا التعسف لأننا لم نجد ما يوحي لنا بأن هناك عقدا بين العبيد عموما وساداتهم، وخصوصا في قضية استئجار الجواري من أجل الخدمة في غير بيت سيدها، مثلما هو موجود لدى المرأة الحرة إذا رغبت في العمل كخادمة لدى الأغنياء[4].

ونجد إشارات في المصادر تدل على وجود خادمات تهتم بالأعمال المنزلية لتسهيل سبل العيش للأسرة، وقد جاء في النوازل أن امرأة جاءت تشكو وجع يدها من العجين، وكثرة الأعمال المنزلية، فحكم على زوجها شراء خادمة تخدمها[5]؛ وطلبت أخرى من زوجها مملوكة لخدمتها[6].

واستخدم المتصوفة الخادمات، وذكر ابن الزيات أن رجلا صوفيا[7]اشترى خادمة عجوزا

1- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص 496.

2- نفسه، ص ص495.

3- ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ص 358.

4- عبد الإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص 329.

5 - البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص ص 359، 360.

6 - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 219.

7 - وهو أبو محمد عبد الحق بن ياسين الدغوغي توفي سنة (571هـ / 1175م). ينظر ابن الزيات: المصدر السابق، ص 224.

من أجل أن تطحن له ما يأكله الصالحون من أهل التصوف، ودفع ثمنها عشرين دينارا[1].

وعموما يعتبر وجود خادمات من إماء أو حرائر يخدمن بالأجرة، دليل على قوة الدولة مما يزيد في كثرة الخير والرخاء ويسر حال الأسرة جراء استخدام الخدم، وللخدمات أهمية كبيرة لما يقدمنه من أعمال كثيرة داخل المنزل وخارجه. ولهذا كان لهن التأثير الأكبر على المجتمع مما تقدمه للأسرة.

**2- دور المرأة المرضعة والحاضنة في مجتمع المغرب الأوسط**

وجدت مهنة الإرضاع في المغرب الأوسط على غرار باقي مناطق الغرب الإسلامي وذلك لارتباطها بالطفل المولود، لأن الحليب هو المادة الأساسية لنمو الرضيع، ولهذا كانت حاجة الأسرة لاستئجار أو شراء مرضعة ضرورة ملحة، وخصوصا للزوجة المريضة أو التي قلّ لبنها، أو حسب العرف الذي ساد في أوساط الأسر الغنية والنساء ذوات القدر والشرف لأنهنّ لا يرضعن[2].

فكانت معظم المرضعات من الإماء وخصوصا الجواري الزنجيات لكثرة حليبها[3] ولرواج تجارة العبيد وازدهارها، وخصوصا في مملكة بني زيان وقلة ثمنها، وهذا راجع إلى الموقع الاستراتيجي للمغرب الأوسط الذي يشرف على المبادلات التجارية بين السودان الغربي والدول الأوروبية[4].

وإن اللجوء إلى النساء من الجواري والحرائر بالأجرة يفتح مشكلا كبيرا وهو اختلاط الأنساب[5]، لأن حليب المرضعة مهما كانت حرة أو أمة يحرم لقول ابن رشد: " والرضاع

1 - نفس المصدر، ص 224.

2- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 219.

3 - ابن الزيات: المصدر السابق، ص 50.

4 - مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الجنوب)**، دار الحكمة، (د، ط)، الجزائر، 2007، ص 65.

5- عبد الإله بن مليح: المرجع السابق، ص 400.

يحرم بلبن المسلمات والمشركات الحرائر والإماء"[1]، وهذا لمجرد أن العرف لا يسمح للأم ذات القدر الرفيع بإرضاع طفلها. وهو أمر مستجد على مجتمع المغرب الأوسط نتيجة للتأثر بالمجتمع الأندلسي.

واشترط على المرضعة أن تكون صحيحة الجسم، وصغيرة السن، معتدلة اللون بين البياض والحمرة، ويجب أن يكون لبنها أبيض غزيرا[2]، ولا يكون غليظا متينا ولا سائلا مائعا، ذا رائحة طيبة[3].

وهكذا لم تكن هذه المهنة بالأمر السهل، ولا تتاح إلى كل النساء الحرائر منهن أو الإماء. وكانت ذهنية المجتمع هو تحبيذ المرضعة البيضاء، والنفور من الزنجيات السوداوات[4]، وهذا تمييز بين خلق الله في شيء ليس بيدها، بل بيد خالقها الذي صورها، والمرضعة التي يتم اختيارها لهذه المهمة تعامل معاملة خاصة، ويوثق استئجارها مثلما وجدناه عند الخادمة.

كما أن مهنة المرأة الحاضنة في المغرب الإسلامي قد انتشرت داخل المجتمع الأندلسي بكثرة[5]، وداخل العائلات الميسورة . حيث يحرص الآباء كثيرا في تربية أبنائهم والشد على يدهم في هذا المقام[6]، واختصت الجواري النوبيات[7] بحضانة الأطفال ورعايتهم وتربيتهم، لأن لديهن رحمة وحنينا للأطفال[8].

---

1 – أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت 520هـ/ 1126م): **المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمريات مسائلها المشكلات**، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص 495.

2– عند شراء جارية من أجل الحليب ظهر تدليس فيها في قولهم" ... وتصرية الأمة تشترى للإرضاع" والتصرية هنا بمعنى الجمع، والتدليس يكون من خلال جعل الأمة تجمع حليبها في صدرها لتظهر بأن حليبها كثير وغزير. ينظر: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 50.

3– السقطي: آداب الحسبة، ص 242..

4– الشماخي: المصدر السابق، ص 242.

5 – أبو عبد الله المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج8، ص 479.

6– إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 57. ينظر أيضا: بصديق عبد الكريم: جوانب عن تربية الطفل، ص 86.

7 – **النوبيات:** وهن الجواري المجلوبات من بلاد النوبة ولهذا سمين بالنوبيات.

8 – السقطي: آداب الحسبة، ص49.

إنّ وجود الحاضنات داخل الأسرة، وفي فترة مبكرة من حياة الطفل، يجعلنا نتساءل إلى أيّ مدى كان تأثيرهن في تكوين شخصية الطفل؟ فهي تؤثر على الطفل في شخصيته وأفكاره، لأنه لا زال حديث السن يتأثر بمن هو قريب منه أكثر من غيره. وخصوصا أن بعض الجواري كنّ من النصارى [1]، فكان مكوث الحاضنة لفترة طويلة من الزمن يخلق آلفة، وتعلق كبير من طرف الطفل اتجاه الحاضنة، وعند بيعها، أو انتهاء فترة الاستئجار تنفصل الحاضنة عن الطفل، مما يسبب أثارا نفسية سلبية على الطفل قد تصل أحيانا إلى الخبل[2]، لأنّ الطفل لا يعي ما يحدث من حوله.

إنّ هذا التأثير يؤدي إلى إخراج إنسان غير متوازن، له أفكار وتربية تكون في أغلب الأحيان متناقضة بين الحاضنة والوالدين، فيمارس الطفل حياته بتلك التناقضات الفكرية، فيؤثر على المجتمع انطلاقا من تلك الأفكار، فإن سلمت تربيته سلم المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع.

**3-المرأة الغاسلة وأثر حضورها في مجتمع المغرب الأوسط**

ظهر نشاط المرأة في المغرب الأوسط في عدة أعمال مهمة أفادت بها نفسها ومجتمعها، ومن هذه الأعمال نجد نشاطها البارز في ميدان تغسيل الموتى من النساء إلى جانب مهام أخرى، وسمي هذا العمل بالغاسلة[3]( تمسيريدين)[4]، وتواجد هذا النشاط خصوصا داخل الحواضر التي انتشر فيها المذهب الإباضي[5]، فأنشأت نظام العزابة[1] هيئة نسوية

---

1 - المازوني: الدرر المكنون، ج1، ص 82.

2- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد (ت 456هـ/ 1064م): **رسائل بن حزم الأندلسي، رسالة طوق الحمامة في الألف والألاف**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، ج1، ص 169.

3 - الغبريني: عنوان الدراية، ص 241.

4 - **تمسيريدين:** وهي جمع للكلمة الامازيغية "تامسير"، وتلفظ الكلمة عند جمعا بكسر التاء وسكون الميم وكسر السين والراء ممدودة والدال ممدودة والسكون والنون أيضا. ينظر: نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ج1، ص 32.

5- المناطق التي انتشر فيها المذهب الإباضي في العهد الرستمي هي: وادي سوف و وادي ريغ و وادي ميزاب وجبال بني مصعب، وباغاى وجبل أوراس، ومنطقة الزاب وورجلان، وتاجريت(توقورت حاليا) وآجلو ومنطقة الرمال، وأيضا الأغواط والمنيعة. ينظر: اسماوي صالح بن عمر: **نظام العزابة، ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، (رسالة لنيل دبلوم الدراسة المعمقة في التاريخ الإسلامي)، تحت إشراف الدكتور موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986- 1987م، ص 200.

مقرها المسجد[2] لحماية المرأة وتمكينها من حق التملك وحق التصرف في مالها وكل ما تملك ولها الحق في الميراث الشرعي، وسن قوانين شرعية تنظيمية، في ما يخص كل مجالات تربية البنت والزوجة[3] وهي لا زالت تحتفظ بهذا العمل إلى يومنا هذا.

تعددت مهام النساء الغاسلات داخل مجتمع المغرب الأوسط، فمنها مراقبة النساء وتوجيههن إلى ما يحبّه الله ورسوله، ويحرصن على إتباع النساء للعادات والأعراف، وخصوصا في الأعراس، وتحارب الغاسلات التبذير والإسراف الواقع في المجتمع فتقوم بتوعية نساء الأسرة في كل شؤونها، من أحوالها الدينية وغيرها[4].

ومن بين مهام الغاسلات قيامهن بغسل الموتى من النساء والفتيات والصبيان الذين لم يبلغوا السابعة من العمر، إلى جانب هذا يقمن بتحقق علامات البلوغ للفتيات لتوعيتهن بما عليهن من الأمور الدينية، كالمحافظة على الصلاة والصيام وغيرهما، وتتحقق الغاسلة في شؤون الحمل والولادة، وتوعية النساء والفتيات وتثقيفهن حول الحيض والنفاس وتصلح الغاسلات بين النساء المتخاصمات وحلّ كل الخلافات التي تحدث بين الأسر[5].

فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد عملها وتسيير مهمتهن، ومحاربة كل بدعة تنتشر لدى النساء، وأيّ آفة اجتماعية قد تظهر داخل المجتمع[6]، فتكون الغاسلة لها بالمرصاد، فكان للغاسلات الأثر الكبير في توجيه المجتمع من خلال توعية النساء وتثقيفهن

---

1- **نظام العزابة:** اشتقاق كلمة العزابة من العزلة والغربة، والتصوف، والتهجد على رؤوس الجبال' فكذلك العزابة، ونجدها في اللغة يقصد بها البعد (عزبه أي أبعده). ينظر: أبو عمار عبد الكافي (ت في ق 6ه / ق 12م): سير أبي عمار عبد الكافي، تح: مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان، 1992، ص ص 12، 13. ويقول عن نظام العزابة أنها هيئة تتكون من النخبة المنتقاة من هيئة الطلبة، أو هم رجال الدين الكبار، أو مجلس الحكماء، أو الحلقة، تحتل هذه الهيئة القمة في الهرم الاجتماعي عند الاباضية في تنظيمات الإمام أبي عبد الله محمد بن بكر الذي وضع أسس الإمامة. ينظر: اسماوي صالح بن عمر: المرجع السابق، ص 53.

2 – اسماوي صالح بن عمر: المرجع السابق، ص ص 147، 148.

3 – بوبة مجاني: " دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من (ق 3- 6ه/ 9- 12م)" **مجلة الحياة**، جمعية التراث، قرارة، غرداية، ع: 2، 1419ه/ 1998م، ص ص 162، 155.

4- اسماوي صالح بن عمر: المرجع السابق، ص 147.

5- نفسه، ص 147.

6 – نفسه، 148.

ثقافة دينية، فيحافظن على أنفسهن وبناتهن أولا، والمجتمع ثانيا من الضياع والفتن، فارتقت الغاسلات بالذهنية التي سادت المجتمع اتجاه المرأة، فكسبت المرأة احترام الرجل لها، وهو أساس استقرار الأسرة والمجتمع، ومنه الدولة برمتها، فلعبت الغاسلة هنا الدور الكبير في إحداث التوازن بين الدين والعرف والعادات والتقاليد، بمراقبة النساء وتثقيفهن دينيا وحاربت كل البدع والآفات والمنكرات التي تحدث داخل مجتمع النساء[1].

**4- أثر الخاطبة في مجتمع المغرب الأوسط**

انتشرت مهنة الخاطبة في المغرب الأوسط على غرار باقي مناطق المغرب الإسلامي وذلك لأنها الخطوة الأولى للزواج، حيث يتم فيها اختيار العروس، وحرصت بعض الأسر البدوية في العادة أن تكون العروس المختارة من قرابة العريس سواء من أبناء عمومته أو خؤولته[2].

وكان المكان المناسب لهذا النشاط هو الوديان في البوادي، والحمامات في الحواضر حيث تبدأ فيه المرحلة الأولى من الخطبة لما في الحمام من تجمع للفتيات، والنظر عن كثب لمفاتنهن، لأن الحمّام يكشف عن العورة، ويذهب الحياء وتختبر الخاطبة حياء الفتاة من خلال مراقبة تصرفاتها داخله. وكانت أماكن الأفراح مسرحا لعمل الخاطبات أيضا[3].

وجرت العادة في الخطبة عموما أن يبعث أهل العريس امرأة مختصة بأمور النساء إلى منزل العروس لتحمل لهم مواصفاتها، فإذا تم القبول، يشرع في التفاوض حول المهر، وورد في نازلة على اتفاق رجل وامرأة والولي على تقدير الصداق، وعقد النكاح على لسان الخاطبة [4]، وهنا نستشفّ أنّ الخاطبة كانت ممن يعول عليها في ربط العهود بين الزوج والزوجة وأهلهما، وممن يؤتمن لها في مثل هذه المسائل.

---

1 - اسماوي صالح بن عمر: المرجع السابق، 148.

2- المراكشي: الذيل والتكملة، ج1، ص 27. ينظر أيضا: الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 400.

3 - الثعالبي: اللطائف والظرائف، ص85.

4 - الونشريسي: المعيار، ج3، ص 121.

والزواج الشرعي تسبقه الخطبة، وهي الرغبة والاستعداد لربط علاقة شرعية وبناء أسرة. وبعد أخذ النية في الخطبة وبتكليف الخاطبة للبحث عن عروس له، وعند إتمام هذه المرحلة، يجوز للفتى شرعا أن يرى خطيبته خلسة أو علنا قبل الخطبة[1]، ثم يشرع في القيام بمراسيم الخطبة، فيتوجه ولي أمر الخطيب إلى المرأة المخطوبة بحضور أوليائها، وهنا يبدي الخاطب رغبته في الزواج، وربط علاقة شرعية لبناء أسرة حسب الأعراف[2]، وتعطي الفتاة رأيها باللفظ أو بالسكوت للدلالة على الرضا[3]، فإن اطمأن إلى أخلاقها وشخصيتها، يقدم لها شيئا يرمز إلى الارتباط[4].

وروي عن البرزلي في نوازله لمن أراد تزويج امرأة، فله حق النظر إليها بإذنها ما لم يرد منها محرم[5]، وغالبا لا تشاور العروس عند الخطوبة، بل دون استشارة العريس أيضا.

وكان يقوم كل من ولي الزوجة ووكيل الزوج بعملية الاختيار لمن يرضونه من ذوي الجاه والمال[6]، أما عن يوم الخطبة فيستحب بعد العصر وذلك لقربه من الليل وسكون الناس فيه، ويستحب في شهر شوال لأن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة رضي الله عنها في شوال، وكان يستحب النكاح في رمضان رجاء البركة[7].

## المبحث الثالث: الحضور السلبي للمرأة في مجتمع المغرب الأوسط

### 1-المرأة المغنية في المغرب الأوسط

ارتبط ذكر مهنة الغناء والإنشاد بالاحتفال، وتعددت الاحتفالات في المغرب الأوسط بتعدد عناصر المجتمع [8]، فمنها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي كثرت فيه الأناشيد

1- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص288.

2 - المازوني: الدرر المكنون، ج2، ص 490.

3 - نفسه، ج2، ص 480.

4- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص200.

5- البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص 181.

6- المازوني: الدرر المكنون، ج2، ص ص 48، 544.

7- البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص182.

8 - احتفل المغرب الأوسط بالكثير من الاحتفالات منها، الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد النبوي الشريف والاحتفال بشهر رمضان، وبعاشوراء، والاحتفال بموكب الحج، والاحتفال بيناير، والعديد من الاحتفالات المستجدة على

والمدائح الدينية، وتقام الأفراح ويتجمل الناس بأجمل الثياب خاصة النسوة منهن[1]، وتتجمع النسوة في إحدى الدور يذكرن خصال الرسول – صلى الله عليه وسلم– وسيرته العطرة، ثم يشرعن في الإنشاد، ويستعملن لذلك آلات موسيقية كالبنادير وغيره[2].

وتعتبر المدائح النبوية فنا من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص[3].

وهكذا تكتسي هذه العادة حلة شرعية مقدسة، وتدخلها عدة مستنكرات تصبح بمرور الزمن من التقاليد الاحتفالية، فيستنكرها الفقهاء ويحاربونها في إطار البدع المستنكرة. وفعلا فقد ذم الفقهاء الاحتفال به لأن السلف الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم كانوا يجتمعون في تلك الليلة للعبادة، ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة[4].

واحتفل أهل بلاد المغرب الأوسط بعيد العنصرة (عيد ميلاد يحي عليه السلام)، ومشاركة النصارى في الاحتفال بالنيروز (عيد الربيع)، وعيد رأس السنة الميلادية، فكانت النساء يحضرن أصناف الأطعمة، وأنواع التحف، ويقمن بتزيين بيوتهن، ووضع الخضرة في ثيابهن، وإخراج ثيابهن إلى الندى بالليل[5]، وتعظيمهن ليوم السبت والأحد، وترك العمل فيهما، وفي أعياد النصارى وهذا ما ذمه الفقهاء.[6]

وعملت الأسر على الاحتفال بميلاد أطفالهم، وعند قص أول خصلة له، وعند ختانه[7]، وهذه الاحتفالات تستدعي وجود مغنيات لإحيائها، وقد كان تأثير المرأة على الرجل

---

مجتمع المغرب الأوسط. ينظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص ص 270، 273. ينظر أيضا: محمد أديوان: **الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)**، مطبعة سلمى، (د، ط)، الرباط، 2002، ص 116.

1 – يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص 100.

2 – محمد أديوان: المرجع السابق، ص 116.

3– زكي مبارك: **المدائح النبوية في الأدب العربي**، منشورات المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1935، ص17.

4 –الونشريسي: المعيار ، ج7، ص100.

5– كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص46.

6– الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص152.

7– كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص45.

كبيرا من خلال تشجيعهن الرجل على الاحتفال بأعياد النصارى وجميع الأعياد المبتدعة، فكانت المرأة مصدرا للبدع ومشجعة له. فقد أورد العزفي هذا في قوله" ومن أعظم أسباب هذه البدعة وأقوى دواعيها مطاوعة الرجال للنساء على الاستعداد لها والتفخيم لشأنها وانقيادهم لهن في ذلك عاما بعد عام حتى رسخت في صدورهم"[1]، فاعتبرت هذه الاحتفالات بدعة وما يجري فيها أيضا.

وحارب الفقهاء هذه الظاهرة، ولكن التأثير الأندلسي على مجتمع المغربي أكبر، وهذا تقليد للأعداء ومن غير المسلمين، وهذا ما حاربه الفقهاء على مر الأزمان، ولكن الفقهاء لم يستطيعوا اختراق ومجابهة مجتمع النساء وما ينتشر فيه من بدع وخرافات وتقليد لغير المسلمين بكل جهل منهن، ومنه يؤثرن على الرجال، وبمرور الزمن تتحول البدعة إلى عادة، والعادة إلى عرف بكل ما يحتويه من مظاهر كالمغنيات وغيرها كثير.

وهنا كان للمرأة التأثير الأكبر على مجتمع المغرب الأوسط بشكل سلبي، وأوصى أبو مدين شعيب[2] الرجال في قوله: " احذر صحبة المبتدعة اتقاء على دينك، واحذر صحبة النساء اتقاء على إيمان قلبك"[3]، وهذا تعزيز للمجتمع بترسيخ النظرة السلبية اتجاه المرأة وزيادة ترسيخ نظرة احتقار النساء والابتعاد عنهن لأنهن أساس كل البدع التي تنتشر في داخل المجتمع.

ونجد انتشار ظاهرة استئجار مغنية وراقصة وغيرهما من اللهو وتنافسوا فيذلك خصوصا في حفلات الزواج[4]، فقد شاع في إقامة الأعراس ضرب الدف واجتماع الفساق

1 – أبو العباس العزفي (557– 633هـ/ 1162– 1236م): **الدر المنظم**، القسم 2، ج1، ص 25. اقتبسه محمد ياسر الهلالي: المرجع السابق، ص 87.

2– **أبو مدين شعيب:** هو الشيخ الفقيه الواصل القطب سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الاندلسي (594هـ / 1198م)، من ناحية اشبيلية، فتح الله عليه بمواهب قلبية واسرار ربانية، عاصر الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون (بن عبد الله). ينظر الغبريني: عنوان الدراية، ص 22.

3 – ابن قنفذ: انس الفقير، ص 19. ينظر أيضا: الغبريني: عنوان الدراية، ص 32.

4 – الونشريسي: المعيار، ج3، ص 252.

واختلاط الفواجر من النساء بهم مع شرب الخمر[1]، وأصبحت هذه الأجواء في الأعراس من العادة التي جرت ولابد من فعلها، فكان الفقهاء يحاربون هذه الظاهرة.

وذكر الونشريسي بأن هناك فقهاء يحللون هذه الظاهرة بدعوى أنها عادة جرت على مجتمعهم[2]، ةةأمثال المتصوف محمد الشاذلي التونسي[3] الذي أباح الغناء في قوله: " الحمد لله الذي أباح وفسح مجال الغناء رغما لأنف الجهل الأغبياء..." [4]، وأباح ابن حزم حضور الحفلات واستعمال الآلات الموسيقية، لأن العادة جرت في الأندلس والمغرب أن شيوخ العلماء وأئمة الفقهاء يحضرون الحفلات وذلك يعتبر ترخيصا للمجتمع بحضورها [5].

فإذا كان علماء الأمة وفقهاؤها في خلاف حول هذه الظاهرة، فنتاج هذا تفشيها في المجتمع، وأصبح عادة وتقليدا لا يقام حفل بدونها. فكان التأثير الأندلسي في الفتوى نتاج التبادل بين العدوتين في حركة تنقلات العلماء والفقهاء وطلبة العلم، فكان متنفسا لانتشار مهنة المغنية في مجتمع المغرب الأوسط، وأعتقد أن مرد الاختلاف بين الفقهاء والأئمة هو إباحة الرسول _صلى الله عليه وسلم- الدف في الأعراس وما يشبهه مما يشتهر به النكاح في قوله: " أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف"[6].

---

1 - نفسه، ج3، ص ص 250، 252.

2 - الونشريسي: المعيار، ج3، ص ص250، 251.

3 - **محمد الشاذلي التونسي:** هو المتصوف والفقيه أبو المواهب شرف الدين محمد بن أحمد التونسي، عرف بابن زغدان الشاذلي الوفائي، من علماء الازهر الاعيان، عمل الموشحات الربانية، توفي سنة (882هـ الموافق ل 1477م)، من أشهر كتبه فرح الإسماع برخص السماع وكتاب القانون في علم الطائفة، وكتاب الأذكياء في أخبار الأولياء. ينظر: محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، (د، ط)، القاهرة، 1931، ص 257.

4 - محمد الشاذلي التونسي: فرح **الإسماع برخص السماع**، تح: محمد شريف الرحموني، دار العربية للكتاب، ط1، طرابلس، تونس، 1985، ص 54.

5- قال الفقيه الأندلسي أبو سعيد ابن لب (ت 782هـ / 1381م): " وأما سماع الطرب بتلك الزنوج المعروفة، ففيه اختلاف بالإباحية والكراهية والمنع، لكن جرت عادة شيوخ العلماء وأئمة الفقهاء بحضور موضع ذلك وسماعه ترخيصا لمكان الخلاف". ينظر: الونشريسي: المعيار، ج3، ص 252.

6 - الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص 251.

وأيضا تعدد أغراض الشعر عند النساء المغنيات، فأشهرها شعر الغزل الذي كان السمة البارزة في الغناء، وكان شعر الغزل نوعين: العفيف والماجن[1]، وهذا بسبب شيوع الترف واللهو والطرب داخل قصور الحكام، وداخل المجتمع، واشتهرت صناعة الغناء في عهد ابن خلدون، فكان الغناء بمختلف الآلات والمعازف[2].

وعموما ارتبطت هذه المهنة بالجواري والإماء بالدرجة الأولى، لأن هناك نوعا من الخدم سمي بجواري اللذة أو المتعة، وتكمن وظيفتهن في تسلية أسيادهن وجلب المتعة لهم. وكانت هناك دور خاصة بالنخاسين تربى فيها الجواري والغلمان، على كيفية إمتاع أسيادهم بمختلف وسائل التسلية منها الغناء والرقص، وكان التجار الأندلسيون يدفعون جواريهم لتعلم الغناء والشعر لكي يرفع من ثمنها[3].

وتنافس الناس في الشهوات حتى خلت أسواق الجواري الغانيات الملهيات[4]، فجلبوا تلك العادة إلى المغرب الأوسط، وشكلت في تلمسان فرق مختصة لإحياء الأفراح[5]، فيستأجر صاحب العرس المغنيات وضاربات الدفوف والراقصات[6]، ويستعملون الدخان والدف لاستظهار وإعلان الزواج[7].

وذكر في نازلة أن بعض الجواري تغنين في الأعراس والأفراح تسلية لأسيادهن مقابل ما يعطى لهن من أجر[8]، وكان سكان مدينة دلس[9] ذوي طبع بشوش ومرح، ويحسنون كلهم تقريبا العزف على العود والقيثارة، ونجد أهل بجاية ميالين إلى المرح والموسيقى والرقص[1].

---

1 – المقري: نفح الطيب، مج4، ص 170.

2 – الآلات الموسيقية هي الآلات الوترية والمزمار، والدف. ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص ص 534، 440.

3– سعد بوفلاقة: **الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1995، ص 77.

4 – ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 173.

5 – الونشريسي: المعيار، ج3، ص 251.

6 – نفسه، ج3، ص251. ينظر أيضا: كمال أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 16.

7 – المازوني: الدرر المكنون، ج2، ص 479.

8– الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص188.

9 – **مدينة دلس:** ويقال لها أيضا تدليس وهي مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا، من شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ودلس من مناطق المغرب الأوسط. ينظر: حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 42.

وكان الأمراء يحبون اللهو، فكثرت المغنيات، وإلى جانب هذا ظهر جبنهم بسبب اللهو المرح المتواصل، حتى أنهم لم يشنوا حربا قط على أحد، وإذا داهمهم أحدفر الملك وحاشيته إلى الجبال[2].

فإن كثرة المغنيات وأدوات الموسيقى مع اللهو والمجون تولد ملوكا ضعافا جبناء، ومجتمعا منهارا تكثر فيه الآفات الاجتماعية والكوارث النفسية، وبذلك ينهار المجتمع ومن ثم الدولة برمتها.

**2-المرأة العاهرة في المغرب الأوسط**

لم نلاحظ وجود مهنة العاهرة[3] في العهد الموحدي، وهذا من خلال عدم ورود نص في الكتب المصدرية، أو إشارة عن وجود هذه الظاهرة في المغرب الأوسط زمن العهد الموحدي، ونرجح الأمر إلى حرص ابن تومرت على تغيير المنكرات والبدع، مثل عادة الاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة وغيرها، هذا واضح من خلال خط سير قيام دولته، فنجده خلال الاجتماع لأخذ البيعة العامة لعبد المؤمن، جعل حاجزا من الركائز ليفصل بين الرجال والنساء[4]، فكان إصلاح أحوال المجتمع من الأولويات الرئيسية لدولة الموحدين[5].

وكانت الجواري يقمن بقضاء الحاجات المنزلية من طهي لطعام، ورعاية أبناء سيداتهن، وترافقن أسيادهن أينما حلوا، إضافة إلى مكانتهن داخل البلاط الزياني [6].

والملاحظ ظهور وانتشار بعض العادات السيئة، فما كانت تفعله شرار النساء باطلاع بعض الفاسقات على محاسن الأخرى من تحرك شهوة التفاعل الذي يختار بعضهن لذته عن مباضعة الرجل[7]، وهذا ما زاد في ترسيخ نظرة المجتمع بأن النساء ناقصات عقل ودين[8]،

---

1 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 42.

2 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 51.

3 – **المرأة العاهرة:** بمعنى الزانية والفاجرة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص ص 611– 612.

4 – البيذق: أخبار المهدي ابن تومرت المصدر السابق، ص45.

5– ابن خلدون: العبر، ج6، ص 176.

6 – ابن مرزوق: المصدر السابق، ص489.

7 – العقباني: المصدر السابق، ص72.

8 – عن أبو سعيد الخدري قال: خرَج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في أضحى أو فِطْرٍ إلى المُصلَّى، فصلَّى ثمَّ انصرَف، فقام فوعَظ النَّاسَ وأمَرهم بالصَّدقةِ، قال: (أيُّها النَّاسُ تصدَّقوا)، ثمَّ انصرَف فمرَّ على النِّساءِ، فقال: (يا معشرَ

والعديد من التجاوزات التي كانت تخرق إطار الشرع، وتجاوز النموذج السلوكي الذي رسمه لنا الدين الإسلامي، فانتشرت بعض العادات الذميمة التي تحط من شأن المرأة[1]، وذكر لنا البرزلي عن امرأة يقال لها حكيمة تعمل بمهنة القوادة التي كانت تجمع بين الرجال والنساء في دارها[2].

ومن بين الأسباب المؤدية لهذه الظواهر، هو نظرة المجتمع للمرأة نظرة الشك، وأنها مجلبة للبدع، فشدد الفقهاء عليها في الخروج والدخول، وأضاف عوام المجتمع على ذلك بأن زادوا في جهلها لعدم مخالطتها الفقهاء والمحدثين والعلماء، فكان تعليمها محدودا جدا بين جدران بيتها، ومنع عنها حضور مجالس الوعاظ[3]، وذلك يؤدي بها إلى الجهل بأمور الشريعة الإسلامية، وزيادة في فرص زلاتها وانقيادها إلى الرذيلة، والذهاب إلى العرافات والكاهنات وتصديق ما يقال لهن من تكهنات، ويمارسن ما يطلب منهن عن طيب خاطر. حيث أكد لنا ابن الحاج هذا الأمر في قوله:" ... أما النساء فإنهن متحجبات وتربين في الجهل غالبا بسبب ذلك، فلأجل بعدهن عن العلم وأهله، غالبا ما اتخذن عوائد رديئة متعددة قل أن تنحصر مخالفتهن للشريعة المطهرة"[4].

ولعل من أسباب ظهور هذه الآفات أيضا انتشار العادات السيئة في داخل أوساط مجتمع المغرب الأوسط مثل الخطف والاغتصاب، وبالأخص في فترة انهيار الدولة، حيث

---

النِّساءِ تصدَّقْنَ فإنِّي أراكنَّ أكثَرَ أهلِ النَّارِ)، فقُلْنَ: ولمَ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قال: (تُكثِرْنَ اللَّعنَ وتكفُرْنَ العشيرَ، ما رأَيْتُ مِن ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ أذهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازمِ مِن إحداكنَّ يا معشرَ النِّساءِ)، فقُلْنُ له: ما نقصانُ دِينِنا وعقلِنا يا رسولَ اللهِ؟ قال: (أليس شَهادةُ المرأةِ مِثْلَ نصفِ شَهادةِ الرَّجُلِ(، قُلْنَ: بلى، قال: (فذاك نُقصانُ عقلِها أوَليسَتْ إذا حاضتِ المرأةُ لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ)؟ قُلْنَ: بلى، قال (فذاك نُقصانُ دِينِها)، ثمَّ انصرَف رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. ينظر: البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث 1462.

1 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص230–231 .

2– البرزلي: المصدر السابق، ج6، ص 130

3– محمد ياسر الهلالي: المرجع السابق، ص 88.

4 – ابن الحاج: المدخل، ج3، ص 29.

ذكر لنا في نازلة أن امرأة ادعى عليها رجل أنه تزوجها، فأنكرت وقالت أنه اغتصبها وأنكرت التزويج، وزعمت أنها كانت عنده أجيرة فغلبها على نفسها[1].

ولم تكن نساء العامة بمأمن، فانتشر قطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط سنة (796هـ/ 1394م)، وتسلطوا على المساكين، وأخذ حرم المسلمين أبكارا وثيبا[2].

وجاء في نازلة " أن رجلا هرب بامرأة، وبقيت معه حتى ولدت منه وفي ذلك شبهة"[3]، وورد في أخرى أن رجلا هرب بصبية يتيمة ليتزوج بها فادعت الصبية إكراهها على ذلك[4]، وهذا ما يدل على أن انتشار الفواحش بكثرة بين أوساط مجتمع المغرب الأوسط أواخر العهد الموحدي، وظهرت هذه الظاهرة زمن الزيانيين أيضا.

إن كثرت الأزمات الاجتماعية، وازدهار التجارة التي بدورها زاد عدد الوافدين إلى حواضر المغرب الأوسط، وظهرت بعض الآفات الاجتماعية في تلمسان على العهد الزياني داخل فئات التجار التي ملكت العديد من الخدم والجواري، وعرفت عملية إسقاط الأجنة نتيجة المعاشرة غير الشرعية، كما كان يفرض عليها سيدها تناول بعض الأدوية لإسقاط الجنين[5]، فكثر شرب الخمور في أوساط التجار، وكثرت الآفات الاجتماعية جراء ذلك، وكان تزويج البنات في سن مبكرة حلا من الحلول الترقيعية من ظاهرة خطف البنات وحفاظا على حصانتها، وغالبا في حالة زواج البنت قبل بلوغها، يشترط والدها بقاءها في منزله لتسمينها[6].

وجاء في نازلة أن رجلا زوج ابنة أخيه من رجل وهي صغيرة قبل البلوغ[7]، ومن عادة الأسر التلمسانية خطبة أحد أبنائها البنت وعمرها 10 سنين، وتزويجها في عمر 13 سنة[8]،

1 – ابن الحاج: المدخل، ج1، ص 230.

2– الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص153.

3– المازوني: المصدر السابق، ج2، ص176.

4: الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص82.

5 – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص 230– 231.

6– البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص ص 272، 273.

7– الونشريسي: المصدر السابق، ج3، ص96.

8– البرزلي: المصدر السابق، ص257.

فاضطرار بعض العائلات لهذا الحل حفاظا على الشرف وخوفهم من الاختلاط في الأنساب والدماء، والتي عبر عنها ابن خلدون بقوله: "إن بعضا من أهل الأنساب يسقط إلى أهل بنسب آخر، بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء، أو جناية أصابها"[1] وهذا ما يولد صراعات بين عائلات الزوج، وخاصة بين الأولاد، ويلاحظ أن من عادات نساء قسنطينة الفرار إلى الجبل بسبب عدم رضاهن عن أزواجهن تاركات وراءهن أولادهن، ولربما يتزوجن أيضا هناك [2].

وحتى المرأة الحرة لم تنج من نظرة شك المجتمع والزوج معا. فها نحن نجد بعضا من الناس من ينكر حمل زوجته ونسب ولده إليه في نازلة "خلع رجل زوجته بعد مدة ظهر بها حمل وسأل لمن هذا الحمل"[3].

وفي بعض النوازل جاء إنكار من قبل الرجال لأولادهم من النساء الحوامل، وقد كان هذا يؤدي إلى اختلاط الأنساب وتعريض الأطفال إلى الضياع النفسي. وسئل في نازلة عمن نفى ولده من زوجته وقد قدم من سفر فوجده مولودا فقيل له: أزنت أم لم تزن؟ فقال لا أعلم إن كانت زنت... وليس هذا الولد مني". ويذكر الونشريسي أيضا عن نكران الرجل لمولوده وهو مقر بالوطء، حيث شدد على هؤلاء في حكمه وتبرير ذلك بأنه لو تساهل في الحكم عليهم لما لحق مولود بوالده، والسبب في ذلك هو لكثرة الفسقة من العوام، وكثرة القضايا والنوازل تدل على كثرة فجور الناس[4]، وكان تجار قسنطينة فجارا، يبذرون معظم ما حصلوا عليه من تجارتهم على النساء العاهرات[5].

وكنتيجة حتمية لهذه الظاهرة، نجد أن المجتمع ينظر للمرأة نظرة العار منذ ولادتها. وقد لاحظت كتب المصادر هذه الظاهرة عند الفاسيين أكثر، حيث هدد رجل زوجته بقتلها إن ولدت له بنتا[6]، فكان تأثير المجتمعات المجاورة كبيرا جدا لما لها من صلات ثقافية

---

1- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص130.

2 - حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 103.

3 - المازوني: الدرر المكنون، ج2، ص296.

4- الونشريسي: المعيار، ج4، ص72.

5 - حسن الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 60.

6 - نفسه، ج1، ص 258.

وتجارية وحضارية كبيرة، فلا نستبعد عمومية هذه النظرة على كامل مجتمعات المغرب الإسلامي.

ومن بين أسباب ظهور العاهرات في مجتمع المغرب الأوسط هو زيادة عدد الإماء داخل المجتمع، مع تكاليف الزواج الباهظة مما دفع بالكثير من الرجال إلى الإعراض عن الزواج تماما، أو اللجوء إلى أنواع أخرى من الزواجات[1]، لأن المهر فيها لا يتعدى نصف دينار[2]، مع انتشار ظاهرة التسري بالإماء عند الخاصة، والزواج بطريقة غير شرعية أحيانا[3].

**3- المرأة النائحة وتفاعلها مع مجتمع المغرب الأوسط**

شكك الفقهاء في الصحة العقلية والدينية للمرأة، واعتمدوا على ما جاء في الحديث الشريف أن النساء ناقصات عقل ودين[4]، فتبناها المجتمع كنظرة سائدة على كل النساء تتسم بالشرعية الدينية، واعتمدوا في ترسيخ هذه النظرة الدونية للمرأة من خلال المشاهدات اليومية لها، وما يظهر منها من تصرفات تعزز هذه النظرة، من بينها تلك الممارسات والسلوكات التي تصدر منها عند حدوث الجنائز، والواقع التاريخي لمجتمع المغرب الأوسط يعطي لنا نماذج وأنماطا من هذه الممارسات التي اتسمت ببصمة الابتداع، كالعويل والنواح ولطم الخدود وشق الجيوب وخدش الصدور حتى يسيل الدم منها بغزارة، وينتفن شعورهن نائحات مولولات والدعاء بالويل والثبور والخروج للأزقة عاليات الأصوات باديات الوجوه، يلبسن الخشن ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور، ويرتجلن أشعارا حزينة مبكية في رثاء الميت، وهى بالطبع تحكى فضائله وصفاته الحميدة[5].

1 - منها زواج المتعة الذي لجأ إليه بعض طلبة العلم كوسيلة لتجنب الزنا، وقد أفتى الفقهاء بعدم جوازه ويجب إقامة الحد عليهم. ينظر: ابن رشد: نوازل ابن رشد، ص ص 56- 57.

2 - بوتشيش: المغرب والأندلس، ص 31.

3 _ ابن الحاج: المدخل، ص 78.

4 - البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث 1462.

5 - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 258.

وهذا الفعل لا يجوز سواء عند الموت أو بعده أو قبل الدفن أو بعده[1]، ومنه فالتصبر واجب، وإظهار الجزع بالقول والفعل والنياحة حرام، والبكاء الذي ليس فيه صراخ حلال، والصمت والتفكر في فتنة القبر وأهواله[2] لقول ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[3] وقال أيضا: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب" [4].

وعملت بعض النساء في الندب والنياحة كمصدر رزق، تستأجر نائحة أواثنتين أو أكثر من طرف أهل الميت، بحسب وضع الميت الاجتماعى، فالنائحة أو الندابة تلبس الخشن وتلطخ وجهها بسواد دخان القدور، وتعمل على الإعلان عن وفاة أحدهم بالنوح ولطم الخدود وشق الجيوب مع زميلاتها وقريبات المتوفى، وتعدد مزايا ومحاسن الميت بأسلوب يدغدغ العواطف وينظمنه كالشعر ويضربن على دفوف مربعة الشكل، وهي تصيح وتولول وتصرخ لتحفيز أهل الميت من النساء [5]وكلا بثمنه، ويزيد بعضهن عند زيارة المقابر الصراخ من خلف الرجال، وكشف الوجوه، واللطم على الخدود. وهي من البدع التي كانت تقوم بها النسوة داخل الجنائز، عوض التزام الأدب والسكون[6].

---

1 – الونشريسي: المعيار، ج1، ص 314.

2 – نفسه، ج1، ص ص 314- 315.

3 –الأمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي(631-676هـ/ 1234- 1278م) : **رياض الصالحين**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، مصر، 1993، ص 292.

4 – مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، مج 1، ط1، 2006، حديث رقم 934، ص 415.

5 – حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص ص 258، 259.

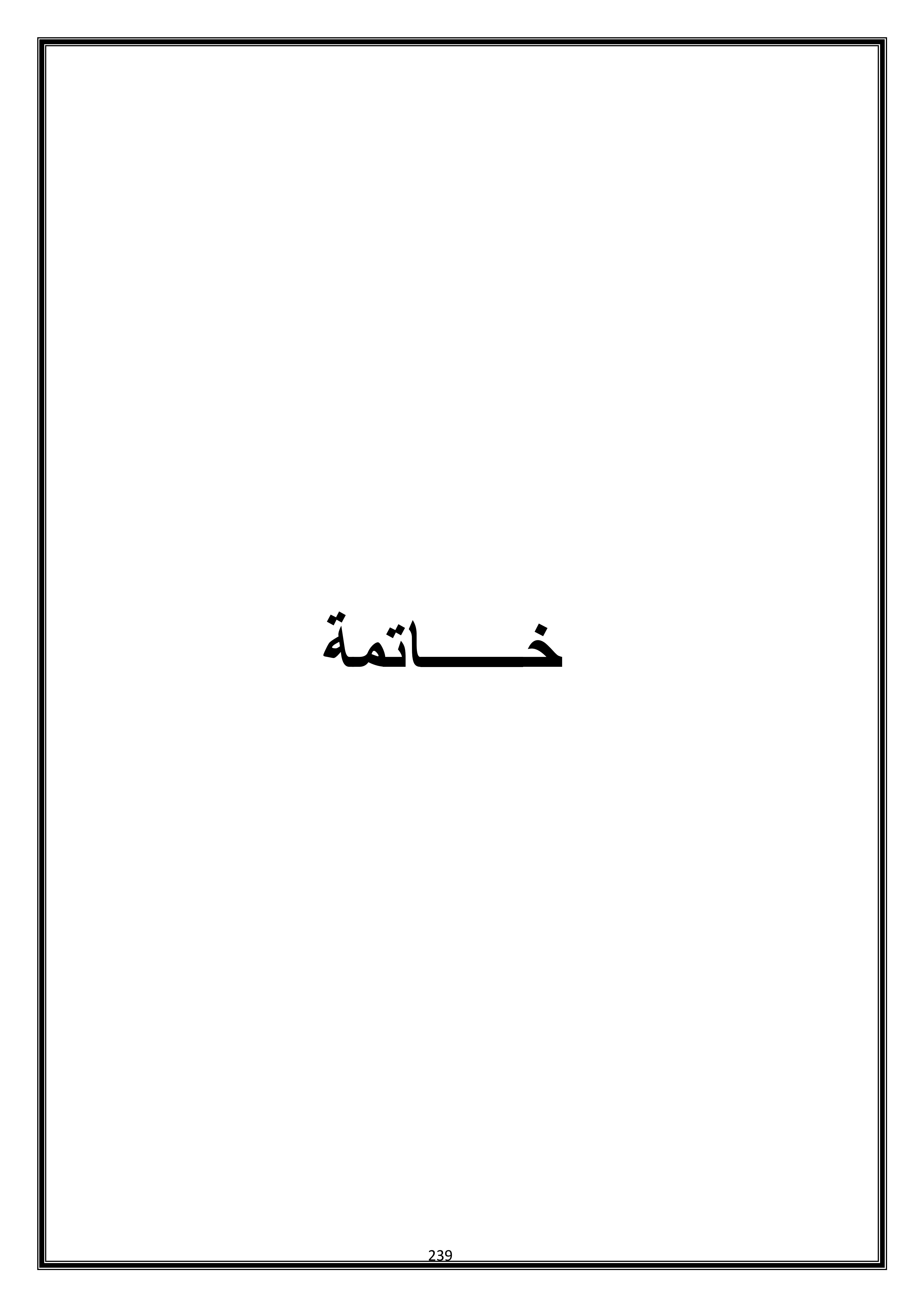
6– ابن الحاج: المصدر السابق، ج3، ص251.

## خاتمة الباب الثالث:

ومن خلال ما سبق، نستخلص أن مكانة المرأة كانت مرتبطة بسلوكها الناتج عن تفاعلها مع الحياة اليومية، وذهنية المجتمع الذي يسير وفقها، ويصبغ تلك الذهنية بالشرعية الدينية أحيانا، ويستعين بالعادات والتقاليد المتمثلة في العرف أحيانا أخرى من خلال تطبيقها للتعاليم الدينية في حالات كثيرة، ولكن العرف السائد داخل المجتمع أقوى تأثير من الدين، وهذا راجع لقلة تفقهها بالتعاليم الدينية الصحيحة، في بعض المناطق من المغرب الأوسط، على اختلاف تعاليمهم الدينية ( الإسلامية، النصرانية، اليهودية).

ونرجح التأثير الأكبر على المرأة كان من طرف كل وافد إلى المنطقة من عناصر جديدة للمجتمع وما يحملونه من أفكار وحضارة مختلفة، فكان التأثير الأندلسي على الفتاوى الفقهية من خلال استعانة فقهاء المغرب الأوسط بفقهاء وعلماء الأندلس في بعض القضايا في إطار التبادل الثقافي بين مختلف الحواضر، والتأثير الأندلسي من خلال مظاهر الحياة اليومية لهم. فقد شد انتباه نساء المغرب الأوسط حتى تحولت البدعة إلى عادة، والعادة إلى تقليد راسخ داخل المجتمع تسير المرأة على أساسه.

وكان التأثير الواضح للمرأة في الجانب التشريعي من خلال استحداث فقه النوازل الذي يتمثل بدوره في قدرتها على إيجاد حلول عملية لكل الوقائع والنوازل التي تنزل بالمسلمين على مستوى الفرد والجماعة، وذلك من خلال إعمال النظر الفقهي في نصوص الوحي من القرآن والسنة. ويكون اجتهاد الفقهاء في إسقاطها على الوقائع والحوادث التي تستحدثها المرأة وهي تمارس نشاطها اليومي المتأثر بالواقع الاجتماعي، وذلك بالاعتماد على الأصول التشريعية لاحتواء كل مستجد على الشريعة الإسلامية، ومن هنا أثرت المرأة في الجانب التشريعي، فكانت تلك النوازل بمثابة مرجع للقاضي والمفتي للقضايا المستجدة، وربطها بالسوابق القضائية التي تساعد القاضي في إصدار حكمه، والمفتي في إطلاق فتواه.



# خـــــاتمة

## خاتمة:

وبعد نهاية رحلتي العلمية في البحث والتقصي عن الحقيقة العلمية في موضوع المرأة بالمغرب الأوسط بين التأثير والتأثر ما بين(ق 6- 9هـ/ق 12- 15م) للوصول إلى المعرفة الحقة، أقف قليلا لإبراز أهم ما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات، ومنها:

أوضحت الدراسة أن وضع المرأة تأثّر في المغرب الأوسط بعدة عوامل دينية واجتماعية وبيئيّة، كان لها الأثر القوي على واقع المرأة في تلك الفترة. فكانت لتلك العوامل والظروف التأثير الواضح عليها.

ومن ضمن هذه المؤثرات، نجد عنصرا مهما في هذا التفاعل وهي البنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط، فكانت هناك عدة عناصر منها المتأصل في بنياه مثل العنصر البربري، ومنها الوافدة عليه مثل العنصر العربي وغيره، ولهما التأثير المباشر على المرأة لأنها جزء من هذا المجتمع القبلي، فتتبع تحركات القبائل وتأثيرها على الحالة الاجتماعية، وتأثر تلك القبائل بالحالة السياسية للدولة من بداية النهوض بالدولة إلى سقوطها، تشكل لنا نوع من الطبقية القبلية داخل البنية القبلية لمجتمع المغرب الأوسط، فكان الحضور القبلي كبيرا وواسعا وفعالا في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية للمرأة، فكان الحضور القوي في إنشاء الدول حتى خارج حدود المغرب الأوسط.

بينت الدراسة أنه إذا تعمقنا في هذا المجتمع، نجد مؤثرا مهما جدا على المرأة، وقد أثرت بدورها فيه كما اوضحته لنا كتب النوازل، وهي التعاليم الدينية من مذاهب وطرق وعقائد وكل التيارات الفكرية التي مرت على المنطقة، وكانت كتب النوازل تعج بالقضايا الاجتماعية التي يتوجب على المفتي أن يجد لها حلا يستوفي كل شروط المجتمع المتعارف عليها في ذاك الزمان، دون المساس بالتعاليم الدينية.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن العرف السائد عند كل قبيلة، هو المتحكم في المرأة وحتى الدولة، فلا بد من احترام العرف وخصوصا فيما يتعلق بالأحوال الشخصية وكل ما

يتعلق بالنساء، ولهذا كان للعرف اليد الطولى على كل المؤثرات السابقة، فكان له نتاجه وله آثاره على حياة نسائه والمجتمع برمته.

ويتبين من خلال هذه الدراسة أن المرأة تفاعلت مع السياسات المتداولة على المغرب الأوسط، فكان لها تأثير قوي عندما لعبت دور الوساطة والاستشارة والتجسس داخل القصور وخارجها، بهدف خدمت الدولة ، فكم من جواري قضين على دول وحافظن على آخر.

وكانت المرأة تأثر معنويا على الرجال في ميادين الحروب، فشحذت من هممهم وزادته قوة على قوتهم، وأعطت المحاربين دفعت معنوية لمجابهة أعداء الدولة، والنصر عليهم.

وتبين الدراسة أن للحرب الناعمة (المصاهرة) دور كبير، فكانت بنات الأمراء تقمن بواجبهن من خلال المصاهرة التي تضمن تحويل أعداء الأمس إلى حلفاء، فتأمن الدولة شر الأعداء وتقرب الدول وتشد عضدهم لقتال عدوا أكبر.

وتأثرت المرأة هي بدورها من السياسة، حيث كان من نصيبها القتل والسبي، ناهيك عن تراكم المشاكل الاجتماعية والعاطفية جراء وفات معيلها، وتيتم أولادها، فكانت سياسة الدول التي مرت على المغرب الأوسط لها التأثير الأكبر بين حالتي السلم والحرب.

وخلصت الدراسة إلى أن تفاعل المرأة مع المجال الاقتصادي كان كبيرا، فعكفت النسوة على تعليم بناتها الحرف المتداولة بين العائلات. فقامت بصناعة الزرابي والخياطة، والطرز، وغزل الصوف والصناعة النسيجية، وصناعة الفخار، والصناعة الغذائية، بالإضافة إلى مشاركتها في العمل الفلاحي خصوصا بالبوادي وتمثل في سقي وحرث الأرض، وغراسة وحصاد الزرع، وتربية المواشي والرعي، وإنتاج الخضروات والفواكه، ومارست العديد من المهن والمهام كالغسالة، والدلالة، والماشطة والتي كانت تنحصر أغلبها عند النساء من العوام.

فالمرأة تأثرت بالثقافات المتعددة التي مرت على حواضر المغرب الأوسط، فظهر في نوعية إنتاجها الصناعي، وأثرت في المحيط الاقتصادي بمساعدة الرجل، وذلك من التحسين في الدخل المادي للأسرة ومنه التحسين من اقتصاد الدولة بإنتاج فرد قوي صالح، ودخلت

المرأة عالم التجارة، لتصريف ما أنتجته، فعملت كدلالة وسمسارة وبائعة، ولكن هذه الأعمال لم تحضى بها إلا الفئة العامة دون فئة الحكام والأغنياء.

أوضحت الدراسة إلى أن المرأة في المغرب الأوسط استطاعت نيل القدر اليسير من التعليم في ظل تحكم السلطتين الدينية والسياسية في هذا الأمر، وكان هناك اختلاف واضح بين المرأة الحضرية والبدوية، في ميدان التعليم، فالنساء الحضريات احتككن بالعلوم المختلفة، فتأثرت وأثرت على المجتمع الذي تعيش فيه، فبرزت عدة عالمات كن نتاج بيوتات العلم الخاصة، ومن هنا انطلقت النهضة الثقافية الفكرية لنساء المغرب الأوسط إن صح التعبير، فكان للمؤدبات دور فعالا في صناعة إنسان المغرب الأوسط، وللرحلة العلمية الأثر الأكبر في استطلاعها على العلوم الأخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولهذا لم يشمل التعليم كل نساء المغرب الأوسط، وفي نفس الوقت لم يقتصر على نساء البلاط والعائلات الغنية فقط، بل مس كل طبقات المجتمع ولكن بنسب متفاوتة بين البد والحضر، وبين من تعيش في مراكز الإشعاع العلمي ممن تعيش في باقي مناطق المغرب الأوسط.

وتوصلت الدراسة إلى أن المصادر التاريخية لم تذكر نساء قد برزن في العلوم العقلية، باستثناء امرأتين من أسرة بني زهر الأندلسية التي اشتهرت بالطب، وتعلمت بعض النساء مهنة الطب داخل بيوت الأطباء أكثر من المرافق الأخر، ونلاحظ انتشار الطب التقليدي بشكل كبير وتأثيره أعمق على نساء المغرب الأوسط، فتأثرت بخبرات الأندلسيات واليهوديات وغيرهن ممن توافدن على المغرب الأوسط، وتعددت مهام الطبيبات الشعبيات فكانت تفصل في قضايا نسائية داخل بيوت القضاء وغيرها من المهام، ومع هذا لا نجد اسما واحد لهؤلاء الطبيبات، إنما تذكرها بوظيفتها كقابلة دون ذكر لاسمها داخل كتب المصادر، ولهذا فإن المرأة في المغرب الأوسط لم تنل نصيبها من العلوم العقلية.

وكان للعلاج الروحاني بنوعيه( التصوف والكهانة) تفاعل جد شديد بين المعالجات والمجتمع بجميع شرائحه الخاصة والعامة، فمع ظهور الكاهنات من ساحرات وعرفات

ومنجمات، وزيادة في تفشيها داخل المجتمع، كان التأثير كبيرا وخصوصا عند زيادة نسبة الجهل في أوساط النساء .

وتبين لنا من خلال هذه الدراسة أنه مع ظهور التصوف النسائي بالمغرب الأوسط، عكفت المتصوفات على نهج طرق لتربية الروحية للمجتمع، والعلاج الروحاني من خلال نشر الثقافة الإسلامية، وتعريف المرأة أمور دينها ودنياها، فكانت المتصوفات الملاذ الأخير لهن في أوقات السلم والحرب، ومع هذا لم يكن لهن الدور الكبير في الحياة العلمية، والتأثير فيها بشكل بارز.

ارتبطت المكانة الاجتماعية للمرأة بسلوكها الناتج عن تفاعلها مع الحياة اليومية، وذهنية المجتمع ( الرجل) الذي يسير وفقها، ويصبغ تلك الذهنية بالشرعية الدينية أحيانا ويستعين بالعادات والتقاليد المتمثل في العرف أحيانا أخرى، ولكن المرأة كان لها تأثير قوي في ترجيح الكفة بين الدين والعرف، في تسيير حياتها داخل مجتمع المغرب الأوسط، من خلال تطبيقها للتعاليم الدينية في حالات كثيرة، ولكن العرف السائد داخل المجتمع أقوى تأثير من الدين، وهذا راجع لقلة تفقهها بالتعاليم الدينية الصحيحة، في بعض المناطق من المغرب الأوسط، على اختلاف تعاليمهم الدينية( الإسلامية، النصرانية، اليهودية).

تأثرت المرأة بأفكار وحضارة الوافدين إلى المنطقة، فكان التأثير الأندلسي على الفتاوى الفقهية من خلال استعانة فقهاء المغرب الأوسط بفقهاء وعلماء الأندلس في بعض القضايا في إطار التبادل الثقافي بين مختلف الحواضر، والتأثير الأندلسي من خلال مظاهر الحياة اليومية لهم، فقد شد انتباه نساء المغرب الأوسط، حتى تحولت البدعة إلى عادة والعادة إلى تقليد راسخ داخل المجتمع يسير المرأة على أساسه.

وتوصلت الدراسة إلى أن المرأة أثرت بشكل بارز في الجانب التشريعي، من خلال استحداث فقه النوازل الذي بدوره يسعى إلى إيجاد الحلول العملية لكل الوقائع، والنوازل التي تصيب المسلمين على مستوى الفرد والجماعة، وذلك من خلال إعمال النظر الفقهي في نصوص القرآن والسنة، ويتمثل اجتهاد الفقهاء في إسقاطها على الوقائع والحوادث التي تستحدثها المرأة، وهي تمارس حياتها اليومية متأثرة بالواقع الاجتماعي المعاش.

وتمكنت من تقديم صورة عن المرأة في إطار تأثيرها وتأثرها داخل عدة فضاءات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، فاسهمت إلى حد كبير في تشكيل هوية المغرب الأوسط، بحيث يكون الإنتماء داخله مميزا من منطقة إلى أخرى في المغرب الأوسط.

# المـــلاحق

**1- ملحق الخرائط**

**2- ملحق الجداول**

**3- ملحق النصوص**

**4- ملحق الصور**

## 1-ملحق الخرائط

**ملحق رقم 1:** خريطة المجال السياسي لدولة الموحدين[1].

خطأ!




---

[1]– شوقي أبو خليل: **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**, دار الفكر, ط5, دمشق, 2005, ص 97.

**ملحق رقم2: توزيع القبائل ببلاد المغرب الأوسط حسب ابن خلدون**[1]




[1] – ابن خلدون: العبر، ج6، جميع صفحات الكتاب

**ملحق رقم 3:** خريطة للمغرب الإسلامي بعد تفكك الدولة الموحدية[1]

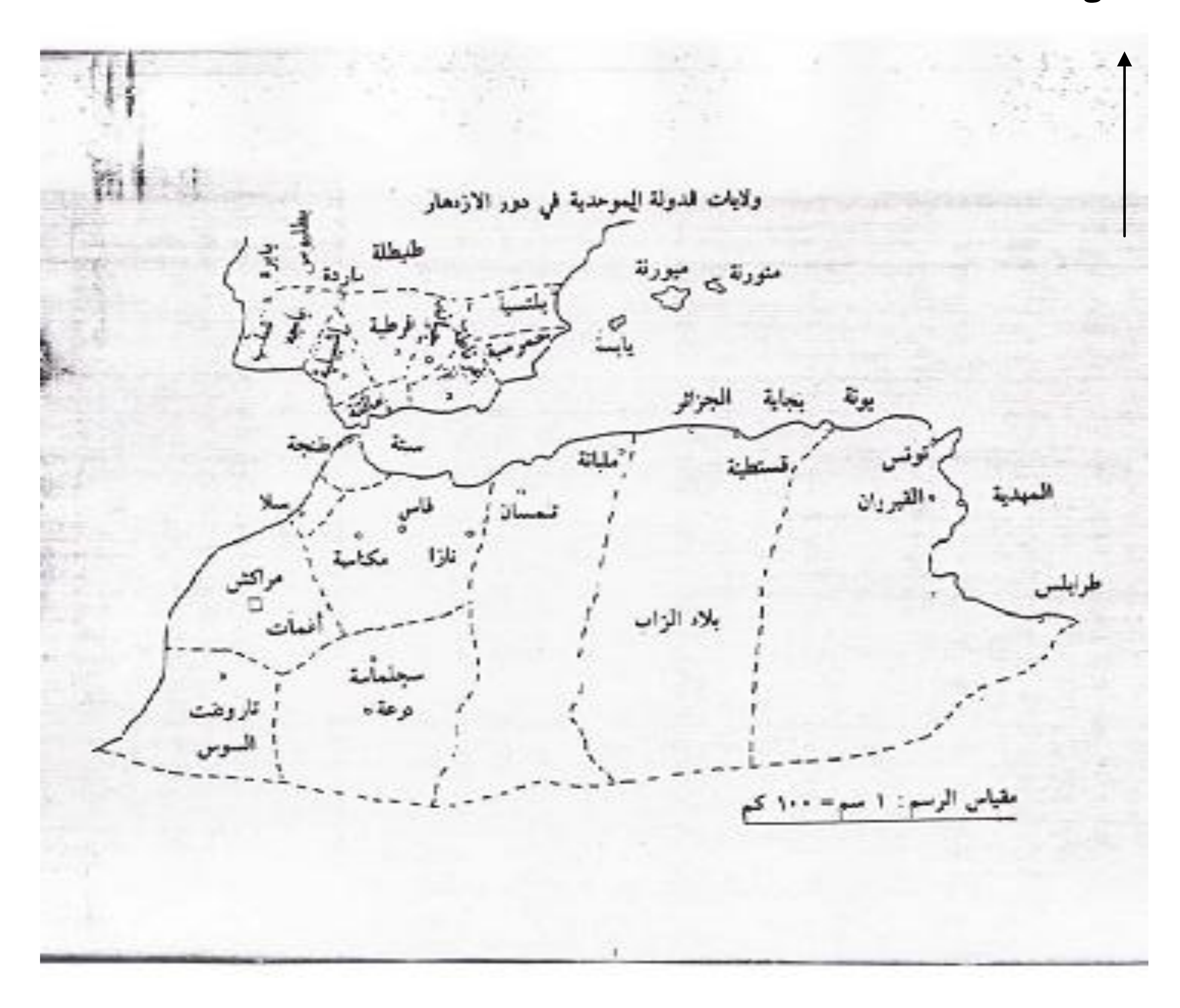



---

[1]– محمد عبد الله عنان: المرجع السابق, ج3, ص 569.

**ملحق 4:** التقسيم الإداري لولايات الدولة الموحدية في دور الازدهار[1]

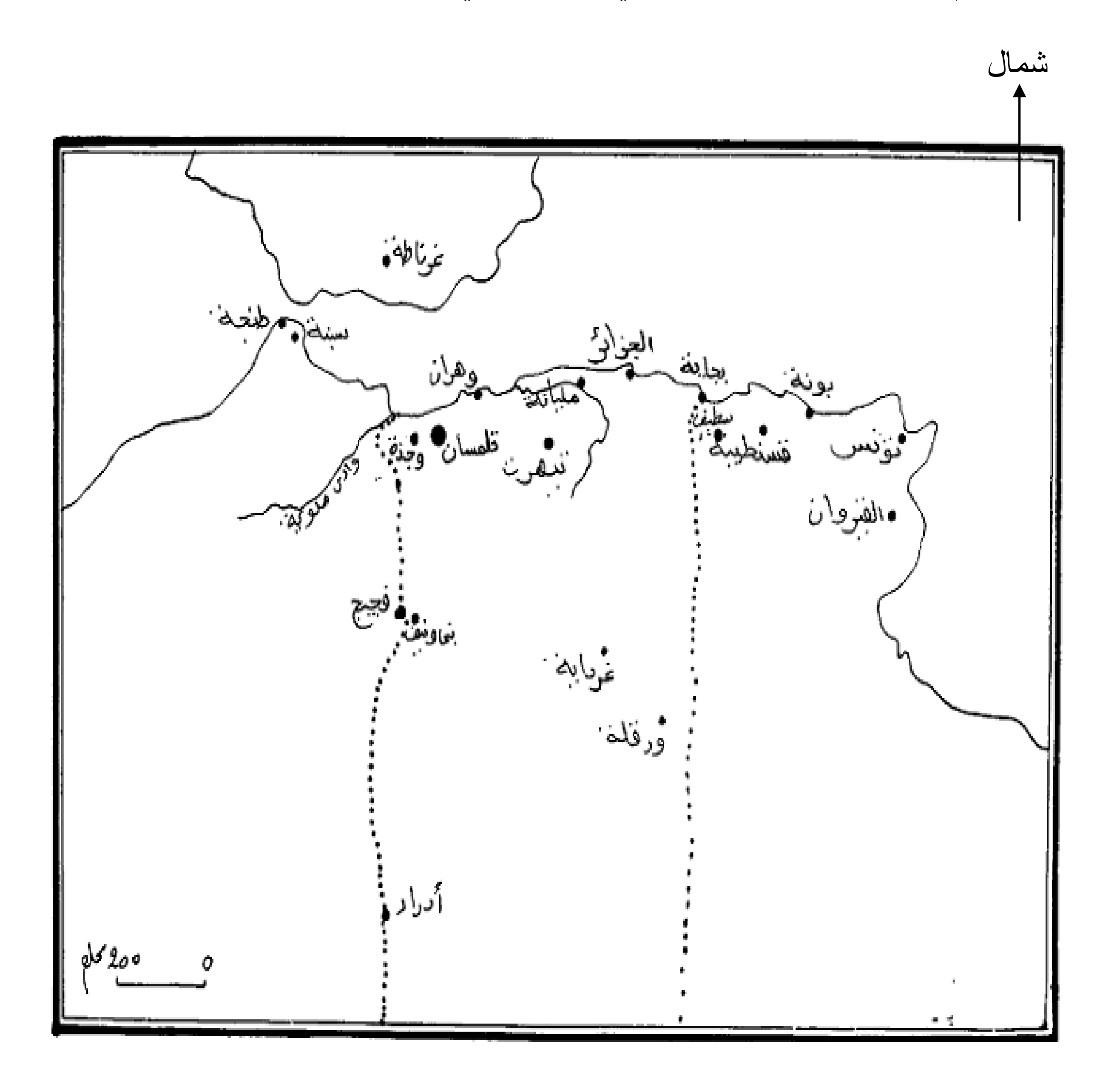
شمال




---

[1] – عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، بيروت، 1969، ص 176.

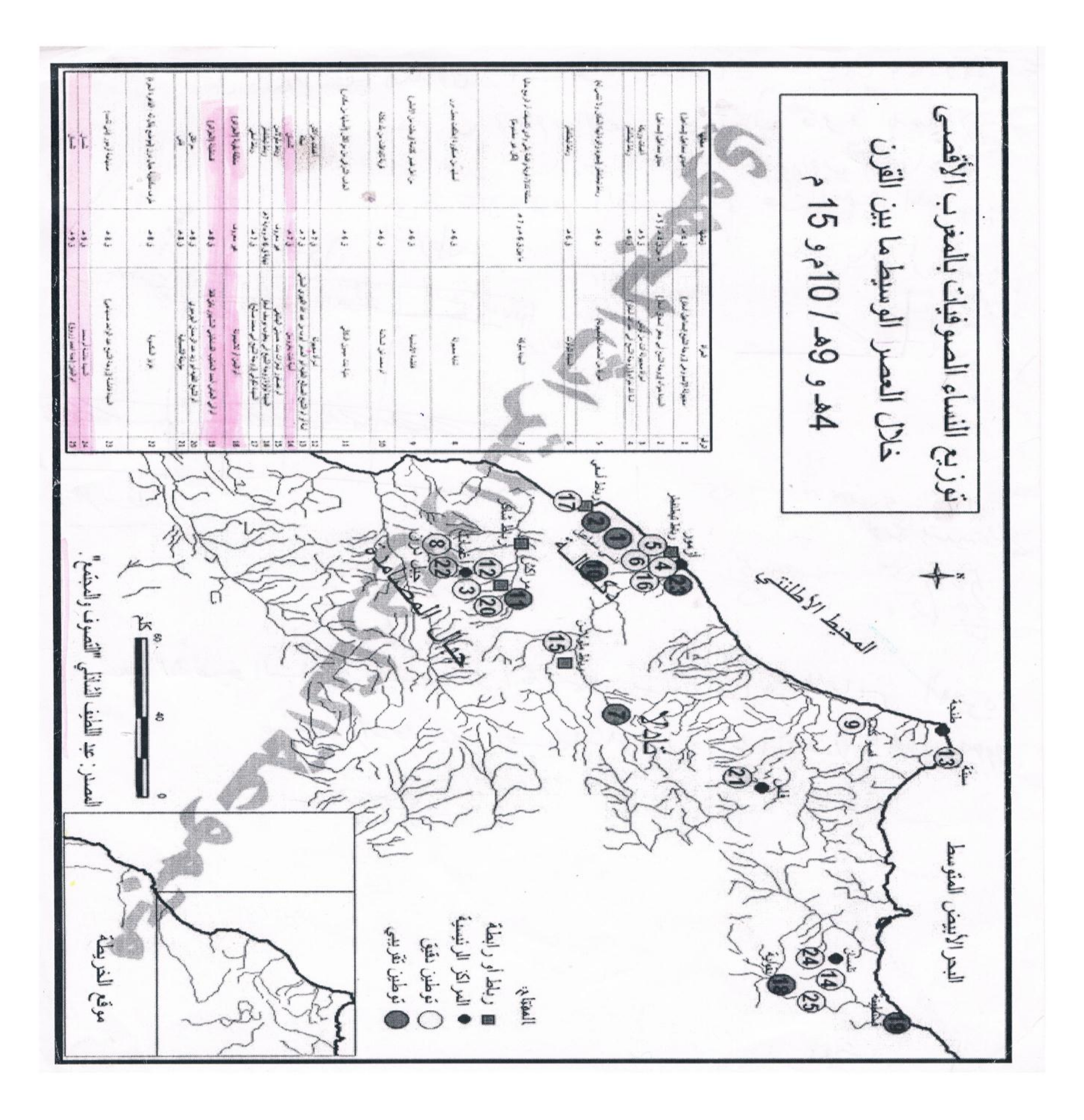
**ملحق رقم 5**: حدود المغرب الأوسط في العهد الزياني[1]




---

[1] – عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، 572.

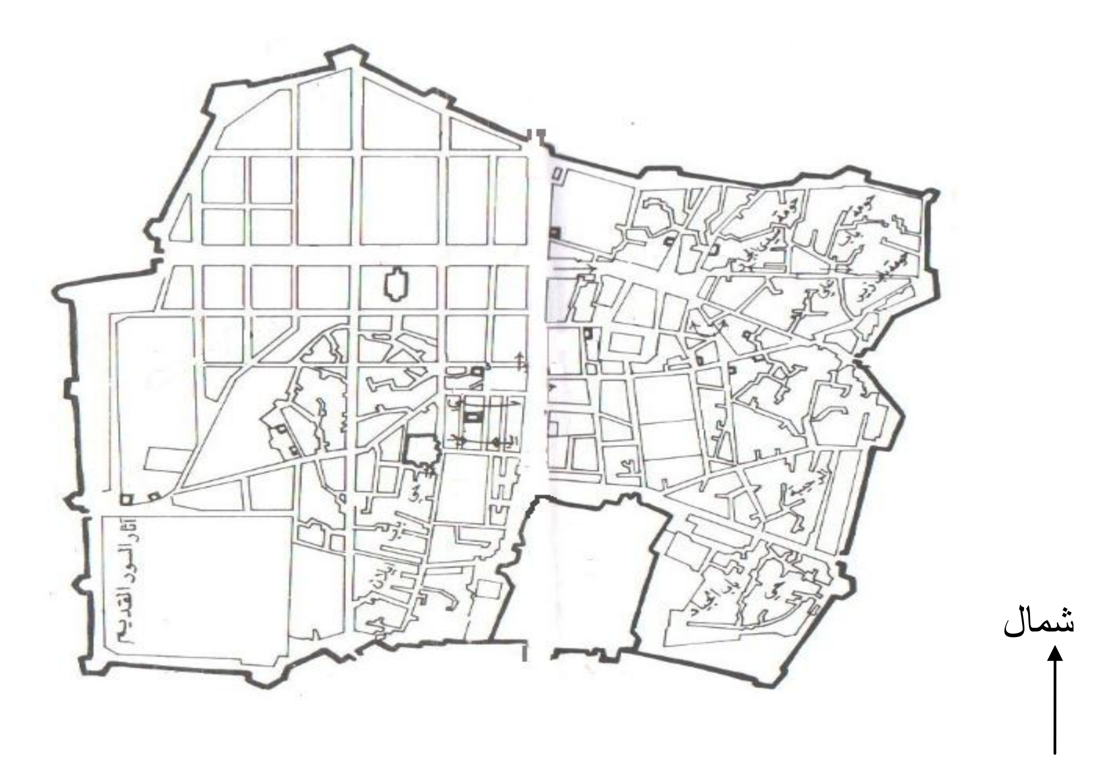
**ملحق رقم 6**: خريطة تمثل توزع النساء الصوفيات بالمغرب الأوسط والأقصى خلال العصر الوسيط ما بين القرنين 4- 9هـ/ 10- 15م[1]




---

[1]- عبد اللطيف الشاذلي: **التصوف والمجتمع: نماذج من القرن العاشر الهجري**، منشورات جامعة الحسين الشاذلي، (د، ط)، سلا، المغرب، 1989، ص 420.

## ملحق رقم 7: خريطة الأسواق بتلمسان[1]




1-سوق الخضر واللحم والخبز القديمة

2- سوق الحدادين والصباغين والصفارين

3-سوق الخياطين والنساجين

4- سوق الغزل

5-سوق العشابين والحطابين وآلات الفلاحة والخزف

6 – سوق الأحصرة والبسط

7-سوق الخرازين والسراجين

8-سوق الصاغة

9-الفخارون

---

[1]- محمد الطمار: تلمسان عبر العصور، ص 286.

## 2ـ ملحق الجداول:

### ملحق: رقم 8: أهم قبائل زناته في المغرب الأوسط[1]

| قبيلة | أماكن تواجدها |
|---|---|
| بني رومان وبني يلومي | الشلف |
| هوارة | لأوراس، الغدير، مكناسة |
| مزاتة | المسيلة، باغاية |
| بني جنداج | المسيلة |
| مغراوة | بلاد الزاب |
| لواتة | بجاية |
| بنو برزال | المسيلة، سطيف، طبنة |
| اوربة | نقاوس، بونة، سدراتة، المسيلة، بسكرة |
| مطغرة | الطريق الذي يخرج من تنس ويؤدي إلى أشير |
| ريغة | شرشال |
| بنو مرين وورطاقين، وزيري ماني، سنجاس، وعزة، ويلومان | بين تلمسان وتيهرت |

[1] – صالح يوسف بن قربة: **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية وأثرية**، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009، ص 230.

## ملحق رقم 9: الثروة المعدنية والزراعية والحيوانية لأهم المدن في المغرب الأوسط

| المدينة | الثروة المعدنية | الثروة الزراعية (حبوب فواكه) | الثروة الحيوانية | المصدر |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| تلمسان ( مواد متوفرة في الأسواق الزيانية) | الملح | الشعير– فواكه– خضر القمح – الزيت – العسل– الحطب – | المواشي– الدواجن | يحي بن خلدون: العبر، ج 1، ص ص 90، 113، 114، 211. التنسي: المصدر السابق، ص 132. |
| بجاية | الزفت – القطران– الحديد الخشب | الحنطة – الشعير– الفواكه– التين– الزيت القمح | المواشي – القردة – الحيوان المشوك | ابن أبي الزرع: روض القرطاس، ص 409. |
| تيهرت | – | الزيت – فواكه القمح | المواشي– الغنم– الجمل– النحل | |
| جزائر بني مزغناي | – | الحنطة والشعير– الفواكه | المواشي– البقر – الغنم–النحل– | ابن أبي الزرع: روض القرطاس، ص 409. |
| بسكرة | الملح | النخل–الزيتون–التمور | – | |
| طبنة | – | الحنطة والشعير–الثمار الكتان–القطن–التمر | الماشية – الغنم – البقر | |
| المسيلة | – | الحنطة والشعير– السفرجل–القطن | الغنم– البقر– الخيل –السمك– الدواب | |
| وهران | – | الشعير – البر– البقلاء | مواشي– | يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 90 |

## 3 -ملحق النصوص:

**ملحق رقم 10: مقتطف رسالة عبد المؤمن إلى أهل قسنطينة يبين فيها موقفه إتجاه المكوس والقبلات التي لا تبيحها الشريعة**

إلاقيبروقنصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، ج10، مطبوعات معهد العلوم المغربية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب الأقصى، 1941م، ص17 ومابعدها.

"من أمير المؤمنين– أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيوخ والأعيان وجميع من في قسنطينة وفقهم الله بما يرضاه، وتولى بهم سبيل هداه– سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

" **[...]** وقد كان بهذه الأصقاع، من آثار أهل الاختلاق والابتداع، ما علمتموه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الأنواع.وكان الأشقياء من ولاتها يرون إيجابها وإلزامها شرعا يلتزمونه وواجبا يقدمونها ولا يلتفتون غلى ما أوجب الله من الزكوات والأعشار، بل كانوا يطّرحون ذلك إطّراح أمثالهم من الفجار.وقد قطع الله بفضله أصولهم وفروعهم، وأزاح عن عبادهم جوهرهم ونزوعهم، ورد الأمر إلى أصله الأكرم ونصابه وأجرى الشرع بالإمام المهدي–رضي الله عنه– على بابه، وأراح جميع أهل البلاد المعمورة بالتوحيد من جميع ما كانوا يكلفونه من المغارم، ويعرفونه من أسباب المظالم ولما منّ الله على أهل البلد مما منّ به من التسليم والتأمين، وأحلهم بفضله ورحمته كنف هذا الأمر المكين الأمين انقطعن عنهم أسباب الظلم بانقطاع أهله، وسدت عنهم أبواب الباطل كثره وقله، فلا يطلبون إلا بما توجبه السنة وتطلبه، ولا يلزمون –ومعاذ الله– مكسا ولا مغرما ولا قبالة ولاسيما مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبُه.ولكم في علم ذلك ومعرفته دليل على ما سواه، الله يهدي بهداه من اختاره وارتضاه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

كتب في الرابع والعشرين من جمادى الأول سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

---

[1]–لفي بروفنسال: **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، مطبوعات معهد العلوم المغربية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب الأقصى، 1941، ج10, ص17 ومابعدها.

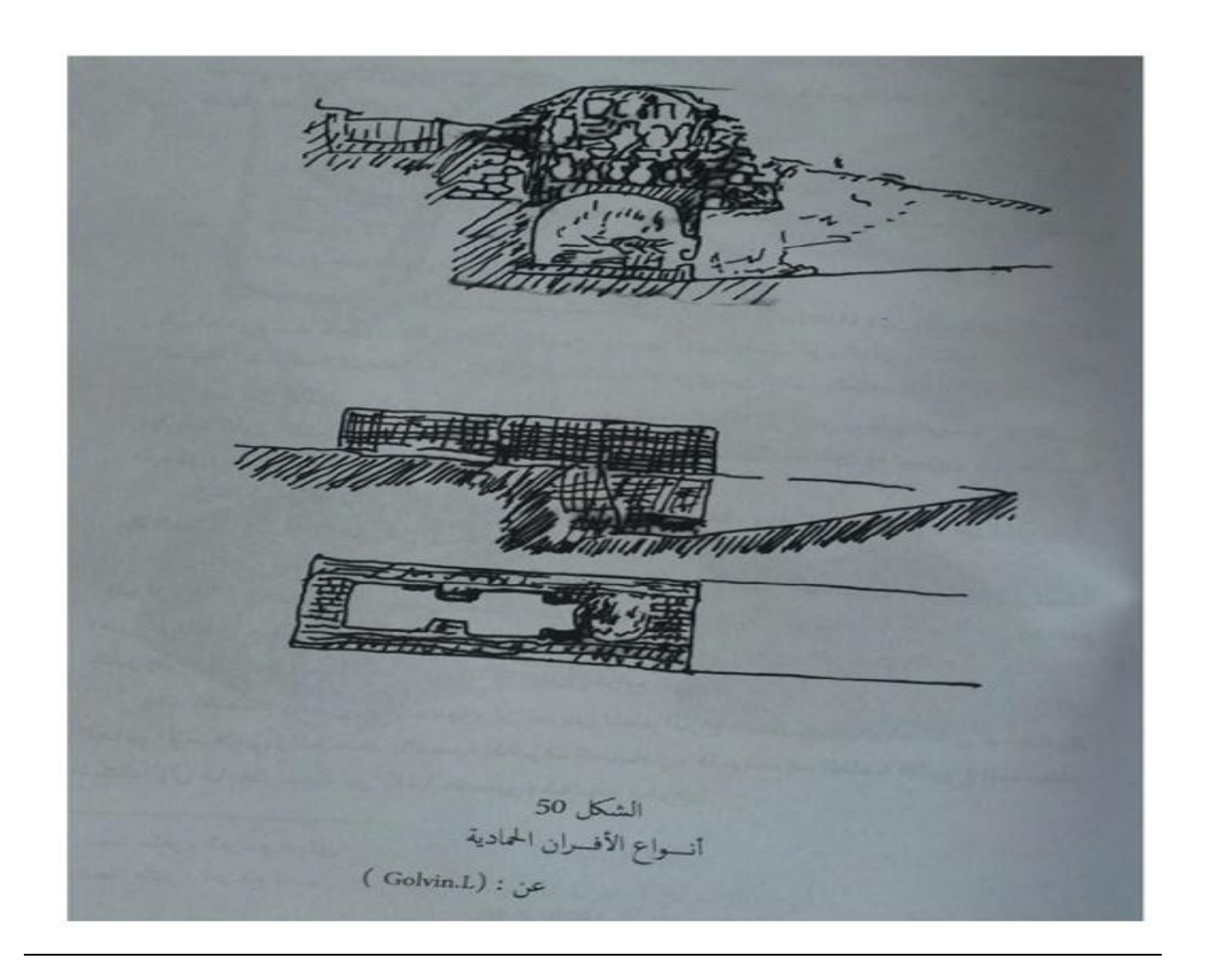
## 3- ملحق الصور:

### ملحق رقم 11: الأواني الفخارية ببجاية[1]



1- رشيد بورويبة: المرجع السابق، 282.

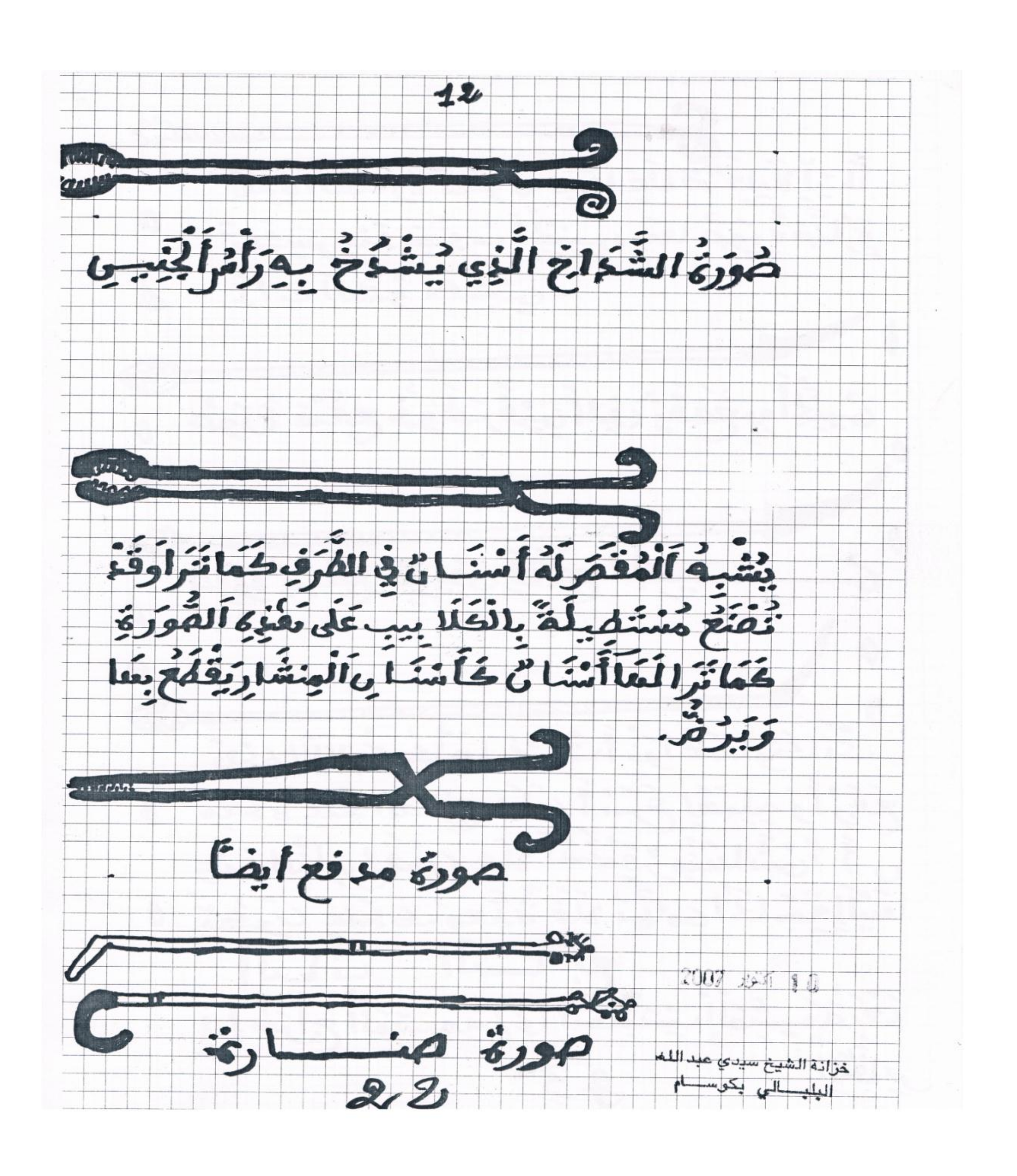
## ملحق رقم 12: بعض أنواع الأفران من العهد الحمادي[1]



الشكل 50
أنــواع الأفـران الحمادية
عن : ( Golvin.L )

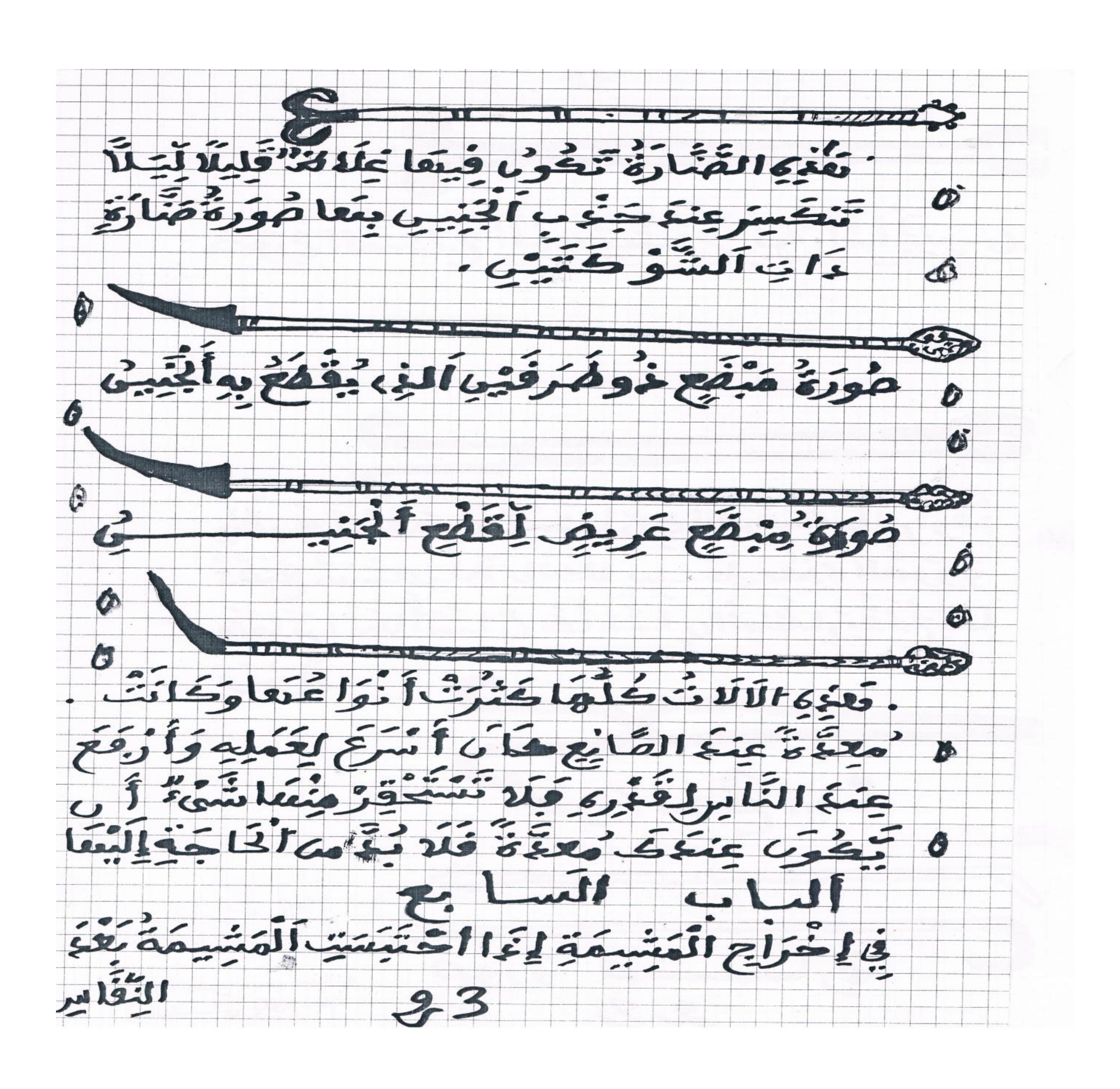
[1]– يوسف صالح بن قربة: المرجع السابق, 258.

**ملحق رقم 13:** الوسائل الطبية لإخراج الجنين وغيره[1]



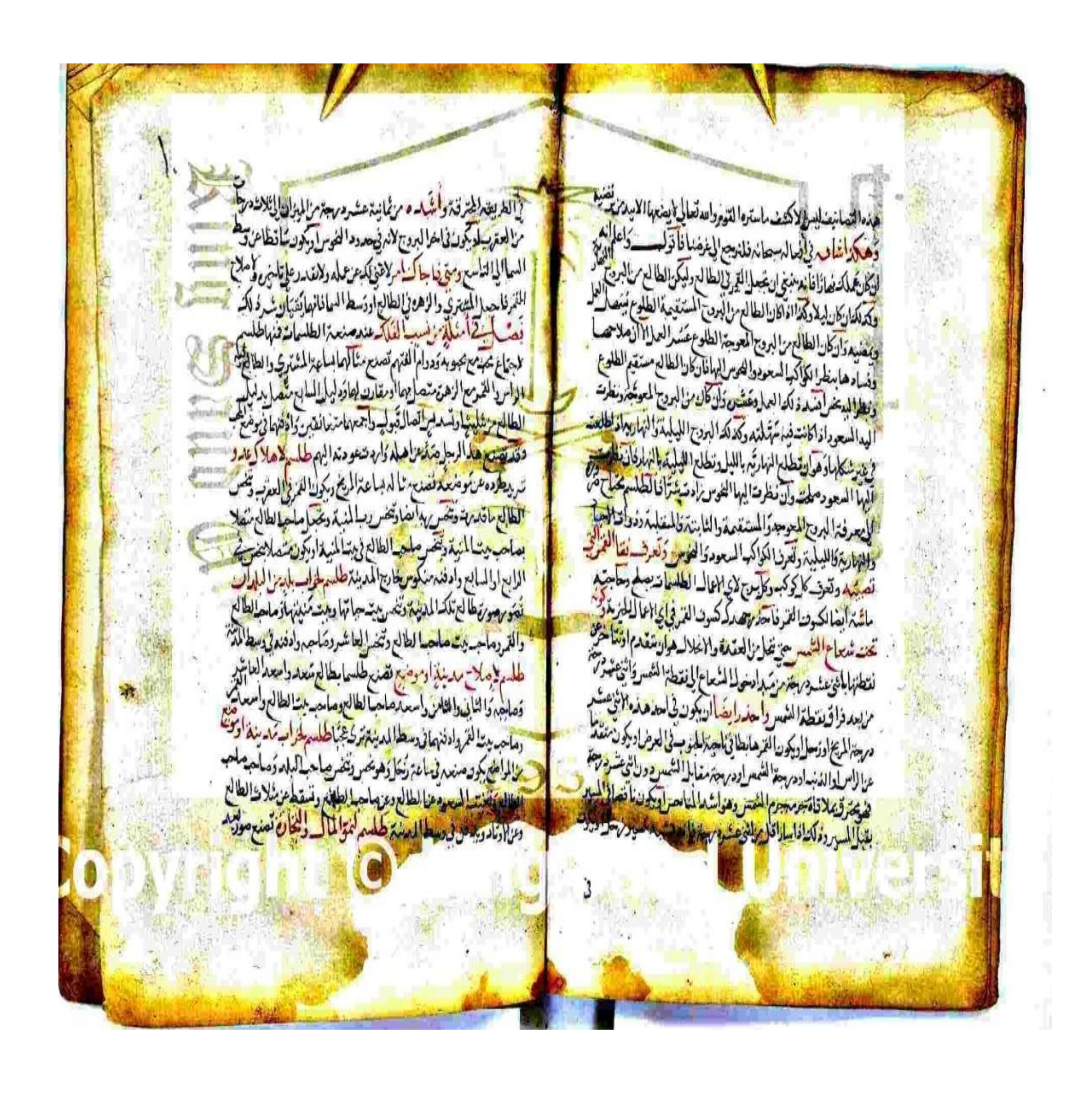

1– مؤلف مجهول: كتاب الطب والجراحات, ورقة رقم 22.

**ملحق رقم 14:** وسائل طبية تستعملها الطبيبات لإخراج الجنين الميت[1]



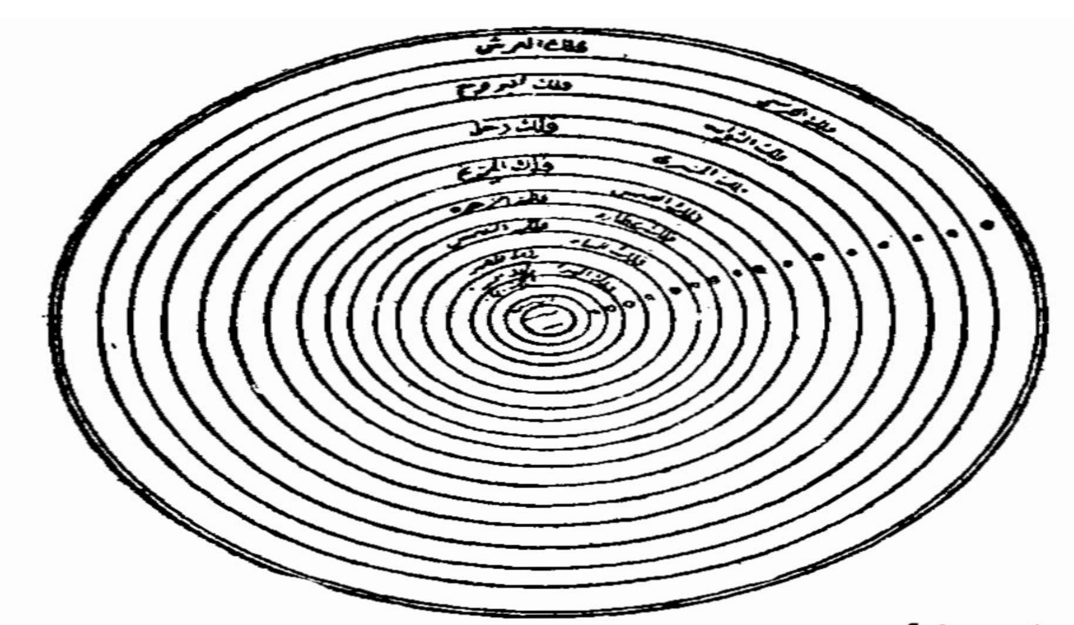

[1]- مؤلف مجهول: كتاب الطب والجراحات, ورقة رقم 23.

**ملحق رقم15:** صورة من مخطوط كتاب غاية الحكيم واضح النتيجتين بالتقديم.[1]



[1]– أبو القاسم المجريطي القرطبي: **كتاب غاية الحكيم واحق النتيجتين بالتقديم**, القرن الثالث عشر الهجري (تقدير), 5751 ف 411779, مكتبة جامعة الملك سعود" قسم المخطوطات" , 69 ورقة, ورقات رقم 17– 18.

**ملحق رقم 16:** صورة من مخطوط كتاب شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف, توضح طريقة كتابة حرز.[1]

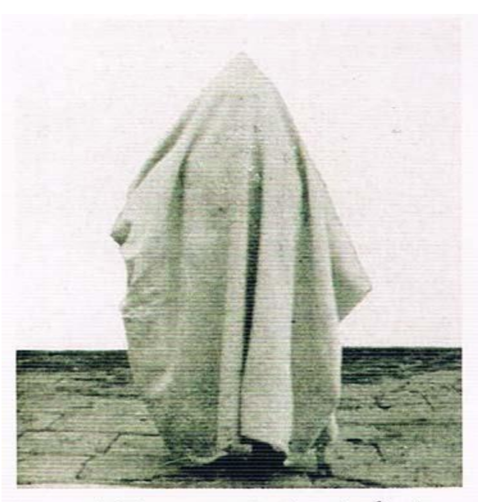



وسأبين لك أسماء الدوائر كلها فالعالم كله دوائر وخاء . وائر ملك ودوائر سعادات وشقاوات ودوائر محمودة في وسط المركز ثم مجموعة فمن فلك دائرة السماء وهي الواسعة التي لا يحيط بها الا هو قال تعالى ويخلق مالا تعلمون وذلك دائرة الفلك الاثير المحيطة بعالم الملك ودائرة العرش ودائرة فلك الكرسي ودائرة فلك البروج وفيه ٩ أفلاك فمن فلك دائرة زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ثم دائرة النار ثم دائرة الهواء ثم دائرة الماء ودائرة التراب التي هي سطح الارض وجعل سطح الارض مستديرا وأرساها بالجبال وجعل جبل ق محيطا بالارض ومن بعده البحر المحيط ومن بعده أرض يعضه على الخلاف ان فيها الجنة وهي ٨ دوائر ما بين كل دائرة وسعة عظيمة ودوائر الآخرة هي دوائر واحدة وهي أرض البعث والنشور ثم النار وهي ٧ دوائر ودائرة العالم وفيها دائرة الملك والملكوت ودائرة الرسالة وفيها آيات وكل آية لها دوائر مركز يتولها دوائر تحقيق ودائرة القطب وهي الاولياء وهي دائرة كبيرة أولها دائرة الكعف ثم دائرة النفس ثم دائرة المركز ظهرت الاولية واقفا ثم الصور تمت الاخروية والاولية والاخروية له أزلا وأبدا هو الاول والآخر وقد ضربنا لك مثلا لتنظر اليه في عالم الملك والآخرة عدد دوائرها وتقول الدائرة لها أحكام ٤ ذات وجود القطب المعبر عنه المجرة في وضع رسم الدائرة ثم الثالث

---

[1]– أحمد بن علي البوني: المخطوط السابق, ورقة رقم 485.

## ملحق رقم 17: الكسا( الحائك) في تلمسان الزيانية[1]



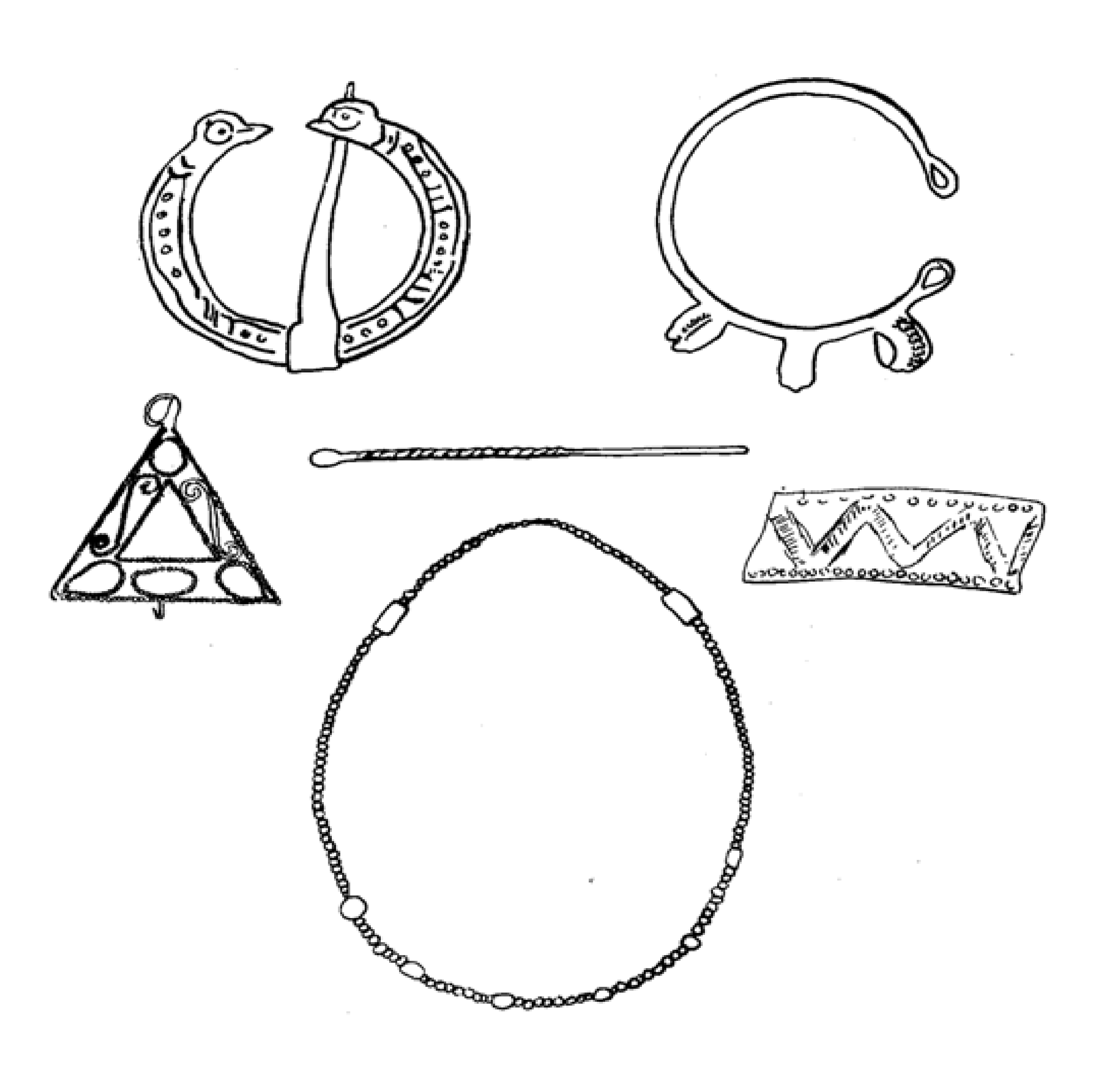
امرأة تلمسانية ترتدي حائكا
(كسا) لباس خارجي (منظر خلفي)



امراة تلمسانية ترتدي حائكا
(كسا) لباس خارجي (منظر أمامي)

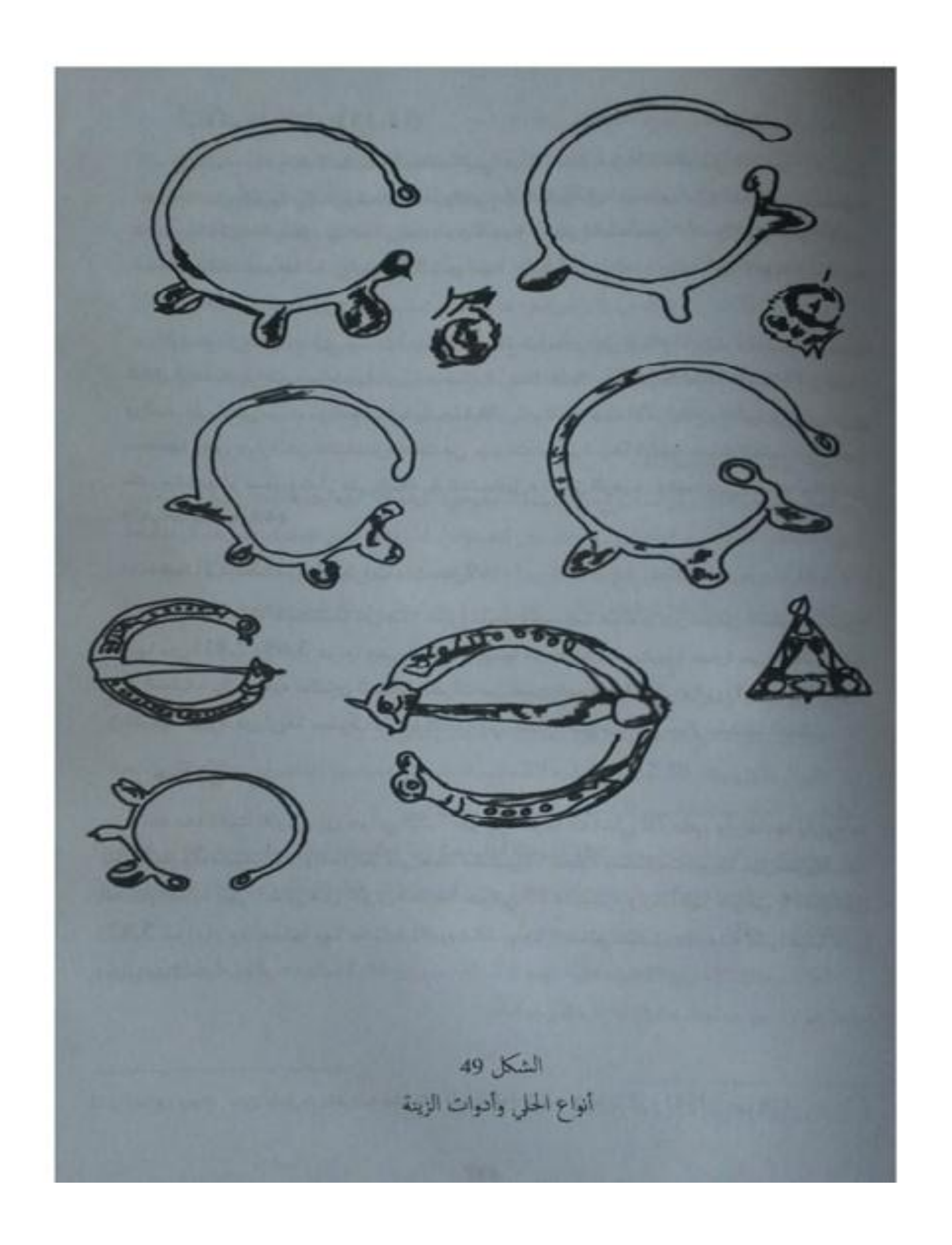
[1]– نصر الدين براهامي: المرجع السابق، ص118.

**ملحق رقم 18:**أشكال الحلي[1]



[1]– رشيد بورويبة: المرجع السابق ص310.

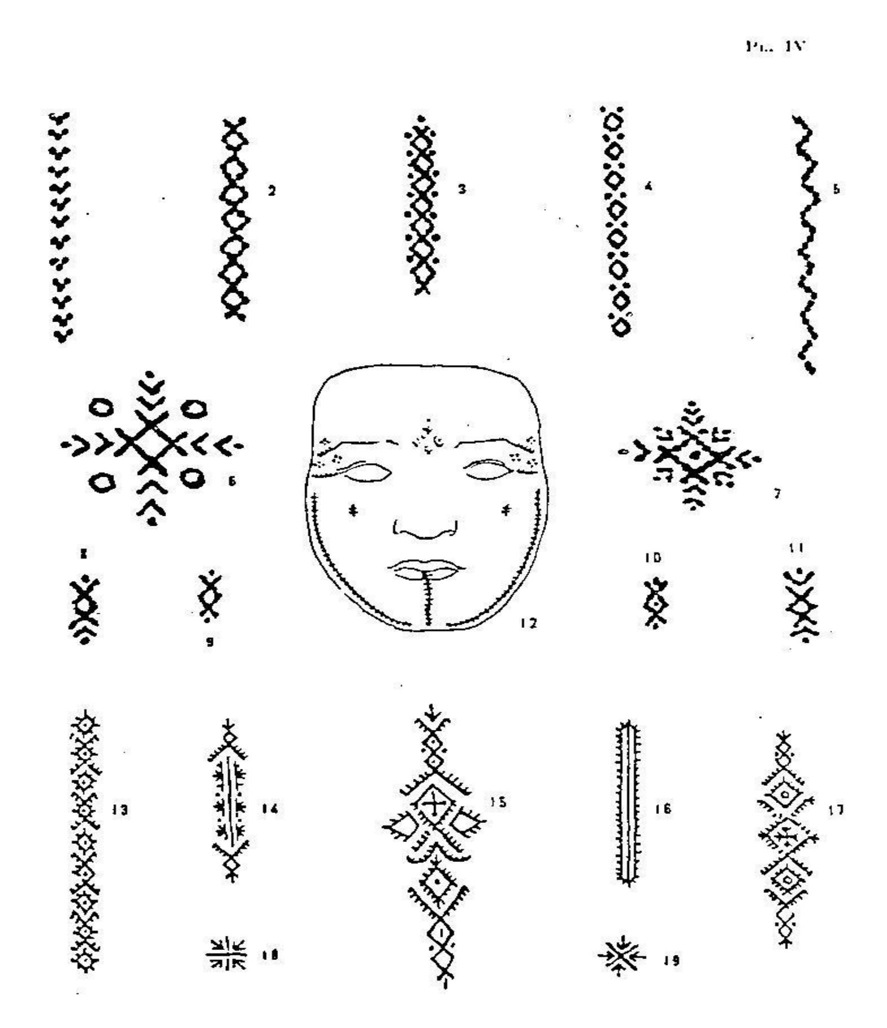
**الملحق رقم 19:** أنواع الحلي وأدوات الزينة[1]



الشكل 49
أنواع الحلي وأدوات الزينة

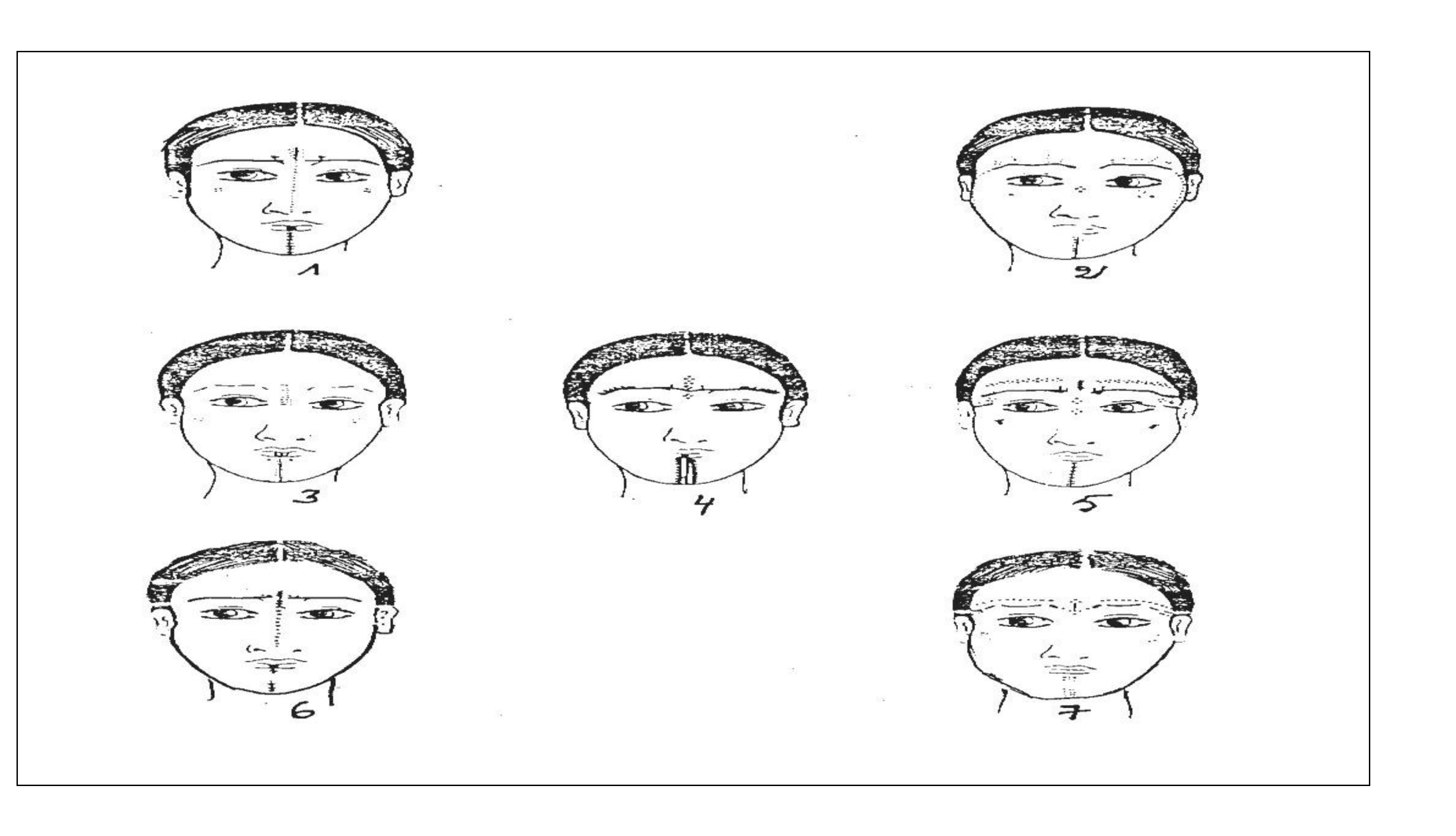
[1]- يوسف صالح بن قربة: المرجع السابق, ص 263.

**ملحق رقم20:** رسومات لتزيين الوجه بالحرقوس عند نساء المغرب الأوسط[1]



[1]– نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق, ص 671.

**ملحق رقم 21:** أشكال تزيين الوجه بالوشم عند نساء المغرب الأوسط[1]




[1]- نبيلة عبد الشكور: المرجع السابق، ص ص 671- 672.



# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم**

✓ **المخطوطات:**


**1**-ابن الأعرج السليماني: **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ**، مخطوط، الخزانة الحسينية، الرباط.

2-الصباغ أبو عبد الله محمد بن علي القلعي (حيا سنة 950هـ/1543م): بستان الأزهارفي مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشيدي النسب والدار, رقم 1707 و1708، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، 114 ورقة.

3-عريب بن سعيد القرطبي( كان حيا زمن الخلافة الأموية بالأندلس): **كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين**، مخطوط، نسخة دير الاسكوريال، رقم 227، مكتبة الاسكندرية .

4-مؤلف مجهول: **كتاب الطب والجراحات**، 894هـ/ 1489م، رقم 114, خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام، تيمي ولاية أدرار، الجزائر، 266 ورقة.


✓ **المصادر:**


1-ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني( ت 781هـ/ 1380م): **المناقب المرزوقية**، تح: سلوى الزاهري، منشورات الأوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2008 .

2-ابن الصغير( كان حيا في ق 3هـ/ 9م):**أخبار الأئمة الرستميين**، تح وتع: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، ( د، ب، ن)، (د، ت).

3-ابن القوطية، أبو بكر القرطبي: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، لبنان، 1989، ج2.

4-ابن عرفة محمد التونسي: **المختصر الفقهي**، تع: حافظ عبد الرحمان محمد خير، مؤسسة خلف أحمد البتور للأعمال الخيرية، (د، ط)، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 2014، ج10.

5-ابن قنفذ القسطنطيني: **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، (د، ط)، الرباط، المغرب، (د، ت).

6-أبو الفقيه أبو بكر محمد: **مختصر كتاب البلدان**، (د، ط)، مطبعة برلين، لندن، 1885.

7-الحنفي شهاب الدين أحمد: **زهر الحديقة في الأطعمة الأنيقة**، تح: محمد عبد الرحمن الشاغول، الجزيرة للنشر والتوزيع، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، مصر، القاهرة,2007.

8- القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تق، تح, تع: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط2، المغرب، 1997.

9- الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد ( ت 852هـ/ 1448م): **المستطرف في كل فن مستطرف**، عالم الكتب، (د,ط)، بيروت، 1998.

10- ابن أبو بكر أبي بكر يحي: **سيرة الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، مطبعة أحمد زبانة، ط1، الجزائر، 1979.

11- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي( ت 668هـ/ 1270م): **عيون الأنباء في طبقة الأطباء**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ج3.

12- ابن أبي الدينار، أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، (د,ط)، تونس، 1982.

13- ــــــــــــ: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، تونس، 1869.

14- ابن أبي الزرع الفاسي( ت 726هـ/ 1326م): **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور، (د,ط)، الرباط، 1972.

15- ابن أبي حجلة شهاب الدين أحمد المغربي التلمساني: **ديوان الصبابة**، تح وتق: سعد زغلول، منشأة المعارف، (د، ط)، الإسكندرية، مصر، (د، ت).

16- ابن أبي زيد أبو محمد عبد الله القيرواني: **متن الرسالة**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، (د، ط)، المحمدية، 1984.

17- ابن الابار أبو عبد الله القضاعي: **الحلة السيراء**، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (د,ط)، بيروت، 1962.

18- ابن الأثير، ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني( ت 630هـ/ 1233م): **الكامل في التاريخ**، مر، وصح: محمد يوسف الدقاق، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، 2003، ج9.

19- ــــــــــــــــــ: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

20- ــــــــــــــــــ: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمي، بيروت، 1979، ج4.

21- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل( 725- 807هـ/ 1325- 1405م): **روضة النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، ( د، ط)، الرباط، 1968.

22- ــــــــــــــــــ: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، المكتبة الثقافية الدينية للنشر، ط1، بورسعيد، 2001.

23- ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري: **المدخل إلى تنمية الأعمال لتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها**، تح: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1995, ج4.

24- ـــــــــــــــــــــــــ: **المدخل إلى تهيئة الأعمال لتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها**، مكتبة دار التراث، ج1، (د, ط) ، القاهرة، (د، ت).

25- ابن الحاج النميري: **فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تح: درا وإع، محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

26- ابن الخطيب لسان الدين التلمساني ( ت776هـ/ 1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1973، ج1.

27- ابن الخطيب لسان الدين التلمساني ( ت776هـ/ 1374م): **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تح، محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، بنغازي، ليبيا، 2009.

28- ابن مخلوف محمد بن محمد بن عمر قاسم القسنطيني: **ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين**، تح، العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، (د، ط)، الجزائر، 2004.

29- ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي( 617هـ/ 1220م): **التشوف إلى رجال التصوف**، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعوم الإنسانية، (د، ط)، الدار البيضاء، الرباط، 1984.

30- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير (960-1020هـ/ 1553- 1611م): **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة دار التراث، (د، ط)، القاهرة، 1970، ج1.

31- ـــــــــــــــــــــــــ: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، (د، ط)، الرباط، 1973، ج1.

32- ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الله الملك الكتامي( منتصف ق 7هـ/ 13م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،** تق وتح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

33- ابن الوردي عمر بن مظفر بن عمر بن محمد: **منافع النبات و الثمار و البقول والفواكه والخضروات والرياحين،** تح: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب، (د، ط)، دمشق، (د، ت).

34- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم: **تحفة النظار في عجائب الأمصار،** تح: علي المنتصب (د، ن)، ط4، بيروت، 1985.

35- ابن بيطار ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد: **الجامع لمفردات الأدوية و الأغذية،** دار الكتب العلمية، (د، ط)، بيروت، 2001.

36- ابن تومرت أبو عبد الله محمد (524هـ/ 1130م): **أعز ما يطلب،** تقد وتح: عمار الطالبي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب (د، ط)، الجزائر، 1985.

37- ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي أبو محمد( ت 456هـ/ 1064م): **المحلى،** إدارة الطبعة المنيرية، 1975.

38- ـــــــــــــــــــ: **جمهرت أنساب العرب،** تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط3، مصر، 1971، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان,1983.

39- ـــــــــــــــــــ: **رسائل بن حزم الأندلسي، رسالة طوق الحماة في الألف والألاف،** تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، ج1.

40- ابن حمديس عبد الجبار (ت 527هـ/ 1132م): **ديوان شعر عبد الجبار بن حمديس،** تصحيح و تح: إحسان عباس، دار صادر، ( د، ط)، بيروت، لبنان، 1960.

41- ابن خلدون أبو زكرياء يحي ( ت780هـ/ 1378م): **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، ج1، (د، ط)، الجزائر، 1980.

42- ابن خلدون عبد الرحمن الحضرمي الإشبيلي: **رحلة بن خلدون**، تر: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

43- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ( 808هـ/ 1405م): **المقدمة**، تح: أحمد الزعبي، دار الأرقم، (د, ط)، بيروت، (د، ت، ن).

44- ـــــــــــــــــــــــــ: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مر: سهيل زكّار، دار الفكر، ط4، بيروت، 2000,ج6.

45- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد ابن أبي بكر (608-681هـ/ 1212- 1283م): **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تح إحسان عباس، دار صادر، (د، ط)، بيروت, (ب, ت، ن)، ج5.

46- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي المالكي ( ت 520هـ/ 1126م):**المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمريات مسائلها المشكلات**، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ج1.

47- ـــــــــــــــــــــــــ: **نوازل ابن رشد**، تق وتح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1987.

48- ـــــــــــــــــــــــــ: **الكليات في الطب**، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2008.

49- ابن زيان أبو حمو موسى بن يوسف: **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، (د، ن)، (د، ط)، تونس، 1880.

50- ابن سحنون محمد: **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، تع: محمد العروسي المطوي، (د, ن)، ط2، تونس، 1972.

51- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى ( ت 685هـ/ 1286م): **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1970-1982.

52- ابن سينا الحسن بن عبد الله بن على (428هـ/1037م): **القانون في الطب**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999، ج1.

53- ابن صعد محمد بن أبي الفضل بن سعيد الأنصاري التلمساني( ت 901هـ): **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تح ومر: يحي بوعزيز, (د، ط)، (د، ب، ن)، ( د, ت).

54- ابن عباد: **الرسائل الكبرى**، طبعة حجرية، (د، ط)، فاس، 1891، ج2.

55- ابن عبدون الجرسيفي بن عبد الرؤوف( ت في القرن 6هـ/ 12م): **ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**. تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

56- ابن عذارى أبو عد الله محمد بن عذارى المراكشي( ت 695هـ/ 1296م): **البيان المغرب في أخبار الأندلسوالمغرب**، تح: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ج1.

57- ابن عمر عماد الدين إسماعيل بن محمد " المعروف بأبو الفداء صاحب حماه" (ت 732هـ/ 1332م): **تقويم البلدان**، نشره رينود والبارون دي سلان، دار الطباعة السلطانية، (د، ط)، باريس، 1840.

58- ابن غازي محمد بن أحمد: **الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون**، مطبعة الأمنية، (د، ط)، الرباط، 1951.

59- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب" ابن قنفذ القسنطيني" (740-810هـ/1339- 1408م):**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1968 .

60- ـــــــــــــــــــ:**الوفيات**، تح: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1983.

61- ـــــــــــــــــــ: **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتع: أدولف فور ومحمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، (د, ط)، الرباط، 1965.

62- ابن مرزوق محمد التلمساني: **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، تح ودرا، ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر، (د، ط)، الجزائر، 1981.

63- ابن مريم أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني( 1014هـ/ 1379م): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح ومر: محمد أبي شنب، المطبعة الثعالبية، (د، ط)، الجزائر، 1908.

64- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي: **لسان العرب، مادة صوف**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، ( د، س)، مج8.

65- ابن ناجي أبو الفضل القاسم عيسى ( ت 839هـ/ 1438م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ( د، ن)، (د، ط)، تونس، 1990، ج4.

66- أبو الفداء إبراهيم شمس الدين محمد بن فرحون اليعمري المالكي برهان الدين: **تبصره الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تح: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، (د، ط)، الرياض، 2003، ج2.

67- أبو حنيفة محمد بن محمد النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1986.

68- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري( ت 256هـ/ 866م): **صحيح الإمام البخاري, ومعه فتح الباري لأبن حجر**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تص: محمد الدين الخطيب، مر: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط1، القاهرة، 1987، ونشر مشترك موفم للنشر، دار الهدى للطباعة والنشر، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، (د، ت).

69- أبو مدين شعيب: **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 1974.

70- أحمد بن محمد المقري التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، (د، ط)، (د، ب)، 1968، مج8.

71- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن إدريس ( ت 560هـ/ 1162): **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، ( د، ط)، الجزائر، 1984.

72- الإدريسي، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت 559هـ/ 1164م): **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تح وتق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية, (د، ط)، الجزائر، 1983.

73- ـــــــــــــــــــــــــــــ: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط), القاهرة، 2002، ج1.

74- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي ( ت في بداية ق 4هـ/ 10م): **المسالك والممالك**، تح: محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال، دار العلم, ( د، ط)، القاهرة، 1961.

75- الألباني محمد ناصر الدين:**صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، المكتب الإسلامي، (د, ط)، 1969.

76- التجيبي ابن رزين: **فضالة الخوان في طبيات الطعام والألوان" صورة من فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين**"، تح: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، بيروت، 1984 .

77- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله( 644- 704هـ/ 1247-1305م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان، 1979.

78- الأنباري محمد بن القاسم بن محمد ( ت 328هـ/ 940م): **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، (د, ط)، بيروت، 1992، ج1.

79- البكري أبو عبيد ( ت487هـ/ 1094م): **المغرب في ذكر افريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، (د، ط)، القاهرة، (د، ت).

80- ــــــــــــــــــــــــــــ: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي, ( د، ط)، القاهرة، مصر، (د, س، ن)، مكتبة المثنى، (د, ط)، بغداد، (د, ت).

81- بن عاصم أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الأندلسي: **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام**، تح: محمد عبد السلام محمد، دار الأفاق العربية، ط1، مصر، 2011.

82- البوني أبو العباس أحمد علي ( ت622هـ/ 1225م): **شمس المعارف الكبرى ولطائف الموارف**، المكتبة الشعبنية، ( د، ط)، بيروت، لبنان، (د، ت)، ج1.

83- البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية**، دار المنصور للطباعة والوراقة, (د، ط)، الرباط، 1971.

84- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد ( ت 717هـ/ 1317م): **تحفة العروس وزينة النفوس،** تح: جليل العطية، مؤسسة رياض الريس للكتب النشر، (د، ط)، لندن، قبرص، 1992.

85- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: **رحلة التجاني،** تق: حسن عبد الوهاب, الدار العربية للكتاب، (د، ط)، ليبيا، تونس، 1981.

86- التليدي عبد الله عبد القادر: **المطرب بمشاهير أولياء المغرب،** دار الأعيان، ط3، الرباط، 2000.

87- التميمي أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (603هـ أو 604هـ/ 1206 أو 1207م):**المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد،** تح: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، مطبعة طوب بريس، ط1، الرباط، 2002، القسم2.

88- التنبكتي أحمد بابا ( 963هـ/ 1036م): **نيل الابتهاج بتطريز الدباج.** تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ط2، طرابلس، 2000.

89- التنسي محمد بن عبد الله: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان،** تح، محمود أغا بوعياد، دار موفم للنشر، (د، ط)، الجزائر، 2011.

90- الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ/ 1038م): **كتاب اللطائف والظرائف،** دار المناهل، ط1، بيروت، 1992.

91- الجرسيفي: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،** تح: إ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ( د, ط)، القاهرة، 1955.

92- الجزيري أبو القاسم علي بن يحي بن القاسم ( ت 585هـ/ 1189م): **المقصد المحمود في تلخيص العقود،** تح: اسونثيو مفريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (23) المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1998.

93- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله:**كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون**، دار العلوم الحديثة، بيروت، (د، ت)، ج1، ج2.

94- الحفناوي أبو القاسم محمد: **تعريف الخلف برجال السلف**، تق: محمد رؤوف القاسمي الحسني، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, (د، ط)، الجزائر، 1991، ج2.

95- الحميري أبو عبد الله بن عبد المنعم ( ت 727هـ/ 1326م):**الروض المعطار في خير الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، لبنان، 1984.

96- الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف( 387هـ/ 997م): **مفاتيح العلوم**، دار المناهل، ط1، لبنان، 2008.

97- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (670هـ/ 1272م): **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاى، م طبعة البعث، (د، ط )، قسنطينة، الجزائر، (د، ت).

98- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/ 1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج 2.

99- الديسي أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، (د، ط)، الجزائر، 1906، ج1.

100- الذهبي الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ت 748هـ/ 1374م): **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982، ج 20.

101- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ت 748هـ/ 1374م): **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983، ج 15.

102- الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح وتق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني، ط1، مصر، 1994.

103- الزجالي أبو يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي (617- 694هـ/ 1220-1295 م): **ري الأورام ( أمثال العوام في الأندلس)**، تح: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس بمساعدة وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، القسم الأول، فاس، 1975.

104- الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم:**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966.

105- الزركلي خير الدين: **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، لبنان، 2002، ج2.

106- زكرياء بن محمد القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، ( د، ت).

107- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ( ت 538هـ/ 1144م): **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية, (د، ط)، بيروت، 1998، ج2.

108- الزهراوي خلف بن عباس الأندلسي: **التصريف لمن عجز عن التأليف، في التداوي بالأعمال بالإيدي مع أشكال آلات الجراحة**، تحت إدارة المكنى بأبي الحسنات قطب الدين أحمد، (د، ط)، (د، ب)، 1908، ج1.

109- الزهري أبو عبد الله بن أبي بكر: **كتاب الجغرافيا**، تح: محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، ( د، ت، ن).

110- السبتي محمد بن القاسم الأنصاري: **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تح: عبد الوهاب بن منصور، ( د، ن)، ط2، الرباط، 1969.

111- السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد: **آداب الحسبة**، نشر كولان وليفي بروفنسال، مكتبة إرنستلورو Emest Leroux، (د، ط)، باريس، 1931.

112- السنوسي محمد المختار: **المعسول**، (د، ن)، ( د، ط)، ج4، (د، ب)، 1964.

113- السهر وردي: **عوارف المعارف**، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1966.

114- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، (د، ط)، بيروت، 1991، ج3.

115- الشاذلي محمد التونسي: **فرح الإسماع برخص السماع**، تح: محمد شريف الرحموني، دار العربية للكتاب، ط1، طرابلس، تونس، 1985.

116- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد: **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السياجي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، عمان، 1992، ج2.

117- الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربي للكتاب، (د، ط)، تونس، 1984.

118- العباس بن إبراهيم: **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، (د، ط)، الرباط 1980، ج9.

119- عبد الرزاق محمد إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

120- عريب بن سعيد أبو سعيد عثمان: **عريب في تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان**، نشر: دوزى، (د، ن)، (د، ط)، (د, ب)، (د، ت).

121- العفيف سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني: **ديوان الشاب الظريف**، تح:، محمد قنينش، موفم للنشر، ( د، ط)، الجزائر، ( د، ت).

122- العقباني أبو عبد الله بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني( فقيه توفي بتلمسان عام 871هـ/ 1467م): **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي, (د، ن)، (د، ط)، (د, ب)، (د، ت).

123- علي الجزنائي (عاش خلال القرن 9هـ/ 15م): **جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991.

124- العياشي عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر، ط1، أبوظبي، الإمارات، 2006، ج1.

125- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ( 627- 708 هـ/ 1230- 1308 م): **صلة الصلة، قسم: الغرباء**, تح: بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، (د، ط)، الرباط، 1938.

126- الغزي عيسى بن عثمان بن عيسى بن غازي أبو روح شرف الدين: **أدب القضاء**، تح: مركز الدراسات و البحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط1, السعودية، 1996.

127- القابسي أبو الحسن ( ت 402هـ/ 1012م): **الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تح: أجمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986.

128- القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، تونس، الجزائر، (د، ت).

129- القاضي عياض أبي الفضل بن موسى (ت 544هـ/ 1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، ط2، المحمدية، المغرب، 1983، ج4.

130- القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي: **رحلة القلصادي**، تح: محمد أبو الأحفان، الشركة التونسية للتوزيع، (د، ط)، تونس، 1978.

131- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ( ت 821هـ/ 1418م): **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1980.

132- ـــــــــــــــــــــــــــــــ: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963,ج5.

133- كربخال مرمول: **إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد زنير ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق، دار المعرفة للنشر والتوزيع، (د، ط)، الرباط، 1988، ج1.

134- المازوني أبو يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى ( ت 883هـ/ 1479): **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح: مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، ج2، ط1، الجزائر، 2004 .

135- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد ( ت449هـ/ 1058م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994, ج1.

136- المراكشي محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي ( 581- 647 هـ/ 1185- 1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الكتب، ط1، بيروت، 1998.

137- المراكشي محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت 647هـ/ 1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، نشر من طرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, (د, ط), العربية المتحدة، 1963.

138- مسلم بن الحجاج القشري الميسدوري ( 206هـ/ 261م): **صحيح مسلم**، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة للطباعة والنشر، ط1، (د، ب، ن)، 2006، مج 1.

139- المعافري أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الاشبيلي: **أحكام القرآن**، تح: علي محمد البجاوي، عيسى ابنا الحلبي وشركائه، ط3، مصر، 2003، ج3.

140- المغيلي يحي بن موسى المغيلي: **الدرر المكنون في نوازل مازونة**، تح: مختار حساني، مراجعة مالك كرشوس الزواوي، دار الكتاب العربي، (د، ط)، الجزائر، 2009، ج2.

141- المقديسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ( 380هـ/ 990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل, ( د، ط)، لندن، 1909.

142- مقديش محمد: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ج1.

143- المقري أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، إحسان عباس، دار صادر، (د، ط)، بيروت، لبنان، 1988، ج7.

144- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح وتع: مصطفى السقي وآخرون، مطبعة الأليف والترجمة والنشر، (د، ط)، القاهرة، 1942، ج2..

145- مؤلف مجهول (ت ق6هـ/ 12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار" وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب**، نشر وتع: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، (د، ط)، بغداد، العراق، (د, ت، ن).

146- مؤلف مجهول (ت ق6هـ/ 12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار" وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب**، نشر وتع: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، (د، ط)، بغداد، العراق، 1986.

147- مؤلف مجهول: **الأغذية و الأدوية عند مؤرخي الغرب الإسلامي**، تح: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ط5، بيروت، (د، ت).

148- مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، (د، ط)، الدار البيضاء، المغرب، 1979.

149- مؤلف مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد حقية**، مطابع جول كربونل، (د، ط)، الجزائر، 1921.

150- النبهاني تقي الدين: **النظام الاجتماعي في الإسلام**، دار الأمة، ط4، بيروت، 2003.

151- النووي أبي زكريا يحي بن شرف الدمشقي(631-676هـ/ 1234- 1278م): **رياض الصالحين**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، مصر، 1993.

152- النويري شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب(قطعة من تاريخ المغرب في العصر الوسيط)**، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، (د، ط)، الدار البيضاء، (د، ت).

153- الوزان حسن بن محمد الفاسي "المعروف بليون الإفريقي": **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، ج2.

154- الوزاني أبو عيسى المهدي الفاسي: **تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس**، تق: هاشم العلوي الفاسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، (د، ط)، المحمدية، 2001.

155- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي ( ت 914هـ/ 1509م): **المعيار المعرب والجامع المغترب في فتاوى أهل إفريقية والمغرب**، أخرجه جماعة من العلماء، إشراف: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج11، (د، ط)، الرباط، 1981.

156- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي ( ت 626هـ/ 1229م): **معجم البلدان**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، 1977، مج1.

157- اليعقوبي أحمد بن واضح (ت 284هـ/ 898م ): **البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، (د، ب)، 1988.

158- التوراة

159- الإنجيل

✓ **المراجع:**

1-ابن أبي ضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، ط2، تونس، 1976.

2-ابن ميمون موسى: **دلالة الحائرين**، تح: حسن آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، (د، ت).

3- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس: **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تح: محمد حزة بن علي الكتاني، مؤسسة مولاي عبد الله الشريف للدراسات والأبحاث العلمية، (د، ط)، فاس، (د، ت).

4- بوعمامة فاطمة: **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـ 14- 15 ميلادي**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ( د، ط)، الجزائر، 2011.

5-مخلوف محمد بن محمد: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، (د، ط)، القاهرة، 1931.

6- أبو غضة زكى على السيد: **المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، المنصورة، 2003.

7- الموقت المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الله: **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، دار الطباعة الحديثة، ط2، ( د، ت).

8- خوجه حمدان: **المرآة**، تعريب محمد العربي الزبيري, ( د، ط), ( د, ن)الجزائر، 1975.

9-إبراهيم عفيفي محمود: **الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب**، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 2002.

10- ابن أحمد إسماعيل بن أحمد: **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة، (د، ط)، الرباط، 1972.

11- ابن شقرون محمد بن أحمد: **مظاهر الثقافة المغربية: دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، (د، ط)، المغرب، 1985.

12- ابن عامر أحمد: **الدولة الحفصية**، دار الكتب الشرقية, (د، ط)، تونس، 1974.

13- أحمد مصطفى أبو ضيف: **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين**، مطبعة دار النشر المغربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1982.

14- أديوان محمد: **الثقافة الشعبية المغربية ( الذاكرة والمجال والمجتمع)**، مطبعة سلمى، (د، ط)، الرباط، 2002.

15- اسماوي صالح بن عمر: **نظام العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب**، المطبعة العربية، (د, ط)، غرداية، الجزائر، 2005.

16- باقر طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، دار الشؤون الثقافية العامة، (د, ط)، بغداد، 1986، ج1.

17- بلغيث محمد الأمين: **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2007.

18- بلمليح عبد الإله: **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

19- بوتشيش إبراهيم القادري: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات- الأولياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1993.

20- ــــــــــــــــــ: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة و النشر, (د، ط)، لبنان، 2000.

21- بورويبة رشيد: **ابن تومرت**، تر: عبد الحميد حجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1982.

22- ــــــــــــ: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د, ط)، الجزائر، 1977.

23- بوفلاقة سعد: **الشعر النسوي الأندلسي أغراضه وخصائصه الفنية**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 1995.

24- بونابي الطاهر: **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/ 12-13م**، دار الهدى, (د, ط)، عين مليلة، الجزائر، 2004.

25- التازي عبد الهادي: **المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي**، نشر الفنك بمساهمة مؤسسة فريدريك ايبرت، (د، ط)، الدار البيضاء، 1992.

26- التليسي بشير رمضان: **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي( خلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي)**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2003.

27- جاد الله منال عبد المنعم: **التصوف في مصر و المغرب**، ( منشأة المعارف)، (د، ط)، الأسكندرية، 1997.

28- الجنحاني الحبيب:**المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ)**، دار التونسية للنشر، (د,ط)، تونس، 1978.

29- جودت عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغربالأوسط(9هـ/10م)**، ديوان المطبوعات الجزائرية, (د، ط)، بن عكنون، الجزائر، (د، ت).

30- الجيدي عمر عبد الكريم: **العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب**، مطبعة فضالة، (د، ط)، المغرب، 1982.

31- الجيدي عمر عبد الكريم: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، المملكة المغربية، 1993.

32- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، (د، ط)، بيروت 1980، ج2.

33- حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون**، مؤسسة التاريخ العربي، (د, ط)، لبنان، (د، س، ن)، ج2.

34- حاجيات عبد الحميد: **أبو حمو موسى الزياني(حياته وآثاره)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 1982.

35- حركات إبراهيم: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م**، دار الرشاد الحديثة، ط1، (د، ب)، 2000، ج1.

36- حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، (د, ط)، عين مليلة، الجزائر، 2011، ج2.

37- ـــــــــــ: **تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، (د، ط)، الجزائر، 2009، ج2.

38- حسن جمال الدين بوقلي: **ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية وفي الواقع**، منشورات الوطنية، (د، ط)، الجزائر، 1997.

39- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980.

40- الحسني عبد المنعم القاسمي: **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ط1، 2006..

41- حسين حمدي عبد المنعم محمد: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، الأهرام، مصر، 1997.

42- حميدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، (د، ب، ن).

43- خلفات مفتاح: **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م)**، الأمل للطباعة والنشر، (د، ط)، تلمسان، الجزائر، 2011.

44- دخيل علي محمد علي:**أعلام النساء**، الدار الإسلامية، ط3، لبنان، 1992، ج3.

45- الدراجي بوزيان: **أدباء وشعراء من تلمسان**، دار الأمل للدراسات,ج3، (د، ط)، تلمسان، 2011.

46- دويدار حسين يوسف: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ( 138-422هـ/755-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر، 1994.

47- ذنون طه عبد الواحد وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2004.

48- رشدي صبيحة رشيد: **الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية**، مؤسسة المعاهد الفنية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط1، بغداد، 1980.

49- الرفاعي مصطفى صادق عبد الرزاق: **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، (د, ط)، (د, ب, ن)، (د, ت)، ج3.

50- زغلول سعد عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، منشورات المعارف، الاسكندرية، مصر، 2000، ج5.

51- سالم عبد العزيز: **تاريخ المغرب الكبير دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية**، دار النهضة العربية، ( د، ط)، بيروت، لبنان، 1981، ج2.

52- سالم عبد العزيز: **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية, (د، ط)، بيروت، 1991، ج1.

53- سكاكو حورية: **التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهد الموحدي والزياني بين القرنين ( 6-10هـ/ 12-16م)**، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016.

54- السلمي أبو عبد الرحمن: **الطبقات الصوفية**، تح: أحمد الشرباصى، ط2، مصر، 1998.

55- سيدي موسى محمد الشريف: **مدينة بجاية الناصرية: دراسة في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية**، دار كرم الله للتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2011.

56- السيلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (1250-1315هـ/ 1834-1897م): : **كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ط1، الدار البيضاء، 1954، ج2.

57- الشاذلي عبد اللطبف: **التصوف والمجتمع: نماذج من القرن العاشر الهجري**، منشورات جامعة الحسين الشاذلي، (د، ط)، سلا، المغرب، 1989.

58- شاوش محمد بن رمضان التلمساني: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 2011، ج1.

59- الصياد فؤاد عبد المعطي: **المغول**، دار الكتب العربية، (د، ط)، بيروت، 1980.

60- طمار محمد: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، الجزائر، 2010 .

61- طه جمال أحمد: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448/ 1056م_ 668هـ/ 1269م)**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر، 2002.

62- ـــــــــــ: **الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د، ط)، الأسكندرية، 2004 .

63- العبادي أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د, ط)، مصر، (د، ت)

64- عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي**، الإسكندرية، منشأة المعارف، ( د، ط)، 2000، ج5.

65- عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت**، دار المغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1983.

66- عبد الوهاب حسن حسني: **شهيرات التونسيات بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر**، المطبعة التونسية، (د، ط)، تونس، 1353هـ/ 1934م.

67- عبدلي لخضر: **التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان**، الديوان الجهوي للمطبوعات الجامعية، (د، ط)، وهران، 2007.

68- عبدلي لخضر: **تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان**، دار الأوطان، ط1، الجزائر,2011 .

69- العربي إسماعيل: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر,1980.

70- علام عبد الله علي: **الدعوة الموحدية بالمغرب**، دار المعرفة بالقاهرة، ط1، 1964.

71- ـــــــــــــ: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، (د، ط)، مصر، 1971.

72- عليان شوكت محمد: **السلطة القضائية في الإسلام**، دار الرشيد، (د، ط)، الرياض، 1982.

73- عمورة عمار: **الجزائر بوابة التاريخ:ما قبل التاريخ إلى 1962م**، دار المعرفة, (د، ط)، الجزائر، 2009، ج1.

74- عنان محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ( د، ط)، القاهرة , (د، ت)، ج3.

75- عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر، ط2، القاهرة، مصر، 1991.

76- غانم محمد الصغير: **التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط**، دار المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982.

77- فروخ عمر: **تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف**، دار العلم للملايين، (د, ط)، بيروت، لبنان، 2006، ج4.

78- فيلالي عبد العزيز: **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، 2014.

79- ـــــــــــــ: **تلمسان في العهد الزياني**، دار النشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، 2002، ج1.

80- قريان عبد الجليل:**العلوم العقلية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/ 1235-1554م)**، جامعة قسنطينة 2، (د، ط)، قسنطينة، الجزائر، 2017.

81- مبارك زكي: **المدائح النبوية في الأدب العربي**، منشورات المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1935.

82- المجدوب عبد العزيز:**الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، (د, ط)، تونس، 1971.

83- محمد نبيلة حسن: **تاريخ المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية، (د, ط)، الإسكندرية، 2004.

84- محمود إسماعيل: **الأدارسة 172ـ 375هـ، حقائق جديدة**، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991.

85- ــــــــــــ: **الأغالبة ( 184_ 296هـ/ 805- 909م) سياستهم الخارجية**، مكتبة دراقة الجامعية، (د, ط)، فاس، (د، ت).

86- مختار حساني: **الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية**، دار الهدى، (د، ط)، عين مليلة، الجزائر، 2011، ج2.

87- المطوي محمد العروسي: **السلطنة الحفصية**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

88- المظفر محمد رضا: **عقائد الإمامة**، (د، ن)، ط3، ( د، ب، ن)، 1973.

89- المنوني محمد: **حضارة الموحدين**، دار توبقال، دار البيضاء، ط1، المغرب، 1989.

90- موسى عز الدين عمر: **الموحدون في الغرب الإسلامي ـ تنظيماتهم ونظمهم ـ**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991.

91- مؤنس حسين: **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي العصر الحديث**، ( د، ن)، ط1، لبنان، 1982، ج2.

92- مؤنس حسين: **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، (د، ط)، القاهرة، مصر، (د، ت).

93- ـــــــــــــ: **معالم المغرب والأندلس**، دار الرشاد, (د, ط)، طبعة خاصة, (د، ب، ن)، 2004.

94- النبراوي نجلاء سامي: القابلة في المغرب والأندلس، الدور الطبي، القضائي، والاجتماعي، **موقع الألوكة**.

95- نصر الله سعدون عباس: دولة **الأدارسة في المغرب العصر الذهبي ( 172-223هـ/ 788. 835م)**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1987.

96- الهاشمي أحمد إبراهيم مصطفى: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، تح: عدد من المحققين، مؤسسة المعارف، (د, ط)، بيروت، (د، ت)، ج2.

97- هريدي يحي: **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية** مكتبة النهضة المصرية، (د, ط)، ا لقاهرة، 1965.

98- وجدي محمد فريد: **دائرة المعارف**، دار الفكر، مج4، (د، ط)، بيروت، (د، س، ن).

99- يوسف جودت عبد الكريم: الأوضاع **الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الوسط خلال القرنين 3و9هـ/4و5م**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط)، بن عكنون، (د، ت).

100- يونس عبد الحميد: **الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي**، مطبعة جامعة القاهرة، (د، ط)، القاهرة، 1956.

**المراجع المعربة:**

1- إدريس الهادي روجي:**الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج2.

2-برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ج1.

3- بيكروسا خوسي مارية مياس: **علم الفلاحة عند المؤلفين العرب**، تع: عبد اللطيف الخطيب، معهد مولاي الحسن، ( د، ن)، (د, ط)، تطوان، 1957.

4- سميث اميلي ساقاج: **الطب من كتاب موسوعة تاريخ العلوم العربية: التقانة، الكيمياء، علوم الحياة، الهندسة المدنية والمكانيكا والجغرافيا الإنسانية، الفلاحة، الكيمياء، الطب**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2005، ج3.

5- لوكلير لوسيان: **تاريخ طب العرب**، أعادة طبعه وزارة الأوقاف المغربية، (د، ط)، المغرب، (د، ت)، ج2.

6- مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأ المعارف، (د، ط)، الإسكندرية، مصر، 1991.

7-ماير.ل. أ: **الملابس المملوكية**، تر: صالح الشيتي، مر وتق: عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب, ( د, ط)، مصر، 1972 .

8-متز آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تر: محمد عبد الهادي أبو رندة، التونسية للنشر، (د، ط)، جزآن، تونس، 1986، ج2.

✓ **المجلات والملتقيات:**

1- عبد الرحمن بشير: "المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي"، **مجلة عصور الجديدة**، ع: 11، 12، جامعة وهران، فبراير 2013- 2014.

2-العلوي تقي: " أصول المغاربة: القسم البربري"، **مجلة البحث العلمي**، ع: 27، 1977.

3-ابن حمادة سعيد: " جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية بالغرب الإسلامي من خلال تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر للقاضي العقباني التلمساني (871هـ - 1467م)"، **مجلة عصور الجديدة**، ع: 5، جامعة وهران، 2012.

4-ابن عبد الله عبد العزيز: "تطور الطب و الصيدلة بالمغرب"، **مجلة التاريخ العربي**، العدد 27، الرباط، 2003.

5-ابن عميرة محمد: "موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، الجزائر، ع: 2، 1406هـ/ 1986م.

6- بالصديق عبد الكريم: "جوانب عن تربية الطفل في المغرب الأوسط ما بين القرنين( 6-9هـ/ 12-15م)"، **مجلة عصور، الجزائر**، ع: 24-25، جانفي- جوان 2005.

7- بلاغ عبد الرحمان:"الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط مراكز المسالك الصحراوية أنموذجا"، **دورية كان التاريخية**، جامعة بشار، الجزائر، ع: 24، 2014.

8-بلعربي خالد: "الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني"، **دورية كان التاريخية**، العدد السادس، ديسمبر، 2009.

9-بن يحي أم كلثوم: "نظرية العمل في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع" **المجلة الناصرية**، جامعة بشار، العدد4، 2013.

10- بوبة مجاني: " دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من ( ق 3- 6هـ/ 9- 12م)" **مجلة الحياة**، جمعية التراث، قرارة، غرداية، ع:2، .

11- بوداود عبيد: "تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية"، **مجلة عصور**، عدد 6، 7، جامعة وهران، ذو القعدة1426/جوان، ديسمبر ,2005.

12- بور فاطمة: "الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية في فكر مالك بن نبي"، **دورية كان التاريخية**، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، العدد 24، 2014.

13- بوعزيز يحي: " المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (633هـ/1236م) "، **مجلة الأصالة**، ع: 26، جويلية، أوت 1975.

14- بونابي الطاهر: " ظاهرة التصوف النسائي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط" **مجلة البحوث التاريخية**، المسيلة، الجزائر، ع: 1، مج: 1، 21مارس، 2017.

15- حاج عبد القادر: "العلاقات الخارجية للدولة الزيانية" **العصور الجديدة**، ع: 2، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية,1432هـ /2011م.

16- حميدي مليكي:" دور نساء قبيلة صنهاجة في المغرب الإسلامي ما بين القرنين (3-5هـ ./9 -11م)"، **ضمن الملتقى الرابع للبعد الروحي في التراث الوطني الأمازيغي**، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، بجاية، جوان 2009.

17- السحيباني حمد صالح:" الإتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت"، **مجلة جامعة الإمام**، ع: 6، محرم 1413هـ / 1993م.

18- سعيدوني ناصر الدين: "صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر"، **المجلة العربية للثقافة**، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، العدد 27، تونس، 1994.

19- شقرون الجيلالي:" تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الوسط "، **مجلة الفقه والقانون**، (د، ع)، سيدي بلعباس، (د، ت).

20- الشكيل علي جمعان: "صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية"، **مجلة أفاق الثقافة والتراث**، جامعة صنعاء، اليمن، ع:27، 2001.

21- عاشوري قمعون: " العلاقة بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية"، **المجلة التاريخية المغاربية** ( العهدان الحديث والمعاصر)، تونس، العدد 160، السنة الثانية والأربعون، جويلية 2015.

22- عبد الرزاق حسن زاجية: "عبادة العرب للقمر قبل الإسلام"، **مجلة آداب البصرة**، البصرة، العدد 46، سنة 2008.

23- عبدلي لخضر: "الحرف والحرفيون في مدينة تلمسان"، **دورية كان التاريخية**، المركز الجامعي لولاية البيض، الجزائر، العدد 21، 2013.

24- عزة جلال: "سيرة المتصوفات في التاريخ"، **جمعية دراسات المرأة والحضارة**، ع: 2، القاهرة، يونيو 2001.

25- عشي علي: " المؤسسات الدينية بالمغرب الأوسط خلال العهد الموحدي ( 6-7هـ/ 12-13م) بين التعليم والتربية"، **مجلة الحوار المتوسطي**، مج9، ع 3.

26- علاوة عمارة: "الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ( قراءة في نقاش تاريخي)"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، دورية تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، العدد 4، رمضان 1425هـ/ أكتوبر 2004.

27- قطان رشيد: "المرأة المغربية في أدب المناقب( التشوف إلى رجال التصوف) نموذجا"، **مجلة أمل**، الدار البيضاء، ع: 13- 14، السنة 1998.

28- الهلالي محمد ياسر: " نظرة المجتمع للمرأة في المغرب القرن( 8-9هـ/ 14-15م) ساهمة في تاريخ الذهنيات"، **مجلة أمل**، ع: 13-14، السنة 5، الدار البيضاء، 1998 .

29- يخلف حاج عبد القادر: " العلاقات الخارجية للدولة الزيانية"، **مجلة عصور الجديدة**، ع: 2، جامعة وهران، 2011.

✓ **الموسوعات والمعاجم:**

**1**-حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ( مدن الجنوب)**، دار الحكمة، (د, ط)، الجزائر، 2007.

2-الحوتي سعيد أبو سيف: **الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية**، مطبعة أبو العزم، ط1، بيروت، 2002.

3- شاكر مصطفى: **موسوعة دول العلم ورجالها، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1993**، ج1.

**4-** ضيف شوقي وآخرون: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط1، مصر، 2004.

5-كحالة عمر رضا: **معجم القبائل القديمة**، دار العلم للملايين, (د، ط)، بيروت، 1968، ج2.

6-مدكور إبراهيم: **المعجم الوجيز**، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، مصر، 1994.

**7-** نجيب زينب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق: أحمد بن سودة، دار الأمير، ط1، بيروت، لبنان، 1995.

8-نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، لبنان، 1980.

✓ **الرسائل الجامعية:**

1-بكاي عبد المالك: "الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10 هـ/13-16م"، (أطروحة دكتوراه)، تحت إشراف مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014.

2-سيدي موسى محمد الشريف: "الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ببجاية من عصر الموحدين إلى الإحتلال الإسباني"، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط)، إشراف: عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009-2010م.

3-عبد الشكور نبيلة: " إسهامات المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى القرن التاسع للهجرة، الثاني عشر- الخامس عشر الملاديين، ( بحث كقدم لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي)، إشراف:

صالح بن قربة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007- 2008م، ج2.

4-ولد خسال: "جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ -922هـ "، (أطروحة دكتوراه)، إشراف علي عزوز، جامعة الجزائر، 1430-1429هـ/2009-2008م.

✓ **المراجع الأجنبية:**

**1**-Garrot Henri:**Les Juifs Algériens – Leurs arigines-** ،Librairiie Louis Relin ،Alger; 1898.

**2**-Eisenbeth.M**: Les Juife en Algérie** ،esquisse historique depius les origines jusqu´à mos jours ،Extrait de L´encyclopédie coloniale et Maritime ،paris ،sd.

**3**-DhinaAtallah:**Le Royaume Abdelouadide à l´époqued´AbouHammou Moussa 1er et d´AbouTachfin 1er** ، OPU ،Alger ،sd.

**4**-De Beylre( Général ): **La Kalaa des BaniHammad ،une capitale Berbère du II siecle** ; Paris ،1908.

**5**-Salach-n-jude.BerbersRchenhesSureles: Origines Juifs et dojudaisme Afrique ،Paris ،1909.

**6**-Levi –Provencal:**Histoire de l'Espagne muslman** ،T3 ،paris ،1953.

**7**-Bossy (M): Alger et livourne et leurs relations économiques ،Alger ، 1971.

**8**-KumarAlok. Salem. Semaàm. Said ibn Ahmad Andalusi**: Science in the medieval world book of the categories of nations** ، **University** ،taxasbqress ،1991.-

**9**-Lévi Provençal: **Histoire de L éspagne Musulmane** ،Tome03 Maisonneure et Larose ،Paris ،France ,1999.

**10**- Israël Abrahams: **Jezish life in the middle ages**, the Macmillan Company, New York, 1896.

# قائمة الفهارس

**فهرس الآيات**

**فهرس الحديث الشريف**

**فهرس الاعلام**

**فهرس الاماكن والدول**

**فهرس المحتويات**

# فهرس الآيات

| الآية | السورة | الصفحة |
|---|---|---|
| قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثون {63}أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ {64}لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَتُمْ تَفَكَّهُونْ{65} ﴾ | الواقعة | 73 |
| قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا{7}﴾ | الواقعة | 75 |
| قال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا{29}﴾ | النساء | 98 |
| قال تعالى﴿"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا{19}﴾ | النساء | 181 |
| قال تعالى :﴿ وَمَا أَرسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ{43} ﴾ | النحل | 183 |

# فهرس الحديث الشريف

# فهرس الاعلام

– أ –

**- ب -**



**- ت -**

- ج -



- ح -



- د -



- ر -



- ز -



- س -



- ع -

# فهرس الأماكن والدول

- أ -

- ق -



- ك -



- م -



- ن -

**– و –**

# فهرس المحتويات

**ملخص:**

تعالج الدراسة مدى مشاركة المرأة في بناء وصناعة النهضة الحضارية لدول المغرب الأوسط، وكيف كان لها يد التأثير في تلك الأحداث التي مرت على المنطقة، متأثرة كغيرها بما يدور حولها من مستجدات.

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب مهم من تاريخ المرأة وإبراز تأثيرها وتأثرها بحضارة المغرب الأوسط المخفيّة بين ثنايا التاريخ، مع التعمق أكثر في الجانب الاجتماعي للمرأة بالمغرب الأوسط، لأن هذا الموضوع بشقيه (المرأة) و(المغرب الأوسط) يكتسي أهمية بالغة فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي لفهم المنعطفات الحضارية لمجتمعات تلك المنطقة، والتعرف على التأثير المتبادل بين المرأة والدين والعرف داخل مجتمع المغرب الأوسط.

ومن هذا المنطلق نريد الإجابة عن إشكالية الدراسة المتمثلة في: ما مدى تأثير وتأثر المرأة في المغرب الأوسط خلال القرنين (6-9هـ/12-15م) ؟

وللإجابة عن الإشكالية اتبعنا في دراستنا المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي التركيبي.

وخلصت الدراسة إلى أن المرأة استطاعت تقديم صورة خاصة في إطار تأثيرها في عدة أحداث وتأثرها بها داخل عدة فضاءات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، حيث أسهمت إلى حد كبير في تشكيل هوية المغرب الأوسط خلال القرنين (6-9هـ/12-15م).

**Abstract:**

The study examines to what extent woman participates in building and manufacturing the cultural renaissance of the Countries of the Middle Maghreb, and how she has had an influence on those events that the region has passed through, influenced, as anyone else, by the latest developments around her.

The study aims to highlight an important aspect of woman's history and mutual influence with the hidden civilization of the Middle East, along with an in-depth sight on the social aspect of women in the Middle East, because this topic with its two sides (women) and (Middle Morocco) is very important in terms of social history to understand the cultural turns of the societies of that region, and to learn more about the mutual influence between women, religion and custom within The Maghreb society.

From this point, we want to answer the problem of the study which is as follows: to what extent woman has influenced and has been influenced by in the Middle Maghreb during the two centuries (6-9 Ah / 12-15 AD).